الجامعه الاردنيـــــــــه
كلية الدراسات العليـــا
قسم اللغه العربيـــــه

٥٦٧
ع-١٢
١٠٨٦

خلف الاحمر . حياته واثاره

دراسه قام بهـــا

(محمد علي سعيد الشربـــــده)

٢٢٨٧٢

اشـــراف

(الاستاذ الدكتور نصرت عبد الرحمن)

قدمت هذه الرساله استكمالا لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير
في اللغه العربية من كلية الدراسات العليا بالجامعه الاردنيه

تاريخ المناقشه ١٩٨٩/٣/١٨م

٢٦١٩

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الاهـــــــــداء

إلى والدتي ، اللذين علماني أنّ الحياةَ أملٌ بَعْدَ جَهْـد .

إلى كل القُلوب الصافيةِ التّي واكبت جَهْدَ المتواضـــع

لَهُم جميعـــــاً حبّـــي وتقديري .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مقدّمـــــــــــــة

خلف الأحمر ....، هذا الرجل الفرغانيّ الذى نشأ في مدينـــــة البصرة ، مدينة الأدب العربي التي جمعـــت عدداً كبيراً من علمـــــــاء العربيّة في أواخر القرن الأول الهجرى وأوائل القرن الثاني الهجـــرى أمثال أبي عمرو بن العلاء ويونس بن حبيب وعيسى بن عمر الثقفـــــي والأصمعي وسيبويه والخليل بن أحمد ،وغيرهم الكثير ممن أسهموا فـــــي مسيرة الأدب العربي في أبوابه المختلفة .

وسط هذا النشاط المتميّز ظهر خلفٌ الأحمر ، وشقّ طريقـــه نحو العربيّة حتى صار علماً يشار إليه بالبنان ، ومقدّما على غيـــــره من أبناء طبقته خاصّة في بابيّ الرواية والنقد ، وقد زاد فـــــي شهرته توجّه العلماء في عصره إلى اتهامه بالوضع على شعراء الجاهليـــة بسبب حذقه الشديد بالشعر وعلومه.

من هنا جاءت صلتي بهذا الرجل كموضوع لرسالتي ،ويعـــود الفضل في إرشادى إليه لأستاذى الفاضل الدكتور نصرت عبد الرحمـــن الذى مَهّدَ لي السبيل من خلال كشفه عن أهميّة هذا الرجل فـــــي مسيرة أدبنا العربيّ القديم ، فهو راويةٌ للشعر الجاهلي، وناقد لـــه مكانته المتقدمة، وشاعر متفوق، وعالم لغويٌّ ونحويٌّ ، وبذا يكون جامعـــاً لصفات العالم بالعربيّة ، الأمرُ الذي يحتاج معه إلى إبانةٍ حاولـــت جهدى أن أرسُمَها ، لاسيّما وأنه لم يدرس من قبل دراسةً تفصيليّـــةً تكشفُ مختلف جوانب حياته الشخصيّة والعلميّة .

وكم أدهشني ـ حين بدأت جمع أخباره ـ قلّة تلك الأخبـــار الّتي تتصل بحياته الخاصة ، أو نشأته التي تشكلت منها شخصيتـــه العلمية فيما بعد، كذلك فإن الأخبارَ التي تتصل بعلومِه لم تكـــن لِتُشكّل كَمّاً يمكن معه كشفُ ملابسات القضايا التي دارت حوله ، مثـــل الوضع على الشعراء ، والتي أثّرت عليه في ناحيتين ـ

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الأولى : وهي أن اتهامه بالوضع كان دافعا للكثيرين من كتاب الأدب والشعر لترك رواياته الشعرية .

والثانية : أن خلفاً - مع سِعَةِ روايتِهِ - كان ضنينا بأدبه على الناس ، وغير مُرتادٍ لمجالس السَّاسَة مما أثّر في قِلّة تسجيل أخباره وعدم وصولها إلينا على غير ما كان عليه رفيقه الأصمعيّ .

ومع ذلك ، فقد تأكّد لي أنّ لتلك الأخبار القليلة أهميّةً كبيرةً يُمكن من خلالها بيانُ كثيرٍ من جوانب حياته التي تتصل بقضايا الشعر والأدب واللغة .

أما مصادر هذا البحث ، فتنقسم إلى مجموعات يمكن ذكر أهمّها مرتبة على النحو التالي :-

١. كتب الأدب : وأقربها إليه كتاب " طبقات فحول الشعراء " لمحمد ابن سلاّم الذى شهد خلفا ودرس عليه فسجّل لنا بعضا من القضايا له .
: كتب الجاحظ ، البيان والتبيين والحيوان .
: كتاب الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني الذى حمل جملة من أخبار خلف التي لم تذكرها بقيّة المصادر ، وقد حملت هذه الأخبار طابعا مميّزا في دلالاتها ، إذ مالت إلى صورة خلف في جانبها المشاكس .
: ابن قتيبة وأهم كتبه : الشعر والشعراء .

٢. كتب الطبقات والتراجم وأهمّها :
طبقات النحويين واللغويين . للزبيدى .
طبقات الشعراء . لابن المعتز .
مراتب النحويين . لأبي الطيّب اللغوى .
أخبار النحويين البصريين . للسيرافي .
إنباه الرواة على أنباه النحاة . للقفطي .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

نُزهة الألبّاء في طبقات الأُدباء لأبن الأنباري .

معجم الأدباء لياقوت الحموى .

٣. كتب التاريخ وتاريخ الأدب :

وقد وصلتنا هذه المصادر بحياة البصره عامة وحياة الادب فيها خاصة ومنها : كتاب الأمالي لأبي علي القالي والموشح للمرزباني والعقد لابن عبد ربه والمزهر للسيوطي والأشباه والنظائر للخالديين.

أمّا كتب التاريخ فكتاب الكامل لأبن الأثير، وكتاب تاريخ الرسل والملوك للطبري، وتاريخ بغداد،وفتوح البلدان.

٤. كتب الشعر : ويكاد يكون كتاب اليغمورى "نور القبس المختصر من المقتبس" أهم كتاب في مجال الشعر اذ جمع لنا عددا لابأس به من القصائد التي نسبت لخلف .

ومن كتب الشعر أيضا : ديوان أبي نواس الذى ضمّ قصيدتين مدح بهما خلف، وثمة دواوين ذكرت خلفا الراوية مثل : الوحشيات لأبي تمام والأصمعيات للأصمعي وديوان الحماسة لأبي تمام أيضا . كذلك ديوان تأبط شرّا ولاميّة العرب للشنفرى وشعر زياد الأعجمي وديوان ذي الرّمّة .

ولعل أهم المراجع الحديثة هو كتاب الدكتور ناصر الدين الأسد " مصادر الشعر الجاهلي "، وتأتي أهميته من أنه تعرّض لمسألة التّهم التي لاحقت خلفا في روايته للشعر ، فناقش مجموعة النصوص التي دارت حول تلك المسألة ، عارضا لما ينقضها من نصوص أخرى ، وموجّها للأسباب الداعية الى التهم التي وردت عن علماء البصرة .

وقد أفدت من هذا الكتاب كثيرا ، لما فيه من نظرات موضوعيّة وعلميّة تتوفر فيها دلائل الصدق .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وبعد أن تبيّنت معالم مادة البحث ،قمتُ بتقسيمه إلى فصولٍ خمسة :-

في الفصل الأول تحدثت عن هُويّة الرجل ، اسمه ، وأصله ، ونَسَبه ، ونشأته ، وذلك مما توفر لي في ذلك ، وعرفت أنّ الرجلَ فرغانيّ نشأ في البصرة بين حلقات علمائها ، ولما كان حبّه للعربية شديداً خرج إلى البيئة البدوية ليكمل تحصيله في الشعر واللغة والأخبار، واتصل بأهلها داخل البصرة حين كان يفد هؤلاء إلى أسواق المدينة .

ثم تَعرّضْت للحديث عن أقرانه من العلماء الذين خالطهم أمثال الأصمعيّ وأبي عبيدةَ "مَعْمَر بن المُثنّى" وبشار بن برد واليزيديّ وغيرهم .

وقد تبيّن لي أن خلفا كان صاحب شخصية قويّة يرهبها الآخرون كذلك فهو حادُّ الطّبع عصبيُّ المزاج ، يملك لساناً سليطاً يُناكف به أولئك الذين يتعرضون له ، كما كان ميّالا إلى حُبّ المُشاكسة ومضايقة الآخرين.

في الفصل الثاني تحدثت عن راوية الشّعر ، فعرضت لمكانته في الرواية والتي أجمع فيها أهل زمانه على أنه أروى النّاس للشّعر وأحفظهم، حتى وصل الأمر عند بعضهم إلى اتّهامه بالوضع والتزيّد على الشعراء بما ليس لهم .

وقد مال هؤلاء إلى موثّق وطاعنٍ ، فعرضت فيما جمعت من نصوص إلى الاتّجاهين وناقشت هذه النصوص سندا ومتنا في محاولة للخروج منها بنتائج يمكن حصرها وبيان مدى صدقها ، أو ضعفها وذلك بتطبيق مآخذ تلك الأخبار على مجموعة الأشعار التي اتّهم خلفٌ بوضعها على غيره .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وكان لضياع كتابه :" جبال العرب وما قيل فيها من الشعر" أثر بالغ في تكملة الصورة الحقيقية لخلف الراوية، إذ يدل العنوان على أنّ خلفاً قد جمع في هذا الكتاب الشّعرَ الذى قيل في جبال العرب ، ويدل ذلك على أنه كان يَفْصِلُ بين الشعر الّذى يرويه والشعر الذى يُنْشِئه لنفسه .

أمّا الفصل الثالث فقد خصصته للحديث عن خلف الشاعر . وقد قيل عنه : أشعرُ العلماء ، وقيل : أكثرُ العلماء شعراً، وكان يعتقد بأنّ للشّعر شيطاناً يوحي للشاعر ، وأفْرَدْت الحديثَ عن موضوعات شعره التي آتصل معظمها بالهجاء والوصف ، ولاسيّما موضوع الحيّات وبعض أنواع الحشرات والهوام الأخرى التي تحدّث عنها ووصفها بمقطعات كثيرة ظهرت فيها براعته ودقته في رسم حركات تلك الهوام .

ثم تبينت أساليبه في الشعر ، والذى أظهر قدرة على محاكاة الشعر الجاهلي القديم ، كذلك قدرته على مسايرة الشعر الحديث الآخذ بتطوّر الحياة الاجتماعية في عصره ، وكان لضياع ديوانه الشعرى أثر سلبّي في الابانة عن شاعريته بشكل أكمل .

في الفصل الرابع عرضت لخلف الناقد ، الذى لاينفك عن صفاته الأخرى ... الشاعر والراوية ، فقد صدر في معظم أحكامه عن ثقافةٍ عميقة وعلى رأسها ذاكرته التي حفظت الكثير من شعر العرب السابق له ، وتمرّسه في خوض موضوعاته، مما كوّن لديه فراسة نابهة .

ومع ذلك فقد أخذ بمعايير علماء العصر على الشعر والشعراء عامة رغم سطحيّة تلك المواقف النقدية وضعف علتها .

وقد آحتلت قضيّة القديم والمحدث موضعاً متقدماً من حيثُ أهميتُها بالنسبة للعلماء ، كذلك ظهرت قضيةُ المفاضلة بين الشعراء .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أمّا الفصل الخامس والأخير ، فقد عرضت لخلف اللغوي والنحويّ ، وبينت مكانته فيهما بين علماء عصره ، ثم ناقشت كتاب " مقدمة في النحو " المنسوب إليه ، وتبيّن خطأ تلك النسبة من خلال عدد من الأدلة التي كشفت عنها مضامين الكتاب وأسلوبه .

وقد اعتمد أصحاب المعاجم اللغوية على خلف في شرح كثير من الألفاظ ، كما استشهدوا برواياته الشعرية أو بأشعاره الخاصة ، مما جعلني أُلحق رسالتي بمجموعة الألفاظ التي اتصلت به من لسان العرب .

وبعد :

فاني اذ أرجو الله جلّ وعلى قبول جهدى الذى صرفت، لأمني النفس بأن تصيب في بعضه ، فلست أدعيّ تمامه ، ولست الا طالب علم ، يستقي من ينبوع المعرفة الكبير ، وتجاوز صوابهما زلّة المتعلّم التي لايمكن أن تنتهي .

وفضل هذا الجهد كلّ يجمع بأساتذتي الأفاضل ، فكل الشكر والتقدير لاستاذى الكريم الدكتور نصرت عبدالرحمن الذى أعطاني من جهده ووقته الكثير حتى أحسست معه بولاء الأبوّة والعلم معا ، إذ ملكت من وقته ما أغناني في توضيح كثير من المسائل التي عرضت لي في هذا البحث .

كذلك أشكر أستاذى الكريم الدكتور إبراهيم السامرائي الذى أشرف على رسالتي في البداية ، فله الفضل فيما بذله في تلك الفترة وله الحبّ والوفاء والتقدير .

كما وأشكر أستاذى الفاضل الدكتور جاسر أبو صفيّة الّذى أعانني كثيراً في مراحل إعداد هذه الرسالة منذ كانت فكرة ، ففتح لي باب مكتبته وشرح لي صدره فيما كنت أعرض له من مسائل ، وكذلك قراءة رسالتي بصفة المناقش .

وكلّ التقدير والأحترام لأستاذى العزيز الدكتور عبد الجليل عبد المهدى لقبوله مناقشة رسالتي ،فله الشكر على ما بذله من جهد وافر.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كما وأشكر أساتذتي في قسم اللّغة العربية ممن قدموا لي المساعدة في شرح بعض المسائل التي عرضْتُها عليهم ، وليست هذه الا صفةً حبيبةً إلى قلوبنا نحن الطلبة اعتدناها منهم .

وإلى كل أولئك الذين شاركوني طريق هذا البحث ، أزجي المحبّةَ والاعتزاز بهم ، فلهم مني كلُّ شكرٍ وتقدير .

واللهُ الموفّق ، والحَمْدُ لله ربّ العالمين .

محمد علي سعيد

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

هويـــــة الرجـــل

خلف الأحمر علم من أعلام العربيّة المعروفين في القرن الثانـــي الهجرى ، وقد اضطربت ترجمته في مصادرها الأولى، والتبس الأمر فـــي تحقيق آثاره بسبب وجود لقب الأحمر لأكثر من شخص .

أمّا عن اسمه فقد أتفقت المصادر على أنّه " خَلَف بن حيّـــان"(١) وكنيته " أبو مُحْرِزٌ " وقد غلب ذكرهُ بها، ولكن أبا الطيّب اللغـــوى ذكر له كنية ثانية هي " أبو محمد "(٢) ويبدو أنّ مُحمّدا هذا ولـــدٌ ثانٍ لخلف كنّي به أحيانا وهذا أمر معقول وقريب ، ويبدو أنّ كنيتـــه التي اشتهر بها " أبو مُحْرِزْ " كانت الأعمّ لأنّها ارتبطت باسم جـــدّه ، فقد ذكر القفطي : " خَلف الأحْمَر بن حَيّـان بن مُحْرِز أبو مُحْرز".(٣)

وبذلك يكون معلم الأسماء قد ظهر واضحاً ، فأسمه خلف وأبـــوه حَيّان وجدّه مُحْرِز ، له من الأولاد أثنان : مُحرِز ومحمّد فكنّي بالأول وبالثاني أحياناً،كما رأينا في ترجمة القفطي .

أمّـا لقبه (الأحمر) الذى أشتهر بـــه وعُرف به في المجتمـــع آنذاك فإنّه بإجماع المصادر مُتّفق عليه ، بل إنّ كثيرا ممن أوردوا أخبـــاراً لخلف أستغنوا عن ذكر أسمه بقولهم " خلف الأحمر " وربما قالوا " الأحمر".

وكلمة "الأحمر" تطلق في مجالات عديدة ، وما يهمّنا منها هنـــا إطلاقها لَقَبـــاً ، ويبدو أنّ هذا الإطلاق لم يقتصر على صاحبنـــا خلف ، فقد سمّي غيـــره بالأحمر ، كما لُقّب آخرون به ، وهـــي كنية لغيرهم ، ومن أشهر أولئك الّذين أرتبط أسمهم بالأحمر ":

---

(١) طبقات فحول الشعراء ، ابن سلاّم،١ : ٢٣ ، الشعر والشعراء ، ابـــن قتيبة ،٢: ٦٧٣. نزهة الألبّا في طبقات الأدبا ، ابن الانبـــارى: ٦٩ ، الفهرست ، النديم،: ٥٥. معجم الأدباء ، ياقوت الحمـــوى ، ١١ : ٦٦.

(٢) مراتب النحويين ، أبو الطيّب اللغوى،: ٤٦.

(٣) انباه الرواة ، القفطي،١ :٣٤٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

عليّ بن الحسن بن المبارك الكوفيّ ، أحد تلاميذ الكسائي ، وقد ذاع أسمه في النحو حتى قيل شيخ النحاة في عصره ، وقام بتأديب المأمون ، توفي سنة ١٩٤هـ.(١)

أبان بن عثمان اللؤلؤي .(٢) امامي.

إسحق بن محمد بن أحمد بن أبان النخعي الملقب بالأحمر، رأس الطائفة الاسحاقية .(٣)

اسحق بن مرار ويكنّى : أبا عمرو الشيباني .(— ٢٠٦هـ) وهو عالم معروف

ومادة " حَمَرَ " ذات دلالات كثيرة ، وما يهمنّا منها هو معنى الاسم فقولهم : أحمر يدلّ على الحمرة ، وهو لون ، ويطلق على من كانت بشرته حمراء وهي صفة ، وقد ذهبت مذهب الاسم كما في قول الأعشى :

إنّ الأحامِرةَ الثّلاثة أهْلَكَتْ مَالي وكُنْتُ بهنّ قِدماً مُولَعا .

وقيل : الحمراء : العَجَم ، سمّوا بذلك لأن الشقرة أقرب الألوان عليهم ، ومنه قول عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه : " غلبتنا عليك هذه الحمراء"(٤) وقول زياد بن أبيه : انّ هذه الحمراء ، قد كَثُرَت وأفسدت من ألسن العَرب "(٥).

ويبدو أنّ إطلاق اللّقب هذا على خلف إنّما جاء من كونه أعجميا وهذا هو الأقرب ، فلم نحصل على ما يُفيد بأنّ لون بشرة خلف كان مَيّالاً إلى الشُقرة .(٦)

أمّا قولهم : البصريّ فنسبة إلى نشأته ، فقد نشأ خلف في البصرة وعاش معظم سنين عُمره فيها فصار عندهم بصريّا(٧)، وسنرى فيما بعد أنّه مِمّن وفدوا على البصرة وظلّ بها حتى أشتهر أمرُه من خلالها.

---

(١) المغني، ١:٠٨٨.
(٢) تهذيب اللغة ، الأزهري ، ٥:٥٤ ومابعدها ،وانظر سفينة النجار١:٨، الاعلام١ ٠٢٧
(٣) مقدمة كتاب الجيم، : ٩ ، البداية والنهاية ١١:٨٢ ، الاعلام ١:٠٢٩٥
(٤) مقدمة كتاب الجيم لأبي عمرو الشيباني : ٠٩
(٥) انظر مادة حمر ، معجم مقاييس اللغة : ٢ :١٠١،وانظر
(٦) روضات الجنات ، ٣:٠٢٨١
(٧) بغية الوعاة ، السيوطي : ٢٤٢ ، روضات الجنات ، ٣:٠٢٨٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد زاد بعضهم على ما ورد من اسمه قولهم : " الشيخ الثقة المُقرِئ أبو مُحرز خلف بن حَيّان الهلاليّ "(١)، ولم أجد ذلك في غير هذا الموضع ، ولا أدرى من أين جاءت هذه النسبة ، فالمعروف أنّ خلفاً كان مولىً للاشعريين الذين جاوروا قبائل الأزد في سُكناهم ، وقد سكنت قبائل الأزد في الشمال الغربّي من مدينة البصرة قرب الجامع الكبير . كما أنّ الهلاليين الذين أُشيرَ إليهم في النصّ السابق لم يكونوا أصحابَ خِطَطٍ في البصرة مما يمكن تفسير نسبة خلف إليهم .

٣٧٨١١٩

والحديث عن مدينة البصرة يطول ، وقد أغنانا عنه كثير من الكتب القديمة والحديثة ، فعهدها بالإسلام قديمٌ ، وذلك حين فتحت على يد عتبة بن غزوان سنة ١٤ للهجرة .(٢)

وقد مّرت على المدينة عوامل كثيرة مختلفة كوّنت تركيبة اجتماعيةً معينةً أهمها تلك الأصول المختلفة لساكنيها ، فقد عمّتها أصول عربّية كثيرة وأخرى أعجمّية مختلفة اللّسان والفكر.

وكانت البصرة قد قُسِّمت بعد الفَتْح إلى خطط يتجمع فيها أبناء القبيلة الواحدة ممن اشتركوا في الفتح ، فكان لكل من الأزد وتميم وبكر وعبد قيس خطط سمّوها لأنفسهم وتملكوا بها ، لتضّم كل واحدة منها فيما بعد مجموعات أخرى من القبائل العربية أو الجماعات الأعجميّة الوافدة الى المدينة ، فكان الاشاعرة قد جاوروا الأزد في سكناهم شمال غرب المدينة ، وكذا فعلت بقية القبائل فسكنت تميم الجنوب الشرقي من المدينة ، وسكنت بكر القسم الأوسط من الجهة الشمالية الشرقية من المدينة ، وسكنت عبدالقيس في الطرف الشمالي الشرقي .(٣)

---

(١) روضات الجنات ٣ : ٢٨٠.

(٢) معجم البلدان ، ١ : ٤٣١ ، طبقات ابن سعد ، ٥ : ٣٠ ، ١٣٨.

(٣) خطط البصرة ، ل . ماسنيون : ١٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

هؤلاء هم العرب ، أمّا العجم فكان لهم كذلك موقعهم ودورهم الهامّ في تكوين المدينة ، فمنهم من كان بها أصلا كالنبط والهنود واليونانيين والفرس ، ومنهم من وَفَد إليها من البلاد التي فتحها المسلمون فيما بعد ، إضافة إلى بعض المرتحلين اليها بهدف التجارة أو غيرها .

وبذلك يتّضح لنا شكل المجتمع الخارجيّ الّذى أسّس المدينة في بداية عهدها بالإسلام .

والّذى يهمّنا من تاريخ هذه المدينة هو ذلك الوضع الذى كانت عليه في القرن الثاني الهجرى الذى يتصّل ببحثنا .

فقد ظلّت تركيبة المجتمع آنذاك قريبة من تركيبة النشأة التي بدأتها المدنية التي أدّت إلى تطوّر سريع كان له شأن في مسيرة الحضارة الاسلامية ،فقد أجتمع بها حشدٌ هائلٌ من العلماء والمؤدبين والفلاسفة والساسّة ..... وغيرهم .

ولعلّ الجانب العلمي هو أزهى صورة يمكن للمرء الخوض فيها فهي تتصل بصاحب البحث خلف الأحمر ، ثم هي توسّع آفاق الحديث وتكشف لنا الصورة الحقيقية للمسيرة الثقافية في المدينة فقد سبق وجود خلف في البصرة عدد من العلماء المسلمين الذين كان لهم الفضل في المشاركة الحقيقية في علوم العربّية المختلفة ، أمثال أبي الأسود الدُؤلي المتوفى سنة ٦٩ هـ وعبد الله بن اسحق الحضرمي المتوفّى سنة ١١٧ هـ ، اللذين اهتما بالنحو وتبعهم في ذلك عيسى بن عمر الثقفيّ وأبو عمرو بن العلاء والخليل بن أحمد الفراهيدى ويونسُ بن حبيب وسيبويه وخلف الأحمر والاخفش وأبو زيدٍ الأنصارى .

ولم يكن اهتمامُ العلماء في تلك الفترة بالجانب اللغويّ والنحوي عبثا ، بل إن له مبررات كانت تحتّم عليهم القيام بمُهِمّة حفظ اللغة ، وتثبيت قواعدها حتى لاتكون عُرضةً للفساد بسبب اللّكنة الدخيلة على اللسان العربي أو تداخلها مع لغاتٍ غير عربية من السّكان الوافدين

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

من غير العرب ،كذلك المحافظة على موروث الشعر الجاهليّ والإسلاميّ والاستشهاد به لقربه منهم ومحاولة حفظه والتثبت منه،وذلك بالخروج إلى البوادي ممن لم تختلط بحضارة المدينة فبقيت نقية يمكن الاعتماد عليها سواءً أكان شعراً أم لغةً أم أخباراً ، الأمر الذى حدا بأهل البادية إلى الارتحال إلى البصرة ليكوّنوا مصدراً جديداً من مصادر العربية .

كما لم يَقْتصرُ الاهتمام باللغة على العلماء ، بل إنّ الخلفاء والولاة والحكّام المختلفين كان لهم دور في هذا الاهتمام فقد أرادوا لأنفسهم لغة سليمة واهتّموا بالشعراء والرواة والعلماء للمحافظة على جلال لغتهم وحفظها من أسباب افسادها التي تكوافرت في هذا القرن .(١)

وقد لمع من هؤلاء العلماء عَدَدا خلف الأحمر : أبو عمرو ابن العلاء المتوفى سنة ١٥٤ هـ،و حمّاد الراوية المتوفى سنة ١٥٤ هـ،والمفضل الضبيّ المتوفى سنة ١٦٨ هـ من أهل الكوفة،و أبو بشر : عمرو بن عثمان سيبويه المتوفى سنة ١٨٣ هـ ، و أبو عبيدة مَعْمَر بن المُثنّى المتوفّى سنة ٢٠٩ هـ ، وعبد الملك بن قريب الأصمعيّ ت ٢١٤ ، و أبو زيدٍ الأنصارى ت ٢١٥ ، وعلي بن حمزة الكسائي المتوفى سنة ١٨٩ ، من أهل الكوفة .

أصله ونشأته :

في هذا الجوّ عاش خلف فأظلّته المدينة بظلال الجهود التي تحدثنا عنها، وبما أن الأخبار لم تُسعفنا لمعرفة ظروف حياته الأولى، فإننا لن نتمكن من التكهّن بها ، وكلّ ما نستطيع قوله أنّ حياة الرجل امتدت من القرن الثاني الهجرى إلى سنة ١٨٠ هـ وهي سنة وفاته .

أمّا سنة ولادته وما سبقها من أحداث في حياته ، فقد عرفنا أن لقب الأحمر كان يطلق على الأعاجم آنذاك ،وقد دلّت المصادر على

---

(١) نزهة الألبّاء: ٠٢٧

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أن خلفا لم يكن عربّي الأصل ومن ذلك :

" خلف الأحمر كان مولى لبلال بن أبي بردة بن أبي موسى الأشعريّ ، أعتق أبويه وكانا فرغانيين ".(١)

" خلف بن حيّان ..... مولى أبي موسى الأشعرى ، وقيل مولى بني أميّة ، وقيل أصله من خراسان من سبي قتيبة بن مسلم ".(٢)

" خلف الأحمر ... مولى بلال بن أبي بردة بن أبي موسى الاشعريّ، من أبناء المعتمد الّذين سباهم قتيبة بن مسلم ، فوهبه سَلْم بن قُتيبة بن مُسْلِم لبلال ".(٣)

" قال الأصمعي : كان خلف مولى أبي بردة بن أبي موسى الاشعريّ، أعتقه وأعتق أبويه وكانا فرغانِيَيْن ".(٤)

" أبو مُحْرز البصرى ..... مولى أبي بردة بلال بن أبي موسى الأشعرى أعتق بلال أبويه وكانا فرغانيين ".(٥)

والناظر في هذه النصوص يلاحظ الاضطراب الذى وقعت فيه ، فتارة تشير الى أن خلفا كان مولى لبلال بن أبي بردة بن ابي موسى الأشعرى ، وأخرى الى أنّه وأبويه كانوا موالي لأبي بردة بن ابي موسى الأشعرى أي والد بلال ، وثالثة تقول بأنه كان مولى لأبي بردة بلال بن ابي موسى الاشعرى ورابعة فيها تعميم اذ تقول بأنّه كان مولى لبني أميّة .

ومع هذا الاضطراب ، فإن أمر ولاء خلف أمر متفق عليه ، فهو مولىً للاشعريين ، أمّا لمن منهم فإن الاجابة على ذلك تحتاج إلى

---

(١) نزهة الألبّاء: ٦٩.
(٢) الفهرست: ٥٥.
(٣) انباه الرواة ، ١: ٣٤٨.
(٤) الشعر والشعراء ، ٢ : ٦٧٣ ، مراتب النحويين: ٤٦ ، طبقات الشعراء ابن المعتز: ١٤٨.
(٥) معجم الأدباء ، ١١ : ٦٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

معرفة المدّة الزمنية التي حدثت فيها مراحل وفادة والدى خلف البصرة وهو الذى لم تأت على ذكره أىّ من المصادر القديمة .

وفرغانة : الموطن الأصلي لخلف ، وعلى ما يبدو أنها ليست مدينة واحدة ، بل اقليم يضمّ عددا من المدن والقرى ، يقول ياقوت :" فرغانة : بالفتح ثم السكون ، وغين معجمة ، وبعد الألف نون ، مدينة وكورة واسعة بما وراء النهر متاخمة لبلاد تركستان في زاوية من ناحية هَيْطَل من جهة مطلع الشمس ، على يمين القاصد لبلاد التّرك "(١)، كما ذكر أن فرغانة في الاقليم السادس وهو عَربضٌ موضوعٌ على سِعَة مُدنها وقراها ، وليس ما وراء النهر أكثر من قرى فرغانة التي تقع ضمن مجموعة قرى السُّغد وقيل الصّغد .(٢)

وقد وُصفت بأنّها بلادٌ جميلة خضراء ذات طبيعة خلابة ، يكثر فيها الماءُ والشجر الكثيف المُتّصل .

وكان فتح فرغانة سنة (٩٤هـ) ، على يد قتيبة بن مسلم الذى جمع لها جندا من بُخارى قُدِّر عددهم بعشرين الف مقاتل (٣)، فاقتتل مع اهل مدن فرغانة حتى دانت له سنة (٩٥هـ) ، وهي السنة التي توفي بها الحجاج بن يوسف الثقفي الأمر الذى دعا قتيبة للعودة الى بغداد .(٤)

وبذلك يكون خلف فارسّي الأصل ، وصل إلى البصرة ضمن سَبْي المسلمين الفاتحين ، وهذا أمر يحتاج الى وقفة تجلّي هذه الفترة من حياة خلف .

فقد ذكرنا انّ فَتْح فرغانة كان في سنة (٩٤هـ)، وهي سنة متقدمة

---

(١) معجم البلدان ، ياقوت الحموى ، ٤:٢٥٣٠

(٢) معجم البلدان ، ٢٢٢ ، ٢٥٣ ، ٤٠٩٠

(٣) تاريخ الطبرى ، ٤:٢١ ، الكامل في التاريخ ، ٤:٥٨١٠

(٤) الكامل في التاريخ ، ٤:٩٨٣٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

نسبيا إذا ما قسناها بسنة وفاة خلف (١٨٠ هـ)، لذلك لانستطيع الحكم على أن خلفا كان في الدنيا سنة الفتح أم لا ، ويؤكد ذلك اختلاف المصادر في ذكر المسألة .

فهذا ابن قتيبة ينقل الخبر عن الأصمعي ، يقول : كان خلف مولى أبي بردة بن ابي موسى الأشعرى ، اعتقه واعتق أبويه ، وكانا فرغانيين "(١). وهذا القفطي يقول : " خلف الأحمر ..... مولى بلال ابن أبي بردة(٢) بن أبي موسى الأشعرى ، من ابناء القصد الذين سباهم قتيبة بن مسلم ، فوهبه سلم بن قتيبة بن مسلم لبلال ".(٣)

وظني في المسألة أنها تنقسم الى قسمين رئيسيين ، الأول أن اثبات صحة السبي والوهب غامضة تحتمل تفسيرين مختلفين . فربما يكون السبي لوالدي خلف من قِبَل قُتيبة بن مُسلِم الذى وَكّل بهما ابنه سَلْماً الذى وهبهما فيما بعد لبلال بن أبي بردة بن أبي موسى الأشعرى ، او أن قتيبة قد وهبهما لأبي بُردة والد بلال واسمه عامر بن أبي موسى الأشعرى .

واذا عرفنا أنّ بلالا قد ولي القضاء في البصرة سنة ١٠٩هـ ومات سنة ١٢٦ هـ ، وان سلم بن قتيبة قد ولي البصرة سنة ١٢٧ هـ — ١٣٢هـ انكرنا الظنّ الأول واخذنا بخبر ابن قتيبة عن الأصمعي في أنّ ولاء خلف انما كان لأبي بردة بن أبي موسى الأشعرى الذى اعتقه واعتق أبويه ، وهو الأقرب إلى المنطق ، وأن مسألة الوهب التي تمت بحق والذى خلف لايمكن أن تظلّ متأخرة هذه السنين التي تمتد من الفتح سنة ٩٤ هـ ، وحتى العشرة الثانية للقرن الثاني الهجرى .

ومما يؤكد خَبَر إعتاق أبي بردة لخلف ووالديه أنّ بلالاً الإبن لم يَلْحق والديّ خلف ، وربما لحق خلفاً ، لذلك أجدني ميّالا إلى

---

(١) الشعر والشعراء ، ٢:٦٧٣ ، مراتب النحويين ، ٤٦ ، طبقات الشعراء ، ابن المعتز ، ١٤٨.

(٢) انظر: ترجمته ، وفيات الأعيان ، ٣:١٠ — ١٢ ، خزانة الأدب ، ٢:٣٥— ٣٦ ، الكامل في الأدب ، ٥٦٨.

(٣) انباه الرواة ، ١:٣٤٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الى القول بأن أبا بردة قد اعتق والدى خلف ومعهما خلف الذى كان صغيرا وقتئذ.

كل ذلك يجعلنا نبتعد عن الخوض في تفاصيل حياة خلف الأولى ، فهو كما نرى مجهول تاريخ الولادة والمكان ، مجهول النشأة والتربية الأولى لعمره ، وكل ما نستطيع قوله أنّ الرجل أُعتق من قبل أحد الأشعريين وهُما عامر الأبأو بلال الابن دون تغليب احدهما على الآخر لاختلاف وجهات النظر في المسألة التي تحتمل الوجهين .

ومع ذلك فإن إعتاق خلف جاء مبكرا . وربما غير مدرك لمعناه ، مما يؤكد نشأة حرّة لا تحمل في ثناياها معنىً للعبودية أو غيرها ، بل إنّ انقطاع الوصل بين خلف وبلال الذى توفي سنة ١٢٦ هـ يؤكد هذه النشأة ، فلا نجد في حياة خلف الأحمر ذِكراً ولو في موضع واحد لمولاه .

ولعّل ما يهمّنا من أمر ولاء خلف للأشاعرة ، هو تعرّف مواضع التأثر التي تتصل بحياة خلف ، وقد ذكرنا سابقا أن الأشاعرة جاوروا الأزد في موضع سكناهم في مدينة البصرة ، أي انهم سكنوا الشمال الغربي للمدينة قرب الجامع الكبير(١)، وهذا خبر يحمل أهمية خاصة إذ أرتبط بولاء خلف للأشعريين وسكنه معهم في ذات الخِطّة قرب الجامع الكبير الذى شهد أوج مجده وشهرته من خلال العلماء الذين تحلّقوا فيه واخذوا يعلمون الناس اللغة والأدب وعلوم الدين وغيرها مما كان أثره جليّا في نشأة جيل المدينة الذين برزت أسماؤهم في هذه العلوم المختلفة .

ويبدو أنّ حلقات المسجد آنذاك لم تكن تقتصر على المعلم وتلاميذه ، بل كان يجلس فيها معلمون آخرون رغبوا في الأخذ عن

---

(١) خطط البصرة : ٢٤ ، وانظر ، الحياة الأدبية في البصرة : ٧٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المعلم الأول ، فقد كان أبناء الجيل الواحد نموذجا متميزا في التعلّم والتعليم ، فهذا خلف الأحمر يجلس في حلقة أبي زيد"(١)، مع أن الاثنين معلّمان وأن خلفا يَكْبُرُ أبا زيدٍ سِنّا ، كما انهما تلميذان أخذا النحو عن يونس بن حبيب ، فأبو زيد يقول : " جلست إلى يونس بن حبيب عشر سنين ، وجلس إليه قبلي خلف الأحمر عشرين سنة "(٢).

وهذا يكشف لنا عن كيفيّة تعلّم خلف ، فكان يجلس إلى حلقات العلماء ويأخذ عنهم ، وفيما يلي ذكر شيوخ خلف الذين أخذ عنهم .

حمّاد الراوية :

راوية من أهل الكوفة ، ذكره ابن سلاّم في طبقاته قال : " وكان أول من جمع أشعار العرب ، وساق احاديثها ، حماد الراوية ، وكان غير موثوق به ، وكان يَنْحَلُ شعر الرّجل غيره ، ويَنْحَلهُ شِعْرَهُ ويَزيدُ في الأشعار."(٣)

ويبدو أن اتصال خلف بحمّاد لم يحمل طابعا شخصيا ، بل اتصل بالجانب العملي ، فهذا خلف الأحمر يقول : " كنت آخذ من حمّاد الراوية الصحيح من أشعار العرب واعطيه المنحول ، فيقبل ذلك مني ويدخله في أشعارها وكان فيه حمق ".(٤)

ومهما يكن من أمر هذين النصين ، فإن الذى يهمنا أن خلفا قد أخذ من حمّاد شعرا صحيحاً حسب ما يدّعي خلف ، أمّا الجانب الثاني وهو الذى يحمل في معناه لَبْساً لايتفق مع سياق المعنى

---

(١) اخبار النحويين البصريين: ٤٦ ، نزهة الألبا: ١٢٦.
(٢) وفيات الأعيان،٦:٢٤٢ ، انباه الرواة،٤:٧٧.
(٣) طبقات فحول الشعراء،١:٤٨.
(٤) الأغاني،٥:١٧٣ ، ١٧٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

العـــــام فكيف لحمّاد وهو الّذى يحفـظ الصحيح ولايعطي لخلف غيـــــر الصّحيح أن يأخذ الموضوع من تلميذه خلف ، الأمر الذى يدعونـــــا للتشكك في النصف من خلال الهدف الذى وضع له ، ثم ان حمادا وهـــــو الذى عرفته العرب بحفظه أشعار الجاهليين وأخبارهم قد بدأ مـــــع خلف أسلوبا حديثاً في التعليم وذلك حين جاء اليه خلف فسمـــــع منه وكان حماد ضنينا بأدبه .(١)

فكيف بهذه الصِلة أن تَتّفق مع القَدْح الّذي رَمَى به خلفٌ شَيْخَه !

ولم تكن تلك الأقاويل التي لازمت حمّاداً الراوية مجرد مآخـــذ مردودة ، بل اتسعت منذ ذلك الحين أحاديث الوضع والنحل والكـــذب حتى وصلت صاحبنا خلفا ، كما سنرى في فصول الرسالة التالية ، وذلـــك حين توجّه إليه البعض بمثل الذى رمي به حمّاد الراوية .

ومسألة الوضع كبيرة تحتاج إلى تدقيق كثير ، ومزيد مـــن البحث والاستقصاء كما فعل بعض أساتذة الأدب في هذا العصر ، أمثـــال طه حسين ومصطفى صادق الرّافعي وغيرهم ممن بحثوا القضية بموضوعيـــة علمية كما فعل الدكتور ناصر الدين الأسد في كتابه مصادر الشعـــر الجاهلي .

وفي هذا الباب مسائل تتصل بالفصل الثالث من رسالتنـــا نتوسع فيها إن شاء الله .

حمّادٌ الّذى ضن بأدبه على المتعلمين فلم يأخذ منه ســـوى خلف الأحمر وعبد الملك بن قريب الأصمعيّ (٢)، ومـ فقد ظل حمـــادٌ عَلَماً من أعلام الرواية الشعرية وممن أسّسوا لهذا العِلْم طريقَهُ ، فبـــرع فيه وأكثر ، فقد قَدِم حمّادٌ إلى البَصرة وكان عليها بلال بن أبـــي بردة .(٣) وهي مُدّة تتصل بشباب خلف الأحمر ، فكما نعلم أن بلال بـــن

---

(١) نزهة الالبّاء: ٧٠ ، معجم الأدباء، ١١:٠٦٨

(٢) مراتب النحويين، ٠٧٢

(٣) طبقات فحول الشعراء، ١:٠٤٨

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أبي بردة ولي قضاء البصرة سنة ١٠٩ هـ، والحقيقة أننا لاندرى إن كان لقاؤه بخلف قد تم في هذه الزيارة أم غيرها فيما بعد، والظنّ أنه لم يتم لقاء بينهما؛ إذ من البديهيّ أن يكون خلف في هذه الفترة صغيرا لايعرف كيف يتصل برجل كحمّاد .

ثم ان الاتصال بينهما جاء متأخرا يدل عليه معنى القول الذى مضى في أن مسألة أخذ خلف عن حماد إنما كانت عملية مبادلة ، فكما كان خلف يأخذ عنه كان يعطي وهذا يدل على ان خلفا كان كبير السّن مُدْركاً لعِلْمه .

لهذا قلت بأن هذا الأمر كان متأخرا في حياة خلف، وان المرحلة المتقدمة إنما هي التي عناها حين ذكر انه جاء إلى حماد وسمع منه وهو أسلوبٌ جديد ظهر على يد خلف الأحمر فسمع من حماد وحفظ ما سمعه لينقله فيما بعد إلى تلاميذه ، وهذا هو أسلوب نقل الحديث النبوى متسلسلا في سنده حتى يتصل بصاحب النصّ ، إلا انه هنا مختلف اذ لايتصل بصاحب النص بل يقف عند حماد الراوية ، فصدق الرواية يعتمد على صحتها عند حماد، فمنزلة حماد عند خلف كبيرة إذ يعدّ المَصْدر الأول في تَعَلّم رواية الشّعر والأخبار.

عيسى بن عمر الثقفي :(١)

علم من أعلام اللغة والنحو ، عاش في البصرة وقد ذكره ابن الانبارى بأنه عالم ثقة ، عرف علوم اللغة والنحو والقراءات ، فصيح يتقعّر في كلامه (٢)، وقد أخذ عنه صاحبنا النحو فقد جاء في كتاب مراتب النحويين : " أخبرنا محمد بن يحيى قال : أخبرنا محمد بن يزيد. قال : كان خلف قد اخذ النحو عن عيسى بن عمر".(٣)

ويبدو أن لخلف الأحمر طريقة خاصة في التعلم رسمها لنفسه ،

---

(١) انظر ترجمته في نزهة الألبّاء:٢٨ ، معجم الادباء،١٦ :١٤٦، مراتب النحويين،:٢١ ، روضات الجنات،: ٥٥٧، اخبار النحويين البصريين،: ٤٩.

(٢) اخبار النحويين البصريين،: ٤٩.

(٣) مراتب النحويين،:٤٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فهو يأخذ من كل عالم علما عرفه بارعا فيه ، فكما أخذ عن حمّاد رواية الشعر والاخبار ، يجيء هنا للآخذ عن عيسى بن عمر فيأخذ النحو ، وهو بذلك يأخذ صفوة علم العالم الذى برع فيه وأجاده .

وكان عيسى بن عمر قد علّم عددا من أبناء جيل خلف ومنهم أحمد بن موسى اللؤلؤى ، وهارون بن موسى النحوى ، والأصمعي والخليل ابن احمد الفراهيدى وسهل بن يوسف وعبيد بن عقيل ، كما تلمذ لسيبويه الذى ذكر تآليف أستاذه حين قال أنه :" صنّف نيفا وسبعين مصنفا في النحو "(١)، الأمر الذى جعل الخليل بن احمد يقول :

ذَهَبَ النَّحوُ جميعاً كُلّـه غير ما أحدث عيسى بن عُمَر .
ذاك إكمالٌ وهذا جامعٌ وَهُما للنّاس شَمْسٌ وقَمَرْ(٢)

وهو هنا يشير الى كتابي عيسى بن عمر وهما (الاكمال) و (الجامع) توفي سنة ١٩٤ هـ زمن خلافة ابي جعفر المنصور.(٣)

يُونُس بن حبيب :

أبو عبد الرحمن يونس بن حبيب النحوىّ . وُلد سنة ٩٠ هـ ، وكان يقول: أذكر موت الحجّاج "(٤).

ويبدو أن يونس بن حبيب هو أحد العلماء الذين عاصرهم خلف فقد ذكرت المصادر أن خلفاً جلس إليه يتعلم منه مدة عشرين سنة (٥) وهذا أمر يؤكد ما ذهبنا إليه من تبادل مجالس المعلمين بعضهم بعضاً حتى وإن كانوا من عصر واحد ، وجلتنوس

---

(١) وفيات الاعيان، ٣:٤٨٦.
(٢) نزهة الألبّا، ٣٠ ، وفيات الاعيان، ٣ : ٤٨٦.
(٣) وفيات الاعيان، ٣:٤٨٦.
(٤) المصدر نفسه، ٧:٢٤٤.
(٥) المصدر نفسه، ٦: ٢٤٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

خلف هذا لايعني بالتأكيد جلوس التلميذ وحسب ، بل هو نوع من الإفادة وصقل العِلْم لأن وفاة الاثنين متقاربة إذ توفي يونس سنة ١٨٢ هـ أما خلف فقد توفي سنة ١٨٠ هـ .

ويبدو أن مجلس يونس بن حبيب كان محببا لخلف ، فقد ذكر ابو الفرج ما ينم عن ذلك قال : " أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري وحبيب بن نصر المهلبي قالا : حدثنا عمر بن شبّه قال : حدثني خلاد الأرقط (١) . قال : جاءنا مروان بن ابي حفصة إلى حلقة يونس فأخذ بيد خلف الأحمر فأقامه ، وأخذ خلف بيدى فقمنا إلى دار ابي عُمَيْر فجلسنا في الدّهليز ، فقال مروان لخلف : نشدتك الله يا أبا محرز ألا نصحتني في شعرى ، فإن الناس يخدعون في اشعارهم ، وأنشده قوله :

طَرَقَتْكَ زائِرَةٌ فَحَيِّ خَيالَها ... بَيضاءُ تَخْلِطُ بالجمالِ دَلالَها " (٢)

وملحظنا في الخبرين متقارب ، لانّ معناهما يكشف عن جلوس خلف في حلقة يونس العلمية ، ففي الأولى تبدو كأنها جلوس المتعلم وفي الثانية جلوس العالم المناقش .

ويبدو أن جلوس خلف الأول كان من باب التعلم لان الفرق في السّن بينهما واضح ، فقد ذكرنا ان يونس بن حبيب ولد سنة ٩٠ هـ وقيل سنة ٨٠ هـ (٣) ، وهي المدّة التي لم تكن قد فتحت فيها فرغانة بلد خلف الفارسية ، ثم إن الدّارسين قد عدّوا يونساً من طبقة متقدمة على طبقة خلف الأحمر وهذا يعود إلى عامل السّن الذى خبروه .

وقد كان له مقامٌ حَسَنٌ ، فهو من المشتغلين المتقدمين في النحو ، أخذ الأدب عن أبي عمرو بن العلاء وحَمّاد بن سلمة ، كما سمع من العرب وقد أخذ عنه سيبويه والكِسائي والفرّاء ، وكانت حلقته في البصرة من الحلقات المشهورة التي يؤمّها اهل اللغة والأدب وأهل

---

(١) خلاد الأرقط:وقد ذكرته المصادر خلاد بن زيد الباهلي ، أبو عمرو الارقط ، وقيل الارقد لأثر صدرٍ في وجهه مات سنة ٢٢٠هـ ، وكان حسن العلم بالشعر ويرويه .

(٢) الاغاني ٩:٠٤١

(٣) وفيات الاعيان ٧:٠٢٤٤

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

البادية والأعراب[١]، وهي تلك الحلقة التي ذكرها أبو الفرج سابقا.

أبو عمرو بن العلاء :

معلّم يونس بن حبيب ، وعالم متقدم ثقة ، يقول الجاحظ :" كان أعلمَ النّاس بالغريب والعربيّة وبالقرآن والشّعر وبأيام العرب وأيام النّاس "[٢].

ويدل على مكانته الرفيعة دَرْسُ حشدٍ من أبناء القرن الثاني الهجري على يديه ، كالأصمعي والخليل بن احمد وخلف الأحمر، فقد ذكر أبو الطيب اللغوي حين ترجم لخلف قوله : "... وأخذ اللغة عن أبي عمرو بن العلاء"[٣]. وقد اشترك خلف مع أستاذه في الإجابة على ما كان يدور في حلقة العلم ومن تلك المشاركات ما رواه القفطي يقول : " وجاء عيسى بن عُمر الثقفي إلى أبي عمرو بن العلاء ، فقال له : يا أبا عمرو ، ماشيءَ بلغني انّك تُجيزه ؟ . قال : وما هو ؟ قال بلغني أنك تجيز : " لَيْسَ الطِّيبُ إلاّ المِسْكُ " بالرّفع ، فقال ابو عمرو: نمت وادلج النّاس! ليس في الأرض حجازيّ الا وهو ينصب ، ولا في الأرض تميميّ إلا وهو يرفع . قال اليزيدي : (ثم قال لي أبو عمرو) : تعال يا يحيى ، وتعال يا خلف - يعني الأحمر - إذهبا إلى ابي المهديّ ، فَلقِناهُ الرفع ، فإنه لايرفع واذهبا إلى المنتجع التميمي فَلقِناهُ النّصب فإنّه لاينصب ".[٤]

وهذا خبر يدل على مشاركة خلف في تلك المناقشات التي كانت تدور في مجالس العلماء وحلقات المساجد ، فأبو عمرو يتكأ عليه في التأكد من صحة ما ذهب إليه في أمر المسألة .

---

(١) أخبار النحويين البصريين، : ٥١ ، وفيات الاعيان، ٧:٢٤٤، ونزهة الألبا: ٤٧.

(٢) البيان والتبيين، ١:٣٢١.

(٣) مراتب النحويين، : ٤٧ ، المزهر ،٢:٢٥١.

(٤) انباه الرواة، ٤:١٣٦ - ١٣٧ ، الأمالي للقالي، : ٣٩، امالي الزجاجي: ٢٤٢ ، مجالس العلماء، : ٣ — ٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وهكذا فإننا ندرك قيمة هذا التأسيس عند خلف ، فقد جمع علم شيوخه في اللغة والنحو والأدب والشعر والأخبار، وهو بذلك يُكوّن لنفسه قاعدة أولى تمكنه من الانطلاق نحو التفرّد والتفوق ، على أننا لم نلمح في شخصيّة خلف حبّا للظهور أو الشهرة ، وأنه من اولئك الذين عزفوا عن طرق باب المجالس الرسميّة كمجالس الخلفاء أو الوزراء أو الولاة ، وقد كان لهذا التوجّه أثر سلبي في ضياع معالم شخصية خلف التي يبدو عليها التفوق . إلا أن ضعف توجّهه نحو تلك المجالس ، أخفى كثيرا من معالم هذا التفوّق .

وكما رأينا ، فإن شيوخ خلف قد انقسموا في وضعهم العلمي الى قسمين ، فئة عالمة صادقة ثقة وفئة عالمة متهمة ، ويندرج في الفئة الأولى أساتذته : الثقفي ويونس وأبو عمرو بن العلاء، أمّا الثانية فمثلها أستاذه في الرواية والأدب حمّاد الراوية الذى كان له اكبر الأثر في توجّه خلف نحو الشّعر وروايته والأخبار حتى لازمت تهمة الوضع والانتحال التلميذ الذى أخذ من أستاذه الشعر والأخبار وهو ما سنأتي عليه في فصل الرواية إن شاء الله .

وبعد أن عرضنا الى السبيل الأول نحو التعلم عند خلف ، ننتقل الى كيفية اخرى عرفها المجتمع آنذاك ، وهي الخروج الى البادية والاستماع من اهلها الفصحاء لأخبار العرب وأشعارهم ولغتهم ، كذلك مخالطة الأعراب الذين وفدوا إلى البصرة بهدف التجارة ثم استقروا بها بعد ما رأوا حاجة الناس إليهم وحاجتهم إلى الاستقرار .

وخلف كغيره من هؤلاء الناشدين للمعرفة ارتاد أسواق العرب التي يجتمع فيها الناس ولاسيّما سوق المربد . الذى اشتهر أمره في تلك الحقبة كما خرج يطلب اللغة والأخبار والأشعار من أهل البادية ، ومن ذلك ما رواه ابن سلام : " وأخبرني خلف انه سمع أهل البادية من بني سعد ، يروون بيت النابغة للزبرقان بن بدر :

فَلَسْتُ بِمُسْتَبِقٍ أخاً لاتَلُمُّهُ ... إلى شَعَثٍ أيُّ الرِّجال المُهَذَّبُ (١)

---

(١) طبقات فحول الشعراء : ٤٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وهذا يعني أن خلفا قد خالط بدو بني سعد واستمع إلى رواياتهم الشعرية والسماع لايكون إلا بالمخالطة والمشافهة ، وهذا باب كبير يزيد في ثقافة المتلقي ويحصن تحصيله ، ويوثق روايته ، فقد ورد في كتاب تهذيب اللغة قوله : " أخبرني ابو بكر الايادى عن شمر عن أبي عبيدة عن الأصمعي قال : سمعت خلفا الأحمر يقول : سمعت العرب تنشد بيت لبيد :

بأَخِرّة التَّلبوت يَرْبَأُ فَوْقَهَا قُفّر المراقِب خَوْفُها آرامها"(١)

كما لقي رؤبة بن العجاج واخذ عنه(٢)، ومن ذلك مارواه الأصمعي عن خلف الأحمر قال : سمعت رؤبة يقول : ما في القرآن اعرب من قوله : (فاصدع بما تؤمر....)(٣).

ورؤبة بن العجاج رجّاز من أهل البادية من بني مالك بن سعد ابن زيد بن مناة من تميم ، أخذ عنه يونس بن حبيب (٤) توفي سنة ١٤٥ هـ(٥).

كذلك اختلط خلف بعدد من الاعراب الذين وفدوا إلى البصرة أو استقروا فيها أمثال المنتجع التميمي وأبي المهدى ، الذين مرّ ذكرهما ، ومن هؤلاء ايضا أبو ضمضم ، فكان خلف والاصمعي يستمعان إليه حين ينشد الشعر ، ومن ذلك انه انشد في مرة واحدة لمائة شاعر اسمه عمرو ، وقال الاصمعي : " فعددت أنا وخلف الأحمر فلم نزد على اكثر من ثلاثين ".(٦)

ومن المراحل التي تكشف عن شخصية الرجل ، الرحلة ، فإنّ في الارتحال فائدة كبيرة تتمثل في نواح متعددة ، منها ما هو في ثقافي

---

(١) تهذيب اللغة ، للازهرى : ٠٩

(٢) أخبار النحويين البصريين، : ح ٠٩١

(٣) اخبار النحويين البصريين، : ٠٩١

(٤) انباه الرواه، ٤ : ٠٧٧

(٥) أخبار النحويين البصريين، : ح ٠٩١

(٦) العقد الفريد، ٥ : ٠٣٠٨

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وآخر اجتماعي وغيرها من النواحي التي لاتكتمل شخصية العالم إلا بهـا ، والرحلة عند خلف تبدو ضعيفة تكشف عن أسباب لايمكن التكهن بها إلا إذا اقترنت بمشكلات كانت تلازم خلفاً ، فقد رأينا انه خالط اعراب البادية وبدو بني سعد وغيرهم ، وبذلك تبقى الرحلة في جانبها الثاني ، وهو الانتقال بين المدن المنتشرة آنذاك كدمشق وبغداد والكوفة ، ومدن المغرب العربي ، فقد اعتدنا هذه الرحلة عند جل علماء العصر ، فهذا الأصمعي ينتقل بين الحين والآخر بين البصرة والكوفة وبغداد ، وهي أمثلة كثيرة .

أما صاحبنا فإنّ خبر التنقل بين المدن عنده قليل جدا ، فليس بين أيدينا سوى خبرين في ذلك .

الأول ما رواه ابن قتيبة حين قال :" وحدثنا سهل عن الأصمعي عن خلف الأحمر قال : رأيت الكميت بالكوفة في مسجد يُعَلِّم الصبيان" (١) فقد لقي الكميت الشاعر يعلّم في مساجد الكوفة صبيانها ، وهي على ما يبدو مرحلة متقدمة في حياة خلف الأحمر ، فقد مرّ بنا أن خلفا اتصل بأهل الكوفة ، وقرأ عليهم اشعارا كما قرأوا عليه اشعارهم ، يقول القالي : " وعليه ـ خلف الاحمر ـ قرأ أهل الكوفة أشعارهم ، وكانوا يقصدونه لما مات حماد الراوية ، لانه كان قد أكثر الاخذ عنه ، وبلغ مبلغا لم يقاربه حماد ، فلما تَقَرَّأَ وَسَكَ خرج إلى أهل الكوفة فَسَرَّهم الأشعار التي أدخلها في أشعار النّاس ".(٢)

فهو كما يفيد الخبر جاء إليه أهل الكوفة كما ذهب إليهم ، حتى فاقت شهرته عندهم شهرة حمّاد .

والخبر الثاني هو زيارة خلف لبغداد عاصمة الدولة العباسيّة ، يقول أبو زيد الأنصاري : " أتيت بغداد حين قام المهديّ ، فوافاه العلماء من كل بلدة بأنواع العلوم ، فلم أر رجلا أفرسَ ببيت شعر من خلف ، ولا عالما أبذلَ لعلمه من يونس ".(٣)

---

(١) الشعر والشعراء ، ٢ : ٤٨٥ .

(٢) الأمالي ١ : ١٥٧ .

(٣) انباه الرواة ، ٢ : ٣٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وهذا يدلّنا على مكانة خلف بين علماء العصر الأمر الذى يجعل أبا زيد يشيد به في مجلس الخليفة المهدى وقت توليه الخلافة، ولعلّ هذا الخبر الوحيد الّذى يشير إلى اشتراك خلف في مجالس رسميّة، لها طابع خاص.

وليس لهذين الخبرين السابقين أى دلالة سلبية، كأن نقول بأن خلفا لم يكن كثير المخالطة للناس، فإن شحّ أخبار ترحاله لايدلّ على مثل ذلك، ولكن يمكن القول: إن ترحال خلف بين المدن اقتصر على المجالس والأماكن العامة، ولو كان ممن يحضرون مجالس الكبراء لكتب عنه اكثر مما وجدنا، لأنّ محاورات تلك المجالس تلك كانت تدوّن وتكتب وقد وصلنا منها الكثير.

والحقيقة أننا لانعلم سبب زهده في تلك المجالس، وكل ما نستطيع قوله ان اخباره في تلك المجالس نادرة جدا.

ملامح من شخصيته:

مما اتفق لي في جملة أخبار خلف السابقة، استطيع القول إن رسم ملامح شخصيته لاتتأتى بشكل تفصيلي دقيق لقلّة تلك الاخبار أو الشك ببعضها من خلال تحليلها.

لهذا فإن ملامح شخصيته التي سنوردها هنا عامة لاتتصل بمدّة محددة من عمره.

ومثال ذلك أن نرى طبيعة الرجل تميل إلى الجِدّ حينا والى الهزل أحياناً، فهو في بعض المواقف حادّ المزاج شرس المزاج يكبر نفسه أينما كان ويشعر الناس بأهلية ذاتية كبيرة تخوله الحكم على الأمور، فقد أخذنا عليه من ذلك موقفه مع استاذه حماد الراوية حين قال فيه: كنت آخذ منه الصحيح واعطية المنحول وكان فيه حمق "[1]، كذلك

---

(١) الاغاني، ٦: ٩٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ردّه على السائل : " إذا سمعت أنا بالشعر استحسنه ، فما أبالي ما قلت فيه انت واصحابك ، قال له : إذا اخذت انت درهما فاستحسنته ، فقال لك الصّراف : إنه ردىء . هل ينفعك آستحسانك له ؟"(١)

فهو كما نرى حادّ في اجاباته ، يعلي من شأن نفسه وإن كان في اجابته السابقة قاصدا حقا.

ومن ذلك أيضا ما رواه ابن سلاّم : " قال خَلاّد بن زيد الباهلي لخلف بن حيان ابي محرز ـ وكان خلاّد حسن العلم بالشعر ويرويه ويقوله : ـ بأى شيء ترد هذه الاشعار التي تروى ؟ قال له : هل (فيها ما) تعلم انه مصنوع لا خير فيه ؟ قال : نعم . قال : افتعلم في الناس من هو أعلم بالشعر منك ؟ قال : نعم . قال : فلا تنكر أن يعلموا من ذلك اكثر مما تعلمه انت ".(٢)

والنّصّان السابقان يتصلان بخلفٍ الناقد ، وفي سياقهما ابراز لوجه من وجوه شخصيته العلمية الجادّة ، التي تدل على تمييز خلف بين العلماء ، وتقديره لذاته ؛ فهو يرى ان الناقد المؤهل كالصّراف الذى يميز بين الدراهم ، أى انه الحَكَمُ الأخير في مسائل الشعر .

لذلك وجدناه يحتّد في مثل هذه المواقف ، وهذا رسم لأحد تلك المواقف :

حَدّث الأصمعي قال : " حضرنا مأدبةً ومعنا أبو مُحرز خلف الأحمر، وحضرها أبن مناذر الشاعر ،فقال لخلف الأحمر: يا أبا محرز ،إن يكن النابغة وأمرؤ القيس وزهير قد ماتوا ، فهذه أشعارهم مُخَلّدةً ، فقِس شعري إلى شعرهم ، واحكم فيها بالحق ، فغضب خلف ثم اخذ صفحة مملوءة مرقا فرمى بها عليه ".(٣)

---

(١) طبقات فحول الشعراء: ٨ ، المزهر،١: ١٧٢.
(٢) المصدر نفسه: ٨ ، المزهر،١: ١٧٢.
(٣) معجم الادباء،١١: ٦٨ ، الاغاني،١٧: ١١ – ١٢ ، الموشح: ٤٥٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وإذا ما تناسينا فحوى المسألة بين خلف وابن مناذر ، وجدنا انفسنا أمام رجل حاد المزاج شديد الانفعال ضيّق الصدر قليل الصّبر ، فإنّ من حق ابن مناذر أن يسأل ما يشاء ، وعليه أن ينتظر جوابا مقنعا لا صفحة مملوءة مرتا .

وهذا التصرف لم يكن إلا نتيجة تعصب شديدٍ للشعر الجاهلي، ومع ذلك فإن ثمة وجه آخر لشخصية خلف ، يتمثل في حبه للمداعبة والمشاكسة والميل إلى اللّهو والعبث مع الاخرين .

وقد اشترك خلف مع أبناء جيله ممن شاركوه مسيرة حياته أمثال أبي عبيدة معمر بن المثنى وأبي محمد اليزيدى وبشار بن برد، وفيما يلي جملة من تلك الاخبار :

يقول الأصمعي : " كان خلف الأحمر يعبث بأبي محمد اليزيدى عبثا شديدا ،وربما جدّ فيه ، وأخرجه مخرج المزاح ، فقال فيه ينسبه الى اللواط :

إنّي وَمَنْ وَسَجَ المَطِيَّ لَهُ حُدْبُ الذُّرا أذْفَانُها رُجُفُ(١)

وهي قصيدة طويلة ذكرناها وفصلنا في شرحها في الفصل الثالث من هذه الرسالة .ويبدو أنّ علاقة خلف باليزيدى لم تكن على سمت واحد ، فقد مالت في أغلبها نحو المشاكسة والمزاح، كما كانت تميل إلى الهدوء في احيان أخرى قليلة ، ومع هذا فهما لاينفكان يجتمعان في حلقات المسجد الكبير كل إلى حلقته .(٢)

ومن صور المصادقة بين خلف واليزيدى ، ما يرويه اليزيدى في ذلك ، يقول : " كان ابو عبيدة يجلس في مسجد البصرة إلى ساريةٍ ، وكنت انا وخلف الأحمر نجلس جميعا إلى اخرى ، وكان ابو عبيدة من أعضه(٣) الناس للناس وأذكرهم لمثالبهم ، فقال لأصحابه : أترون الأحمر واليزيدى ـ ابو محمد ـ انما يجتمعان على الوقيعة للناس وذكر

---

(١) الاغاني،٢:١٩٧. وسج : ضرب من سير الابل السريع .

(٢) الاغاني،١٨:٨١.

(٣) أعضه : جاء بالافك والبهتان .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مساويهم ، وبلغني ذلك وانه قد رمانا بمذهبه . فقلت لخلف : دعه فانا اكفيكه ، فلما كان من الاذان ، جئت انا وخلف إلى المسجد ، فكتبت على الجص في الموضع الذى كان يجلس فيه أبو عبيدة :

صَلّى الإلهُ على لُوطٍ وشيعَتِهِ أبا عُبَيْدَةَ قُلْ بالله آمينا "(١)

وصورة ثالثة يشترك بها خلف مع صاحبه اليزيدى يرويها أبو الفرج يقول :" أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي قال : حدثني ابن الفهم . قال: حدثني الأصمعي قال : كنت مع خلف جالسا فجرى كلام في شيء من اللغة ، وتكلم فيه أبو محمد اليزيدى ، وجعل يشغب ، فقال له خلف : دعني من هذا يا أبا محمد ، واخبرني من الذى يقول :

وإذا أَنتَشَيْتُ فإنّني رَبُّ الحُرَيْبَةِ والرُّمَيْحِ
وإذا صَحَوْتُ فإنّني رَبُّ الدُّوَيْبَةِ واللُّوَيْحِ(٢)

يعرض به أنّه معلم ، وأنّه يلوط ، فغضب اليزيدى ، وقام فانصرف "(٣).

إنّ الناظر في هذه الأخبار يحكم على ان ثلاثتهم : خلفا الاحمر واليزيديّ وأبا عبيدة قد اتصلوا ببعضهم اتصالا وثيقا ، شَكّل نمطا متميزا من اشكال العَلاقةِ الّتي تميل إلى المحبة والود أحيانا ، والى المداعبة والمشاكلة أحيانا اخرى ، على أن المحصلة النهائية تبدو على أن بينهم صلات قوية ، يصل حدّها ان يقول ابو عبيدة في خلف : معلم الاصمعي ومعلم أهل البصرة(٤) وهذا احترام وتَقْديرٌ مما بعده تقدير .

---

(١) الاغاني، ١٨ : ٨١ ، معجم الادباء، ١١ : ٦٩.
(٢) المصدر نفسه، ٢٠ : ٢٠٠ — ٢٠١ ، الحيوان، ٦ : ٤٠٩ ، نور القبس: ٧٦، معجم الادباء، ١١ : ٧١.
(٣) الشعر للمنخل اليشكرى . انظر : ديوان الحماسة .
(٤) معجم الأدباء، ١١ : ٦٦ ، جمهرة اللغة، ٣ : ١١٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أما صلته ببشار بن برد ، فإنها تحمل طابعا متميزا عن غيرها ، فقد بدأت هذه الصلة عن طريق خلف الذى أحبّ التعرف إلى هذه الشخصية التي سمع عنها ولم يرها ، فقد ذكر أبو الفرج قال " أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي . قال : حدثنا عيسى بن اسماعيل قال : حدثنا محمد بن سلام . قال : قال لي خلف : كنت اسمع ببشار قبل أن أراه ، فذكروه لي يوما ،وذكروا بيانه وسرعة جوابه ، وجودة شعره . فاستنشدتهم شيئا من شعره ،فأنشدوني شيئا لم يكن بالمحمود عندى ، فقلت : والله لآتينه ولأطأطئن منه ، فأتيته وهو جالس على بابه ، فرأيته أعمى قبيح المنظر ، عظيم الجثة ، فقلت : لعن الله من يبالي بهذا"(١).

وسرعان ما يتغير انطباعه الأولي هذا ، فتزيد هيبة الرجل في نفس خلف . يقول :" فوقفت أتأمله طويلا ، فبينما أنا كذلك اذ جاءه رجل فقال : ان فلانا سبك عند الأمير محمد بن سليمان ووضع منك ، فقال: أوقد فعل ؟ قال : نعم ، فأطرق ، وجلس الرجل عنده وجلست ، وجاء قوم فسلموا عليه فلم يردد عليهم ، فجعلوا ينظرون اليه وقد درّت أوداجه ، فلم يلبث الا ساعة حتى انشدنا بأعلى صوته وافخمه :

نُبِئْتُ نائِكَ أُمَّهِ يَنْتابُني ... عِنْدَ الأمير وَهَلْ عَلَيَّ أميرُ .
ناري مُحَرّقَةٌ وبَيْتي واسِعٌ ... للمُعتفينَ ومَجْلِسي مَعْمورُ(٢)

ثم يقول خلف : فارتعدت والله فرائصي ، واقشعر جلدى ، وعظم في عيني جدا ، حتى قلت في نفسي : الحمد لله الذى ابعدني من شرك .(٣)

وهكذا فقد بدأ اعجاب خلف ببشار لما رآه قادرا على النظم القوى والرد المُفحم والانشاد على السليقة بألفاظ سليطة تجعل الجميع يخشون لسانه ، ويبدو ان صلة خلف ببشار أثمرت فيما بعد عن لقاءات كثيرة كان خلف يأخذ فيها الشِّعر من بشار .

---

(١) الاغاني ط ، دار الكتب ٣ : ١٩١.
(٢) الاغاني،٣:١٩١.
(٣) المصدر نفسه،٣:١٩١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بقي أن نقول إن معالم شخصية خلف قد تغيّرت كثيرا فيما بعد فقد ذهبت المصادر إلى القول إن خلفا قد نسك وتقرأ[١] وكان يختم القرآن في أواخر عمره ، وكأنما يشيرون بذلك إلى أن شخصيته التي ألفوها ما عادت كما هي ، بل تغيرت إلى الافضل، فمن ظواهر هذا النّسك أنّه أعلن للناس بعض ما آتهم به ، وهذه مسألة تحتاج إلى توقف ومناقشة ، وقد أرجأنا ذلك الى فصل الرواية ، لاتصال الحديث بها .

ومن الملامح الأخرى لشخصيته دقة أحكامه وعدالة القول ، فقد ذكر ابن سلام انه شَهِدَ خلفاً ، فقيل له : من أشعر الناس ؟ فقال : ما ينتهي هذا إلى واحدٍ يُجْتَمَعُ عليه ، كما لايُجْتَمَعُ على أشجع النّاس وأخطب الناس ، وأجمل الناس ".(٢)

فهو يعلم أن التفاضل بين الناس موجود مادامت الدنيا ، كما ان ما يجده جميلا لايجده غيره كذلك وان كان في الأمر بعض من اجماع الا انه لايكون مطلقا كليّا ، وهذا نوع من الحكمة اتصف بها خلف .

كما يبدو أن خلفا كان يميل إلى أهل اليمن ،ويقدمهم على غيرهم ، فقد ذكر المبرد انه قيل لخلف الأحمر ـ وكان شديد التعصب لليمن ـ : اكان عمرو بن معدي كرب يكذب ؟ فقال : كان يكذب في المقال ، ويصدق في الفعال ".(٣)

ويبدو تعصبه هذا في توجيهه لأبي نواس ، يقول الخطيب البغدادى : " وقيل إن خلفاً الأحمر كان له ولاء في اليمن ، وكان أميل الناس الى ابي نواس ، فقال له يوما : أنت من اليمن فتكن بأسم ملك من ملوكهم الأذواء".(٤)

---

(١) بغية الوعاة، : ٢٤٢.

(٢) طبقات فحول الشعراء، : ٥٤ ، وقد رويت ناقصة في كتاب الإغاني، :

(٣) الكامل للمبرد، ٢: ٢٠٨.

(٤) خزانة الأدب، ١: ٣٤٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فهو من الموالين لليمن ، حتى أنّه سَمّى الحسن بن هانيء باسم أحد ملوكهم الاذواء.

والمَلْمَح الاخير في شخصية خلف هو عدم تكسّبه بعلمه ، فقد ذكرنا سابقا ان خلفا لم يكن من أولئك الذين يأتمون مجالس الخلفاء أو الولاة أو اصحاب المناصب الاخرى ، سواء أفي البصرة أم خارجها ولا أدري سبب هذا التوجّه عنده ، فنحن لا نعلم عن عمله الذى كان يرتزق منه ، فهو لم يحاول الوصول إلى مجالس الحكام ليتعيش منها ، حتى أنه عزف عن كل ما بدر من أخطاء كان قد ارتكبها حين نسك ، بل إن السيوطي ينقل ذلك فيقول : "..... ثم نسك ، وكان يختم القرآن كل ليلة ، وبذل له بعض الملوك مالاً عظيما على أن يتكلم في شعر شكّوا فيه فابى ذلك ".(١)

أسرته :

ذكرنا أن أصله فرغانيّ ، جاء إلى البصرة ضمن سبي الجيش الاسلامي الفاتح ، نشأ في المدينة ، وله أسرة عرفنا منها اثنين هما ولداه محرز ومحمد ، ولانعلم عنهما شيئا ، وقد ألبس علي في أول الأمر اسم محمد حين وجدت كتابا اسمه اخبار القضاة لمؤلفه محمد بن خلف بن حيّان ، وسرعان ماتثبت من المسألة ، فلم أجد علاقة بينهما ؛ اى بين مؤلف الكتاب وخلف الأحمر .

فقد ذكر محقق كتاب أخبار القضاة أن محمد بن خلف بن حيان من أهل بغداد ، توفي سنة ٣٠٦ هـ .(٢)

أقران خلف :

والحديث عن اقران خلف يمثل حلقة كبرى من حلقات الأزدهار

---

(١) أخبار القضاة ، تحقيق عبد العزيز مصطفى المراغي ، ل ، م .
(٢) مقدمة المحقق . اخبار القضاة ، ك.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الأدبي في القرن الثاني الهجري ، فهؤلاء الأثران هم الجيل الأول الذى أخذ على عاتقه بداءات التأليف الأدبي في مناحيه المختلفة سواء اللغوية أو الشعرية أو النحوية وغيرها من علوم العربية .

وكما أسلفنا فهم جيل فذّ يطول الحديث عنهم ، بل ان عددا كبيرا من المؤلفات الحديثة قد غطت جوانب حياتهم وعلمهم . ومن هؤلاء الأصمعيّ والخليلُ بن أحمد الفراهيديّ وابو زيدٍ الانصاري ، وابو عُبيدة "مَعْمَرَ بن المُثَنَّى" وسيبويه والكسائي وغيرهم .

وسأختصر الحديث عمن اتصل منهم بخلف الأحمر وكان له أثر في ذلك .

الأصمعي :(١)

عبد الملك بن قريب ،واحدٌ من أبرز العلماء في اللغة والأدب والأخبار ويبدو أنه الاكثر قربا من خلف ، فقد روى لنا جملة من أخباره، كما آخذ عنه درس النقد .

ولم يكن الأصمعي ينكر مثل ذلك ، فقد أشاد باستاذه في مواضع عديدة يقول : " ما بَلَغَتْ الحُلُم حتى رويتُ أثني عشر الف ارجوزة للأعراب وكان خلف الأحمر أروى الناسِ للشعر واعلمهم بجيده ".(٢)

كما اشترك الاصمعي وخلف في نقد الشعر وبرعوا فيه ، " يقول الأخفش : ما رأيت أحدا أعلم بالشعر من الأصمعي وخلف ".(٣) فالأخفش يجمع بينهما مع فارق السنّ بينهما ، فإن خلفاً قد توفي سنة ١٨٠ هـ وتوفي الأصمعي سنة ٢١٣ هـ.(٤)

وتبدو علاقة خلف بصاحبه الأصمعي قوية ، وانها بدأت على

---

(١) ترجمته أخبار النحويين البصريين، :٥٨ ، انباه الرواة، ٢ : ١٩٧، وفيات الاعيان، ١ : ٢٨٨ ، بغية الوعاة، : ٣١٣.

(٢) العقد الفريد، ٥ :٥: ٣٠٦.

(٣) نزهة الألبّا، : ٩٠.

(٤) نزهة الألبّا، : ١٠٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

نحو المُعلِّم بالمُتعلَّم ، أي انّ الأصمعيّ قد أخذ عن خلف الكثير من علومه ، ولاسيما رواية الشعر ونقده ، حتى وصل حدّ ذلك بأن يقبل الأصمعي من خلف تصحيحه لبيت شعر لجرير .(١)

وقد ذكر أبو الطيب اللغوي في ترجمته للأصمعي : " وأما الأصمعي : أبو سعيد عبد الملك بن قريب بن أصمع بن علي بن أصمع الباهليّ ، فإنه كان أتقن القوم للغة ، وأعلمهم بالشعر ، وأحضرهم حفظا ، وكان أبوه قد رأى الحسن وجالسه ، وكان تعلّم نقد الشعر من خلف مولى الأشعريين ".(٢)

وهذا بيان واضح لفضل خلف على الأصمعيّ .

لكن الحال ـ فيما بعد ـ قد تبدل ، فأصبح الإثنان رفيقين متلازمين في مرحلة متقدمة من حياتهما ، فقد قصدا معا كثيرا من الشعراء ، كذلك قصدوا مجالس العلم وحلقات المساجد ، كما خاضوا بعض التجارب مع بعض الأعراب والبدو الذين سكنوا البصرة . ولم يخلُ خَبَرٌ لخلف الا ورواه الاصمعي أو اشترك فيه ، ومن صور هذا التلازم بين الاثنين ما رواه الأصمعي . يقول : " أقبل فتيان الى أبي ضمضم بعد العشاء ، فقال : ما جاء بكم ؟ قالوا : جئنا نتحدث اليك. قال : كذبتم يا خبثاء . ولكن قلتم كبر الشيخ فهلمّ بنا عسى أن نأخذ عليه سقطة . قال: فأنشدهم لمائة شاعر كلهم اسمه عمرو. وقال الأصمعي : فعددت أنا وخلف الأحمر فلم " نزد على اكثر من ثلاثين ".(٣)

كما أخذا رواية الشعر معا عن حمّاد الراوية .(٤)

وكان لآراء الاصمعي فيخلف أصداء كثيرة ، فقد ذكرنا أن اشتراكهما

---

(١) انظر الموشح، : ١٩٨ — ١٩٩.
(٢) مراتب النحويين، : ٤٦ ، المزهر، ٢ : ٢٥٠.
(٣) العقد الفريد، ٥ : ٣٠٨.
(٤) مراتب النحويين، : ٧٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

في رواية الشعر ونقده. كان له الأثر الجليّ في حمل كثير من الاخبار التي تَرجمت لخلف على رواية الأصمعي ، فها هو يقبل من خلف التّعديل الذى أجراه على بيت الشعر .

فَيَالَكَ يَوْماً خَيْرُهُ قَبْلَ شَرِّهِ تَغَيَّبَ واشيهِ وأَقْصَرَ عاذِلُهْ .

فقد كان الأصمعي يرويه على هذا النحو ، حتى جاء خلف وطلب اليه أن يرويه على نحو :

فَيَالَكَ يوماً خيرُه دُونَ شَرِّهِ

فيقبل الأصمعي ذلك ويرويه كما أراد خلف .(١)

وننتقل الى مرحلة متقدمة عن هذه ، وهي المرحلة التي اشتد فيها علم الاصمعي ، فلم يعد يأخذ عن خلف ولم يعد تابعاً له ، فاستقلت شخصيته حتى صار متمكنا من إصدار الأحكام المختلفة على رواية خلف .

والأمر الملاحظ في هذه الحقبة هو ذلك الاختلاف في آراء الأصمعي التي انقسمت إلى قسمين :

آراء توثق علم خلف .

آراء تطعن في روايته .

أما الاتجاه الأول فيتمثل في أقوال الأصمعي التالية :

" ما بلغت الحلم حتى رويت اثني عشر ألف ارجوزة للاعراب، وكان خلف الأحمر أروى الناس للشعر ، وأعلمهم بجيّده ".(٢)

" قال أبو حاتم : " قال الأصمعي : كأنّما جُعِلَ عِلْمُ لُغة ابْنَيْ نِزارٍ ومن كان من بني قحطان على لغة اَبْنَيْ نزار بين جوانح خلف الأحمر بمعانيها "(٣).

" وقال عيسى بن اسماعيل : سمعت الأصمعيّ وذكر خلفا الاحمر أبا محرز ـ فقال : ذهبت بَشَاشَةُ الشّعر بعد خلفٍ الأحمر . فقيل له :

---

(١) الموشح ، : ١٩٨ — ١٩٩ .

(٢) العقد الفريد ، ٥ : ٣٠٦ .

(٣) طبقات النحويين واللغويين ، : ١٧٩ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كيف وأنت حيّ ؟ فقال : إن خلفاً كان يُحْسِنُ جَميعَهُ وما أُحْسِن منه إلا الحَواشي ".(١)

وأظن الصورة واضحة فيما مضى من الأقوال ، فهي توثيق ما بعده توثيق ، وتركيز على مقدرة خلف في حفظ اللغة والاشعار، إضافة إلى الاتقان الفَذّ في التصرف في الشّعر حتى كأنما ذهبت ـ عند الأصمعي ـ بشاشة الشعر ؛ أي حلاوته ورونقه الذى الفوه ، بعد موت خلف ، ويُقدّم خَلفاً على نفسه رُغم ما عُرِفَ عَنْهُ من حفظ للأشعار واللّغة .

أما الجانب الثاني المتمثل في مجموعة الأخبار التي تشير إلى تضعيف رواية خلف الأحمر ، إضافة إلى اتّهامه بوضع الشّعر على الشعراء .

ومناقشة هذا الجانب من آراء الاصمعي محتاجة الى توقف ومناقشة لها مكانها في هذا البحث .

ويبدو أن جملة أقوال الاصمعي التي أشارت الى تضعيف رواية خلف قد قيلت بعد وفاة خلف ، إذ لايعقل ان يصمت خلف عن مثل تلك الأقوال، ثم إنّه من غير المنطق أن يقبل الاصمعي على خلف ويأخذ عنه ويمدحه بما مضى من القول ثم يطعن به وبروايته .

وكيف يتفق هذا التوجه مع قول أبي عبيدة " خلف الأحمر معلم الأصمعي ومَعلّم أهل البَصْرة "(٢) ! ؟

أما رأى خلف في الاصمعي، فجليّ واضح لاتأرجح فيه ، ومن ذلك نُصْحِهِ لِكَيْسان النَحويّ حين يقول له : " ويلك الزم الأصمعي ودع أبا عبيدة ، فانه أفرس الرجلين ببيت الشعر ".(٣)

---

(١) طبقات النحويين واللغويين، : ١٨٠.
(٢) معجم الأدباء، ١١:٦٦ ، جمهرة اللغة، ٣:١١٧.
(٣) تاريخ بغداد، ١٢:٤١٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فهو كما نرى يوثق صاحبه ويعلي من شأنه حتى ولو كان ذلك على حساب صاحبه الثاني أبي عبيدة .

بقي أن نقول بأن حظ الأصمعي في الشهرة قد فاق حظّ استاذه ورفيقه خلف ، ومرّد ذلك إلى أسباب عِدّة ساعدت الأصمعي في نيل هذه الشهرة كتردده على مجالس الخلفاء والولاة ، ونشاطه في تصنيف بعض المؤلفات التي وصلتنا وغير ذلك من الأسباب .

أبو عبيدة " مَعْمَر بن المُثَنّى " وأبو محمد اليَزيديّ :

تداخلت حياة خلف مع هذين الرجلين ، فكوّنت أخبارهم تنوعا لم يحمل إلينا منه إلا القليل .

أما أبو عبيدة فراوية للشعر والأخبار وصاحب حلقة في مسجد البصرة ، فقد مرّ بنا خبر حلقته في مسجد البصرة والتي ضمت اليزيدي وخلف .

اذن — فقد اجتمع ثلاثتهم في مسجد البصرة معلمين ، يجمع بينهم موضوع واحد هو درس الشعر والاخبار وبعض علوم العربية الأخرى ،كما جمعهم أصلهم غير العربيّ ، مما قوّى اتصالهم على انحاء مختلفة ،فهي وديعةٌ أحياناً وأخرى تحمل طابع المشاكسة والمناكفة وهي صفة عرف بها ثلاثتهم .

ويدعم ذلك أن الحموي يروى لنا مشهد جنازة أبي عبيدة : " ولم يحضر جنازته أحد لأنه لم يكن يَسْلَم من لسانه احد ، لا شريف ولا غيره "(٢) وقد عاش بعد خلف نحو ثمان وعشرين سنة(٣)، وكان الجاحظ يقول فيه : " لم يكن في الأرض خارجيّ ولا إسماعيليّ أعلم بجميع العلوم من ابي عبيدة ".(٤)

---

(١) الاغاني ، ١٨ : ٨١ .

(٢) معجم الادباء ، ١٩ : ١٦٠ .

(٣) معجم الادباء ، ١٩ : ١٦٠ .

(٤) نزهة الالباء : ٨٥ ، معجم الادباء ، ١٩ : ١٥٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويبدو أن أبا عبيدة كان يقدّر خلفاً ويحترمه حتى قال جملته المعروفة :" خلف الأحمر معلم الأصمعي ، ومعلم أهل البصرة "[١] لكن الجوّ لم يخل من مشاكسات قامت بين خلف و رفيقه ، فقد ذكر اليزيدى[٢] انه كان لأبي عبيدة مجلس في مسجد البصرة ، كما كان لليزيدى وخلف مجلس ثان في المسجد ذاته ،وكان رأى اليزيدى فيأبي عبيدة سيئا. يقول: " وكان أبو عبيدة من أعضه الناس واذكرهم لمثالبهم ، فقال لأصحابه : أترون الأحمر واليزيدى ـ (أبو محمد) . انما يجتمعان على الوقيعة للناس وذكر مساويهم ، وبلغني ذلك ، وانه قد رمانا بمذهبه ، فقلت : دعه فأنا أكيفكه ، فلما كان من الآذان ، جئت أنا وخلف الى المسجد ، فكتبت على الجصّ في الموضع الذى كان يجلس فيه أبو عبيدة :

صَلّى الإلهُ على لوطٍ وشيعَتِهِ أبا عُبَيدَةَ قُلْ باللّهِ آمينا".

وما أن يقرأ أبو عبيدة البيت المكتوب حتى يعرف كاتبه ، لكنه يتحاشى الاصطدام به خوفا من مهاجاته بأقسى من ذلك. ويبدو أن رأى خلف في علم أبي عبيدة لم يكن حسنا [٣] فقد رأيناه يقدم النصح لكيسان بأن يأخذ علمه من الاصمعي ويترك أبا عبيدة [٤]. وهو حكم صدر من خلف الذى عُرف بفراسته للشّعر وتَعلّم نقده وحفظه ، لكن أبا عبيدة لم يستطع الطّعن في علم خلف ، وهذه صفة محمولة على الجانب الايجابي في شخصية الرجل .

ومع ذلك فقد كان لابي عبيدة عدد من المؤلفات التي وصلتنا وكان لها أثر في إثراء شخصيته ونيل حظها من الشهرة ، فقد

---

(١) معجم الادباء، ١١:٦٦ ، جمهرة اللغة، ٣ : ١١٧.

(٢) الاغاني، ١٨:٨١ – ٨٢.

(٣) الموشح، : ٣٦٨ ، وانظر كتاب " ابو عبيدة ، معمر بن المثنى " ، الدكتور نهاد الموسى : ٢٨١.

(٤) تاريخ بغداد ١٠:٤١٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ذكره أبو نواس مقدما على غيره ،لمّا سئل عن الأصمعي يوما . فقال : بلبل في قفص ، وسئل عن أبي عبيدة فقال : أديم طُوِيَ على عِلْم "(١).

أما اليزيديّ " يحيى بن المبارك " فيبدو أن شخصيته مختلفة عن صاحبه السابق الذكر ، فقد ذكره ابن خلكان(٢)بأنه ثقة ، وهو أحد القُرّاء الفُصَحاء العالمين بلغات العرب والنحو ، وكان صدوقا،وقام بتأديب أولاد يزيد بن منصور الحِمْيَري خال المهدى . ودرس العروض على يد الخليل .

كما درس على أبي عمرو بن العلاء ، ثم سكن بغداد(٣) واتصل هناك بالخليفة هارون الرشيد وقام بتأديب ولده المأمون .

أما علاقة اليزيدي بخلف ، فتبدو مختلفة كذلك ، فقد اجتمع الاثنان في موقع واحد وهو التعليم ،الذى مرّ بنا قبل قليل، كما مر بنا خبر مناكفتهم معا لأبي عبيدة " معمر بن المثنى "،وجلوسهم قبل ذلك في حلقة أبي عمرو بن العلاء ، ويونس بن حبيب .

وقد استوقفني شعر لليزيدى قاله في أبي عبيدة يقول فيه :

صَلّى الإله عَلى لُوطٍ وأُسرته ... أبا عُبيدة قُلْ باللّه آمينا

وأنت عندي بِلاشَكٍّ تُبَيِّتَهُم ... مُنْذ اَحتَلَمْتَ وَقَدْ جَاوَزْتَ سَبْعينا

وحادثة البيتين قد مرت بنا من قبل ، وهي انه أراد هجو أبي عبيدة لما رآه يذكر مثالب الناس وكان خلف معه وقتئذ .

لكن الذى يشكك في هذا الشعر ، ان اليزيدى يذكر سنّ أبي عبيدة ، ولا أدرى ان كان ذلك على وجه الحقيقة أم لا ، لان ولادة أبي عبيدة انما كانت سنة ١١٠ هـ ، فاذا اضفنا اليها سنه المذكور هنا فاننا

---

(١) وفيات الاعيان،٢:١٠٠ ، معجم الادباء،١٩:١٥٥.

(٢) وفيات الاعيان،٦:١٨٣ — ١٩١.

(٣) نور القبس، : ٨١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

نصير الى سنة ١٨٠ هـ وهي السنة التي توفي فيها خلف الأحمر ، فكيف يتفق الخبر في ذلك !.

وهناك وجه آخر لعلاقة خلف باليزيدى ، فقد حمل خلف عليه وبالغ في رسم شخصيته من خلال الشعر الذى هجاه به متهما اياه باللواط ، وكان من ذلك قصيدته الطويلة ومطلعها :

إنّي ومَنْ وَسَجَ المَطِيَّ لَهُ حَدَبُ الذّرا أذقانُها رُجُفُ(١)

التي سنأتي على تفصيلها في الفصل الرابع من هذه الرسالة ان شاء الله .

كما اشتهرت قصة خلف مع اليزيدى ، التي روتها معظم المصادر التي ترجمت لخلف وهي ، " مر خلف باليزيدى، فقال : يا أبا محرز ، ما معنى قول الشاعر :

وإذا أنتشيت فإنّني رَبُّ الخَورْنق والسّدير .
وإذا صَحَوْتُ فإنّني ربّ الشُّوَيْهةِ والبَعير(٢)

فقال له خلف :

وإذا أنتشيتُ فإنّني رَبُّ الحَرَيْبَة والرُّمَيْح .
وإذا صَحَوْتَ فإنّني رَبُّ الدَّوَيْقةِ واللُّوَيْح(٣).

مما جعل اليزيدى يغادر غاضبا(٤) لما سمع رد خلف عليه الذى يتهمه فيه بانه يلوط وأن ليس له فضل علم أو تعليم .

وقد ردّ اليزيدى على خلف شعرا يهجوه فيه ويسخر من قول يدّعيه وهو انه علم الكسائي النحو ، يقول :

---

(١) نور القبس، ٧٦ ، الاغاني، ٢:٢٢٦ ، الحيوان، ٦:٤٠٩ ، معجم الادباء ، ١١ :٧١.

(٢) الشعر لليشكرى وقد مّر بنا في موضع سابق .

(٣) هذا قول خلف الأحمر ، بناها على شكل البيتين السابقين ، انظر: نور القبس، ٧٢- ٧٣.

(٤) انظر الأغاني ٢٠:٢٢٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

زَعَم الأحمرُ المقيتُ عَلَيَّ والّذى أمّه تقرّ بمَقْتِه .
أنّه عَلّم الكِسائِيَّ نَحْواً فَلَئِنْ كانَ ذا كَذاكَ فَبِئْسَتِه (١)

ونلحظ في هذا الشعر ضعفا في المعنى ، إذ لايعيب الاحمر شيء مما ذكره اليزيدى سواءً كان نفيا أو إثباتا وذلك على عكس المعاني التي هاجم الاحمر بها اليزيدى متهما اياه باللواط وضعف قدرته على التعليم .

على أن اليزيدى قد تبادل شعر الهجاء مع غير خلف مثل الكسائي(٢) أبي زيد الانصارى وسلم الخاسر ، وقد توفي سنة ٢٠٢ هـ (٣) وله من الكتب: "نوادر في اللغة" ، "وديوان شعر" .

وما دمنا بصدد الحديث عن أقران خلف ، فلا بُدّ ان نذكر بعضا ممن اختلط بهم عدا من ذكرنا ، فقد التقى الكِسائي النَحويّ ورأس النحو في الكوفة وقتئذ، كما لقي الكميت بن زيد الشاعر ، وقد ذكر ابن قتيبة في كتابه المعارف قال : " حدثني أبو حاتم عن الأصمعيّ عن خلف الاحمر قال : رأيت الكُميْت في مسجد الكوفة يُعلّمُ الصّبيان"(٤)، وهو من شعراء القرن الاول الهجرى وكان عالما بلغات العرب واخبارها وأنسابها.(٥)

ولقي كذلك رؤبة بن العجاج من رجاز القرن الاول الهجرى الذى أخذ عنه يونس بن حبيب (٦) وأبو عمرو بن العلاء .(٧)

---

(١) الاغاني ٢٤ :٢٢٦ ، وانظر معجم الادباء ١١:٧٠.
(٢) أخبار النحويين البصريين: ٤٢.
(٣) نور القبس: ٨٣.
(٤) المعارف: ٥٤٧.
(٥) الشعر والشعراء: ٥٦٧ ، البيان والتبيين ١:٤٦.
(٦) طبقات فحول الشعراء: ٤٥.
(٧) الموشح: ٢٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومنهم أبو الخطاب الأخفش وقد قيل : " كان هو وخلف الأحمر يأخذان عن أبي عمرو بن العلاء "(١)

وهؤلاء جميعا يؤلفون حلقة اتصال علماء القرن الثاني الهجرى بعضهم ببعض الأمر الذى كان له الفضل الأكبر في تقعيد جلّ علوم العربية .

وثمة فئة أخرى اتصل بها خلف ، وهم الشعراء ، فقد كان له نشاط معهم . اذ لابدّ وأنه اختلط بمعظم شعراء القرن الثاني الهجرى ممن سكنوا البصرة أو وفدوا إليها ، كذلك الذين لقيهم اثناء سفره إلى الكوفة وبغداد .

وسنقصر الحديث على اثنين من هؤلاء الشعراء هما بشار بن برد وأبو نواس لما لاتصاله بهما من أثرٍ في حياته .

أمّا بشار فقد مرّ بنا حديثه وكيف التقى بخلف أول مرة ، هذا اللقاء الذى ترك في نفس خلف أثرا فيه حذر وخوف من لسان بشار السليط .

على أن علاقتهما تحسنت بعد ذلك ، فصار خلف يتردد على مجلس بشار ويستمع إلى شعره فيحمده ويبجله ومن ذلك قول الاصمعي " كنت أشهد خلف بن أبي عمرو بن العلاء وخلفا الأحمر يأتيان بشاراً ويسلّمان عليه بغاية التعظيم ثم يقولان : يا أبا معاذ ، ما أحدثت ؟ فيخبرهما وينشدهما ويسألانه ويكتبان عنه متواضعين له حتى يأتي وقت الظهر . ثم ينصرفان عنه ".(٢)

ودلالة الخبر أن خلفا كان يأخذ عن بشار الشعر على نحو مستمر وكان رأي خلف بهذا الشعر حسنا ، بل يكبر فيه مقدرته على الرّدّ على من يهاجيه أو من يناكفه في مجالس الخلفاء والولاة ، فقد ذكر

---

(١) نور القبس: ٤٧.

(٢) الأغاني ٥: ٤٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لنا الأصمعي جانبا مما كان يدور في تلك المجالس، يقول : فأتيناه يوماً فقالا له : ما هذه القصيدة التي احدثتها في سلم بن قتيبة . قال: هي التي بلغتكما.

قالا : بَلَغنا انّك اكثرت فيها من الغريب ، فقال : نعم . بلغني أن (سَلْمَاً) يتباصر بالغريب ، فاحببت أن أورد عليه مالايعرفه ، قالا: فأنشدناها ، فأنشدهما :

بَكِّرا صَاحِبَيَّ قَبْلَ الهَجِيرِ إنّ ذَاكَ النّجاحَ في التّبْكِيرِ(١)

حتى فرغ منها ، فقال له خلف : لو قلت يا أبا معاذ مكان " إنّ ذاك النجاح ـ بَكِّرا فالنّجاحَ في التّبكير كان أحسن .

فقال بشار : بَنَيْتُهَا أعرابية وحشيّة . فقلت : إنّ ذاك النجاح كما يقول الاعراب البدويون ، ولو قلت : بَكِّرا فالنّجاح . كان هذا من كلام المُولّدين . ولايُشْبه ذلك الكلام ولايدخل في معنى القصيدة ، فقام خلف فقبل بين عينيه . وقال له خلف بن أبي عمرو يمازحه : لو كان عَلاَئَةُ ولدُك يا أبا مُعاذ لفعلت كما فعل أخي ، ولكنك مولى، فَمدّ بشار يده فضرب بها فخذ خلف وقال :

أَرْفِقْ بِعَمرٍو إذا حَرّكْتَ نِسْبَتَهُ فَإنّهُ عَرَبِيٌّ مِنْ قَوارِيرِ

فقال له : أفعلتها يا أبا معاذ . قال : وكان أبو عمرو يُغْمِزُ في نَسَبِهِ ".(٢).

كانت إذن علاقة خلف ببشار علاقة إعجاب ومحبّة متبادلة ، فخلف يُقبل على بشار، ثم يَقْبَلُ بشار حوار خلف معه في قوله السابق حين حاول أن يعدّل في قوله، وهي ـ على مايبدو ـ عادة ألفها خلف وهي اصلاح الشعر الذى له رأى فيه .

---

(١) القصيدة في ديوان بشار بن برد، ٣:١٤٨ ، وقد قيل انها في تهنئة سلم ابن قتيبة حين ولي امارة البصرة سنة ١٤٥ هـ ،زمن خلافة المنصور.

(٢) الاغاني، ٥:٤٤ ـ ٤٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

خلف وأبو نواس :

كان لأبي نواس شيوخُ عِلْم كثر أخذ عنهم معارفه منذ كان صغيرا ، على أن اثنين من هؤلاء العلماء كان لهم أكبر الأثر في حياته وهما والبة بن الحُباب وخلف الأحمر : فكان والبة الأقدم وكان خلف الأحسن ، فهو الراوية المُتَقدّم في عصره مما جعل أبا نواس يلجأ إليه قاصدا الدّرس عليه .

وقصته في قول الشعر معروفة ، فقد استأذن أُستاذه خلفا في قول الشعر ، إلا أن الاستاذ رفض وطلب إليه حفظ ألفٍ من مقطوعات الشعر بين قصيدة وارجوزة ، فلما كان له ذلك جاء لخلف وقال له بأنّه حفظها فانشدها له على مدى أيام وبعدها طلب الأذن منه مرة أخرى، ليطلب اليه نسيان ما حفظ مع معرفة أبي نُواس صعوبة ذلك ، إلا أنه يحاول ذلك ويحضر إلى استاذه ويعلمه بأنه نسيها ، فيصدر الامر من الاستاذ ان انظم الشعر الآن .(١)

ولم يقصر الأمر على ذلك ، بل أخذ من استاذه نوادر الشعر التي كان يرويها.(٢) حتى اشتد وصار شاعرا متمكنا من قوله .

ولاشَكْ أن فضل خلف على أبي نواس كبير يوجب الاخلاص والوفاء وهذا ما كان من التلميذ الذى أطاع استاذه منذ لازمه ، حتى وفاته .

ولم يبق لنا من هذه الصلة بينهما سوى قصيدتين قالهما أبو نواس في استاذه ، وقصة هاتين القصيدتين تبدو غريبة ، إذ ذكر الرواة أن خلفا أراد سماع مراثي أصحابه به قبل ان يموت ، فكان أبو نواس

---

(١) الاغاني، ٢:١٨ ، وانظر مقدمة تحقيق ديوان أبي نواس . احمد الغزالي.م طبقات الشعراء، ١٩٣: ، وانظر أبو نواس ، مقالات في حياته وشعره :٩٢.

(٢) أخبار ابي نواس، ابن منظور : ٢٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أحدهم، ورثـــاه بقصيدة طويلة أعجب بها خلف، وقال له : أحسنـــت ! فقال له أبو نواس : مُتْ ولَك عندى خَيْرٌ منها ، فقال له خلـــــــف : كأنك قَمَرْت ؟ قال : لا . ولكن أين باعثُ الحزن ".(١)

وقد أحببنا أن نثبت هذ الشعـــر لنعـــــرف شخصيـــــــة خلف مـــن شعر تلميذه ،فالرثاء نوع من أنواع المديح فهو يذكـــــــر مناقب المَيِّت ويُلْمِحُ إلى موقعه في زمانه .

يقول في الأولى :(٢)

لا تَنِلُ العُصْمُ في الهِضَابِ ، ولا ... شَفواءُ تَغْدُو فَرْخَينِ في لُحُفِ(٣)

يُكِنُّهَا الجَوُّ في النَّهار ، ويو ... ويها سَوادُ الدُّجَى إلى شَرَفِ(٤)

تَحْنو بِجُؤْشوشِها على ضَـــرَمٍ ... كَقَعْدَةِ المُنْحَنِي مِنَ الخَـــرَفِ(٥)

ولا شَبُوبٌ باتَتْ تُؤَرِّقُهُ الـــ ... ـنَّشْرَةُ منها بوابِلٍ قَصِـــفِ(٦)

دانٍ على أرضِه وأَسْنَدَ فـــي ... بَهْوٍ أَمينِ الإيادِ ذي هَدَفِ(٧)

يَدَعُنَّهُ ذاكَ طُولَ لَيْلَتِـــــهِ ... حَتّى إذا انْجابَ حاجِبَ السَّدَفِ(٨)

غَدا كَوَقْفِ الهَلُوكِ يَنْهِفُ الـــ ... ـقِطْقِطُ عن مَنْبَتَيْهِ والكَتِـــفِ(٩)

كأنّ شَذَراً وَهَتْ معاقِـــدُهُ ... بَيْنَ صَلاهُ فَمَلْعَبِ الشَّنَـــــفِ(١٠)

---

(١) انظر ديوان أبي نواس ح : ٥٧٤.

(٢) ديوان ابي نواس : ٥٧٤ .

(٣) تنل : تطلب النجاة . العصم : الوعول . الشفراء : العقاب لحف : البروز في الجبل .

(٤) اى ان هذه العقبان والوعول تلجأ الى أعالي الجبال ليلا وتحـــوم في البر نهارا.

(٥) الجؤشوش : الصدر ، الضرم : فرخ العقاب .
يشبه ضو العقاب على صغاره بالشيخ الهرم المجني ظهره .

(٦) الشبوب : الشاب من الثيران . النشرة : كوكبان في السماء .

(٧) الاياد : المعقل هدف : المكان المرتفع .

(٨) السّدف : انظمة ،اى ان هذا الثور يقيم في المكان المرتفع الـــذى ذكره في البيت السابق ويبقى في معقله حتى يكون الفجر.

(٩) وقف الهلوك : المرأة الفاجرة تلبس سوارا ، يشبه هذا الثور كســـوار المرأة الفاجرة مكسوّا بالثلج .

(١٠) الشذر : اللؤلؤ الصغير . بين صلاة : وسط ظهره . الشنف : حلق الأذن .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وَأَخْدَرِيٍّ ، صُلْبِ النَّواهِقِ صَلْـ ... ـصَالٍ أمينِ الفُصوصِ والوُظُفِ(١)
مُنْفَرِدٌ في الفَلاةِ تُوسِعُهُ ... رِيّاً ، وَما يَخْتَلِيهِ مِنْ عَلَفِ(٢)
مَا تَرَكَ الموتُ بعده شَبَحاً ... بادٍ بِتَلَلِ القِلالِ والشَّعَفِ(٣)
لَمّا رأيتُ المَنونَ آخِذَةً ... كُلَّ شَديدٍ ، وكُلَّ ذي ضَعَفِ(٤)
بِتُّ أعَزّي الفُؤادَ عن خَلَفٍ ... وبَاتَ دَمْعي إنْ لايَفِضْ بَكِفِ .
أنْسى الرَّزايا مَيْتٌ فُجِعْتُ به ، ... أمْسى رَهينَ التُرابِ في جَدَفِ(٥)
كان يُسني برفقةٍ عَلَفاً ، ... في غيرِ عِيٍّ منه ، ولا عُنُفِ(٦)
يجوبُ عنك التي عَشِيتَ بِها ، ... من قبلِ حَتّى يَشْفِيكَ في لُطُفِ(٧)
لا يَهِمُ الحاءَ في القراءةِ بالحـ ... ـسَاءِ ، ولا لامَها مع الألِفِ(٨)
ولا يُعَمّي معنى الكلامِ ، ولا ... يكون إنشادُهُ عن الصُّحُفِ(٩)
وكان مِمّن مضى لنا خلفاً ، ... فليس منه إذْ بان من خَلَفِ(١٠)

فالقصيدة كما نرى تقع في تسعة عشر بيتا ، سبعة منها في مديح خلف وذكره ، مما يجعلني أميل الى القول إنها غير كاملة ، فهو

---

(١) الأخدرى : حمار الوحش . صلب النواهق : عظم قوى تكون في مجرى الدمع عند هذا الحمار الوحشي . الوظف : اى مستدق الساق .
(٢) يختلي : يقطع .
(٣) القلال : أعلى الجبل وكذلك الشعف اى انه صار كما الشيخ يقبع في الاعالي .
(٤) يقول ان الموت يطول كل قوى وضعيف .
(٥) ان خبر موت خلف قد أنساه كل المصائب الاخرى .
(٦) يقول بأن خلف كان طيب الخلق ، يزيد المودة في قلبه دون أن يكون عيبا أو عنيفا .
(٧) يزيل همومك التي أمسيت بها فيعطيك الجواب الشافي بلطف ورقة ، أى أن جل مسائل الخلاف عنده .
(٨) اى ان خلفا يحسن النطق والقراءة الجيدة .
(٩) اى ان خلفا يعتمد ذاكرته في القراءة فهو كثير الحفظ متقن للقول دون تمويه .
(١٠) يتحسّر على موت خلف الذى لايعوضه أحد .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يتحدث في أوّلها عن الوعول التي تعتصم في الهضاب نهارا وتلجأ الى أعالي الجبال ليلا ، ويرسم صورة أخرى للعقبان التي تحنو على صغارها فتقبع على قمم الجبال كما الشيخ المسنّ الأحدب .

ثم يتحدث عن حمار الوحش الذى يواجه ظروف الحياة القاسية من مطر وبرق ورعد ويحاول أن ينجو بنفسه من الموت ، فيلجأ إلى معقله في الأعالي يرقب الجوّ حتى يصير الفجر فيخرج إلى البراري لبقيات . ويشبهه في هذه الصورة بالسّوار المطليّ ؛ قد كسي بالثلج المتساقط عن جنبيه .

وكأنما قصد إلى القول بأن هذه الحيوانات التي تصول وتجول وتقبع في الأعالي آيلة إلى الموت فالموت لايفرق بين قوى، وضعيف ، وهو يعدّ خلفا من الأقوياء القمم ، وموته صدمة للشاعر، جعلته يعزّي نفسه بدمع لايتوقف .

فهو صديق وفيّ فيه من الخلق ما يجعله مقدما، ومن هذه الصفات أنّه ودود لايُعييه الكلام دونما حاجة إلى العنف في القول ، ويمكنه حلّ مايدور من مسائل تؤرق السائل بأن يحلها بسهولة ولطف، وجوابه فيها شاف لايحتاج إلى تثنية . ثم ينتقل الى الحديث عن علمه ويقول انه متقن للقراءة واضح الصوت واثق مما يقوله دون تمويه لأنّ قراءته وإنشاده يعتمد على ذاكرته القوية الحافظة غير ملتفت إلى ما هو مكتوب في الكتب والصحائف .

وفي البيت الاخير يشير إلى حجم المصيبة بفقده خلفا ، فليس له مثيل في أهل زمانه أو ممن سيأتي من الناس .

أما المقطوعة الثانية[1] فتقع في ستة أبيات جاءت على قافية القصيدة السابقة " فائية "، وتنقسم إلى قسمين رئيسيين ، الأول يتحدث فيه عن حتمية الموت التي لايمكن أن يتحصن منها احدٌ حتى العقبان التي تسكن قمم الجبال .

---

(١) ديوان أبي نواس ، ٥٧٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لَو كان حَيٌّ واثلاً من التَّلَفْ لَوَ أَلَتْ شَغْواءُ في أعْلَى شَعَفْ(١)
أَمْ فُرَيخٍ أَحْرَزَتْهُ في لَجَفْ مُزَغَّبُ الأَلْفَادِ لم يأكُل بِكَفْ(٢)
كَأَنَّه مُسْتَقْعِدٌ من الخَرَفْ هاتيك أو عصماءُ في أعْلَى شَرَفْ(٣)
تَروغُ في الطُّبَّاق والنَّزْعِ الأَلَفْ أَوْدَى جِمَاعُ العِلْمِ مُذْ أَوْدَى خَلَفْ(٤)
مَنْ لايُعَدُّ العِلْمُ إلاَّ ما عَرَفْ قَلِيذَمٌ من العَيَالِمِ الخُسُفْ(٥)
فَكُلَّما نشأَ مِنْه نَفْتِرِفْ روايةً لاتُجْتَنَى من الصُّحُفْ .

في القسم الأول يتحدث عن حتمية الموت التي لايمكن ان يتحصن منها أحد من الناس ولا حتى العقبان التي تسكن أعالي الجبال ، كذلك الوعول والظباء التي تسكن القمم ، ثم ينتقل في البيت الرابع للحديث عن هذه العقبان والوعول التي تعتصم في تلك الجبال وتدخل بين الشجر الملتفة أوراقه ليدخل بعدها في ذكر خلف فيقول أن العلم قد انتهى ومات منذ مات خلف فكل العلم معه وكأنه النبع يغرف من بحر كبير لاينضب ، فأيّما علم تطلبه تجده عنده خاصة الرواية التي يحفظها حفظا ولايعتمد على ما في الصحف .

والحقيقة أن الأسلوب الذى استخدمه أبو نواس في رثاء خلف يشير إلى تأثّره بأسلوب ابي ذؤيب الهذلي في رثاء أبنائه في قصيدته التي مطلعها .

أمِنَ المَنون وريبِها تَتَوجَّعُ والدَّهْرُ لَيْسَ بِمُفزِعٍ مَنْ يَجْزَعِ(٦)

---

(١) الوائل : المتحصّن . الشغواء : انثى العقاب .
(٢) المزغب : ما ليس له ريش ، الذور : لحم الحلق .
(٣) العصماء : مفرد العصم وهي الوعول .
(٤) تروغ : تختال ، الطباق : شجر ينبت في جبال مكة ، النزع : نوع من النبات .
(٥) القليذم : البئر الغزيرة ، العياليم : البحار ، الخسف : جمع خسفاء وهي البئر التي لاتنضب .
(٦) ديوان الهذليين ، ١ : ١٠ ، وانظر : أحمد كمال زكي ، شعر الهذليين ، ٣٢١

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وليس ثمة ما يمنع من هذا التأثر الذى حاكى به أبو نواس معاني السابقين ، لكن الأمر المستهجن في قصيدته إكثاره من الحديث عن العقبان والوعول وحُمُر الوحش، على حساب حديثه عن خلف ، فهو صاحب القصيدة التي تقوم عند أبي نواس على معان قليلة لاتتجاوز ذكر خلف بالعالم الفَذّ صاحب الرواية المُوثَّقة ؛ القادر على القراءة الجيدة ، مما لم يسعفنا في تتعرّف بقية ملامح شخصيته الأخرى .

وفاته

وكانت سنة (١٨٠هـ) وقد أُجمعت المصادر المختلفه على ذلك على أنني وجدت خبراً طريفاً رواهُ ابن المعتز يتصل بموت خلف ، يقول :"حدثني ابو ثُمامة عن ابراهيم بن إسحق قال : قال أبو الحسن المدائني : لما احتُضر خلف الأحمر قيلَ لهُ : قُل:لا اله الا الله. فَسَكَتْ . فأُعيدَ عليهِ فَسَكَتْ . فأُعيدَ عليه ثالثاً فقال :

جَفَّ بمقدارِ ما جَرى بهِ قَلَمُهْ .

وما زال يرددها حتى مات "(١)

ويدلّ الخبر على علمه الغزير الذى جرى في حياته ، أمّا سبب رفضه قول لا إله الاّ الله كما يشير إليه النصّ فإنّه يعني ضعف إيمانه ،وهو ما يجعلنا نَشُكُّ في هذا الخبر، إذ مرّ بنا أنّ خلفاً قد نَسَكَ آخر عُمْرِهِ وكان يَخْتِمُ القرآن كُلَّ ليلةٍ،وربّما يكون الخبر موضوعا عليه ليزيد في شكّ الناس في صدقه إبّان حياتِه .

---

(١) طبقات الشعراء ، ١٤٨

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصـــــــل الثانـــــــي

خلـــــــــف الأحمـــــــر .....راويـــــــة

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مفهـــــــوم الراويـــــــة

الرَوايا : جَمْعُ راويةٍ للبَعير، والرَّوّايا من الإبل: الحوامل للماء واحدتُها راوية ويقال رَوَيْتُ على البعير رَيّاً : استقيت عليـــــه، ويقالُ لسادة القوم الرَّوّايا ، قال ابو منصور : وهي جمع راويـــــة، شَبَّه السَّيّد الّذي تَحمّل الدِّيَاتِ عن الحَيّ بالبعير الراوية .

وروى الحديث والشعر يرويه رواية ورّواه ، وراوية كذلـــك اذا كثرت روايتـه والهاء للمبالغة في صفته بالراوية.(١)

" الراويةُ : الجَمل:وهو حاملُ المَزادةِ ، فَسُمّيت المزادة باسم حامـل المزادة، ولهذا المعنى سموّا حامل الشعر والحديث:راوية ".(٢)

فمدلول اللفظة كما نرى مرّ في مرحلتين حقيقية وهي بمعنى الابل التـي تحمل المتاع وثانية وهي مجازية تعني حمل الخبر، وقد أغنانا الدكتور ناصـر الدين الاسد(٣) عن الحديث حول نشأة اللفظة وتطورها.

والذي يهمنا من ذلك كله أن دلالة الراوية التي تطورت وصارت بمعنـى ناقل الخبر ـ والخبر اما ان يكون نثرا او شعرا ـ ، هو ذلك البحث الـــذي صار الى درس وتمحيص لما اتصل بنقل الحديث النبوي والشعر الجاهلـــي والاخبار المتصلة بهما حتى صارت الرواية فرعا متخصصا في العربية وآدابها له دوره فـــي اثراء التراث الأدبي .

ولم يخل هذا الضرب من العلوم من تشكيك رافقه منذ كانت نشأته ، ولاسيّما فـــي القرنين الأول والثاني الهجريين ، ونقصد رواية الشعر والاخبـــار، وذلك لانقطاع الوصل في هذا الباب بين العصر الجاهلي وعصر الرواة بظهـــور الاسلام وتأثيره في هذا المجال .

وخلف الأحمر أحد الاعلام المتأخرين في صنعة الرواية ، وقطب مـــن أقطاب تخاياها التي دارت حولها كاتصال هؤلاء الرواة بما سبقهم من مصادر الرواية والتشكيك في تلك المصادر حتى وصلت القضية إلى عصرنا الحاضر فانقسمت الآراء إلـى

---

(١) لسان العرب ، مادة روى ١٤ : ٣٤٥ ـ ٣٤٨.

(٢) الحيوان ١ : ٣٣٣.

(٣) مصادر الشعر الجاهلي ١٨٧ ـ ١٩٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

موثق ومشكك وطاعن،كل له ما يوجهه ويستند اليه ،ولعل الخلاف الأقوى والرأي المخالف هو ذلك الذى بدأه طه حسين في كتابه " في الشعر الجاهلي " مما أوجد مواقف متباينة دارت جلها حول التدوين وصدق الرواة والوضع والأسباب التي أدت الى ذلك، فقد مرّت الرواية بعدة مراحل : اولها رواة القبيلة والشاعر في العصر الجاهلي ثم الرواة في أواخر القرن الأول الهجرى واتصال الرواة في القرن الثاني الهجرى بهم، على أن ظهور الاسلام قد توسّط هاتين المرحلتين وكان له أثر في انقطاع الاتصال بين الرواة اللاحقين بمن سبقهم من الرواة ، أو اتصالهم بالمدونات القديمة .

وحتى نتعرف موقع خلف في الرواية كان لابّد من الإحاطة بمقوّمات الرواية عنده، وتنقسم هذه المقومات إلى قسمين رئيسيين وهما : مصادر الرواية عنده ، والآراء الّتي دارت حول روايته .

— ٢ —

مصادر الرواية عند خلف :

حمّاد الراوية :

وقد آثرنا الحديث عن حمّاد أولاً لما له من أثر واضح في صقل شخصية تلميذه خلف ،فقد سبق الحديث عن صلة حمّاد بخلف في جانبها الاجتماعي ، أما التأثير العلمي - المتصل بالجانب الأول - فكبير ، لأنه المعلّم الأول وقد قيل في حماد : " وكان من أوسعهم رواية حماد الراوية ، وقد أخذ عنه أهل المصرين وخلف الأحمر خاصة ، وروى عنه الأصمعيّ شيئا من الشعر" .(١)

---

(١) مراتب النحويين ، ١١٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كما يقول ابن سلام:" وكان أول من جمع أشعار العرب وساق أحاديثها حماد الراوية ، وكان غير موثوق به "(١)

ويقول أبو الطيّب اللغوي :" وحماد الراوية مع ذلك عند البصريين غير ثقة ولا مأمون ".(٢)

ويقول الجاحظ:" ذكر الأصمعي وأبوعبيدة وأبو زيد عن يونس أنه قال : إني لأعجب كيف أخذ الناس عن حماد وهو يلحن ويكسر الشعر، ويكذب ويسحق ".(٣)

وهذا المفضل الضبي يقول :" قد سلّط على الشعر من حماد الرّاوية ما أفسده فلا يصلح أبدا، فقيل له : وكيف ذلك ؟ يخطىء في روايته أم يلحن؟ قال : ليته كان كذلك ، فان أهل العلم يردّون من أخطأ إلى الصواب، لا ولكنه رجل عالِمٌ بلغات العرب وأشعارها ، ومذاهب الشعراء ومعانيهم ، فلا يزال يقولُ الشّعرَ يشبه به مذهب رجل ويدخله في شعره ،ويحمل ذلك عنه في الآفاق ، فتختلط أشعار القدماء ، ولايتميّز الصحيح منها إلاّ عند عالم ناقد ، وأين ذلك !"(٤)

وصورة حماد ،كما وردت في هذه النصوص تدل على الاعتراف بتقدمه في باب الرواية واشتهاره بحفظ الأخبار التي لم تكن محمولة على الصّدق عندهم لأنه كان عالما بالعربيّة وآدابها فيضع على الشعراء ما يلبس على النّاس حقيقة هذه الأخبار ، وقد ساق لنا الدكتور ناصر الدين الاسد(٥) جلّ الآراء التي أحاطت بحماد الراوية ، فساق تراجم أهل زمانه وتراجم اللاحقين له ثم ناقش تلك الأخبار مناقشة موضوعية تتصل بالتأريخ أولا وبالنقد ثانيا ، فتنبه للتناقض في الاخبار خاصة تلك التي تقول بأن حمادا كان شاعرا

---

(١) طبقات فحول الشعراء ، ٣٩.

(٢) مراتب النحويين ، ١١٨.

(٣) المصدر نفسه ، ١١٨.

(٤) الأغاني ، ٦:٨٩.

(٥) مصادر الشعر الجاهلي ، ٤٣٨ — ٤٤٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وكان لشدّة اقتداره يضع الشعر على أحدهم فلا يعرف ، ثم يأتي على القول الذى يتهم حمادا بأنه ممن يكسرون ويلحنون .... فكيف يستوى ذلك !؟

ولعلّ الجهد الذى بذله الدكتور ناصر الدين الأسد في تجلية الصورة المحيطه بحماد لم يكن الا دفاعا يستند إلى الحجة التي يقابل بها تناقض الاخبار التي ترجمت لحماد ، كما ساق لنا اخبارا توثق رواية حماد كقول أبي عمرو الشيباني : " ما سألت أبا عمرو بن العلاء قط عن حماد الراوية الا قدمه على نفسه ، ولاسألت حمادا عن ابي عمرو الا قدّمه على نفسه ".(١) ويخلص الى القول :" فنحن نميل الى أن نعد اكثر ما اتهم به حماد موضوعا ، دعت الى وضعه عوامل عدة منها :هذه العصبية التي كانت متأججة بين البصرة والكوفة ، ومنها : تلك المنافسات والخصومات الشخصية كالتي كانت بين المفضل وحماد ، ومنها العصبية السياسية ، فقد كان حماد أموى الهوى والنزعة ..... ومنها : أن حمادا كان ـ باعتراف الرواة ـ كثير الرواية واسع الحفظ ، فكان يروى ما لايعرفه غيره ، ويحفظ ما لايحفظون ، فاتهموه بالتزيد والوضع ، وقد ساعد على كيل هذا الاتهام له وتضعيفه وتجريحه انه كان ماجناً مستهتراً بالشراب مفضوح الحال ".(٢)

وأقول : إنّ ما ذهب إليه الدكتور الأسد من الأسباب التي دعت العلماء الى أن يكيلوا التهم إلى حماد تحتمل صحة قولهم أيضا ، وإن كان الظَنُّ عندي ان المبالغة التي رسموها لحماد قللت من رسم الحقيقة ، فكما هو الحال عند الدكتور الاسد الذي حمل التهم على احد تلك الاسباب التي خلص اليها ، فان الميل الى صحة تلك الأقوال يميل إلى أن حماداً ـ وان كان كثير الحفظ ـ اراد أن

---

(١) الاغاني ، ٦:٠٧٣

(٢) مصادر الشعر الجاهلي ، ٠٤٥٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يقيم لنفسه مكانة رفيعة في المجتمع، وإلا فمن أين له تلك الاخبار التي اختص بها وحده ، ومن أين أتى بها ...؟ وكلها أسئلة يمكن ان تطرح على ذلك التوثيق الذى قصد إليه الدكتور الأسد .

ولم يكن تقديم القول في رواية حماد الا مقدمة للحديث عن تلميذه خلف الأحمر الذى أكثر من الأخذ عنه حتى قيل : ان خلفا الأحمر أول من أحدث السّماع بالبصرة وذلك انه جاء الى حمّاد الراوية فسمع منه وكان ضنينا بادبه ".(١)

وقد قلنا إن صلة خلف بحماد خلقت مشاكل تتهم خلف بما اتّهم به استاذه من قبل ، فأبو الطيب اللغوى يقول : ان حمادا كان من اوسع الكوفيين رواية وقد اخذ عنه أهل البصرة والكوفة وقد خص خلفا بالاخذ منه ، ويقول إن أهل الكوفة قصدوا خلفاً بعد موت حماد ليأخذوا عنه الشعر لأنّه كان اوسعُ الرواة بعد موت حماد ، وقيل أيضا : إنّ خلفا كان يأخذ الصحيح من أشعار العرب من حمّاد ويعطيه المنحول وكان فيه حمق ، وهي أخبار تؤكد مدى العلاقة التّي نشأت بين خلف وحماد حتى ارتبط ذلك عند الدارسين باتهامهم معا للأسباب ذاتهاالتي أشار اليها الدكتور الأسد آنفا.

ولسنا بصدد الدّفاع عن حماد وتخليصه من التهم التي لحقت به ، إلا أننا نميل إلى تأكيد القول الماضي ، فالمبالغة في اتهام حماد لم تكن كِذْبة لها ما يبررها فننفي بذلك بعضا مما كان عليه من كذب في الأخبار والأشعار، فهو بلاشك علم

---

(١)

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

من أعلام الرواية ظلمته الترجمات القديمة حتى صار عندهم وضاعا دون تقييد .

ومهما يكن من أمر اتهامه ، فيكفينا اجماع القول على أنه شيخ الرواية في عصره وان خلفا أخذ عنه الشعر والأخبار فافاد بذلك الكثير وأصاب ضربين من العلوم من مصدر عرفه التاريخ : الضرب الأول هو حفظ تلك الأشعار والأخبار وتوثيقها ، والثاني صقل حافظته التي اعتمد خلف عليها حتى وفاته ، فقد اعتمد على حماد وأخذ عنه سماعا ولم يلجأ إلى التدوين والكتابة وكان السّماع عندهم أوثق وأقرب إلى الحقيقة .

فنحن إذن أمام مصدر من مصادر خلف التي اتكأ عليها حتى وصل الأمر – ان صحّ الخبر – أن يأخذ خلف صحيح الشعر من استاذه ويعطيه المنحول ، وهو كما نرى مضطرب في جملته ، فكيف بالاستاذ الذى يعطي صحيح الشعر ان يقبل المنحول الموضوع وهو من هو في الرواية ، وصاحب الباع الأكبر في حفظ الأشعار ، وفي ذلك يقول الدكتور الأسد : " لكن هذا الخبر يصور لنا حمادا ثقة فيما يروى لأن خلفاً يعترف بأنه كان يأخذ منه الصحيح من أشعار العرب ، ثم انه يصوّر لنا حمادا في صورة الجاهل الأحمق الذى يستجهله تلميذه فيعطيه المنحول من الشعر فيقبله ويجوز عليه ! "(١)

ثم إنّ افتراض صحة التّهمة الموجهة لحماد يجعلنا متأكدين من تلك الأسباب التي أثرت في حمل التهم عليه والتي ساقها الدكتور الأسد في تعقيبه على اخبار حماد ، ثم إن هذه الأخبار وان اتصلت بعضها بخلف لاتحتمل نقل التهمة إلى التلميذ بحجة أن الناس اقبلوا عليه بعد موت الأستاذ.

---

(١) مصادر الشعر الجاهلي ، ٤٥٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الأعـــــــــراب :

لقد كان للأعراب دور بارز في الرواية ، فاتصل بهم علمـــاء العربية والفوا لقياهم لما ضجّ بهم البصرة – مساجدها واسواقهـــا ودورها – فأخذوا عنهم الأخبار والأشعار واللغة ، فكانوا يحضـــرون مجالس المساجد حتى صار لهم حلقات لتعليم طلبة اللغـــة والأخبار، كما كان لسوق المربد دور في جمعهم بحثاً عن أسباب العيـــش فيختلطون بأهلها ، يشترون ما رغبوا من البضائع ، ويعطـــون الناس إجابات على أسئلتهم .

وقد كانت تجربة خلف معهم كغيره من علماء العربية الذيـــن سعوا اليهم أمثال الأصمعي وأبي عمرو بن العلاء وأبي عبيدة .

وقد اشتهر في البصرة عدد من هؤلاء الأعراب امثال أبـي مهديـة[1] والمنتجع بن نبهان[2] اللذين التقاهما خلف الأحمر حين ذهب مـــع اليزيدي يسألهما في مسألة القول " لَيْسَ الطِّيبُ إلاَّ المسكُ "[3]، وفـــي هذه المسألة نجد خلفا يناقش القول من وجهة نظره ، فيحـــاول أخذ النصّ من الاعرابيين على النحو الذى يريده لكنهما يأبيـــان إلا قوله على ما ألفيه ، فأبو المهدى يقولها بالنصب والمنتجـــع يقولها بالرفع ، فالمنتجع يتكلم لهجـــة تميم ، وأبو مهديّـــة حجازى يتكلم لهجة الحجازيين .[4]

ومن هؤلاء الأعراب ايضا أبو ضمضم الكلابيّ ، وهو من أوائـــل الأعراب الوافدين إلى البصرة ، وقد لقيه خلف مع صاحبه الأصمعـــي،

---

(١) انظر : البيان والتبيين (٢٦٢:٣)، (٢٨١:٢).
(٢) طبقات الزبيدى ،١٧٥.
(٣) انظر : أمالي القالي ٣ : ٣٩.
(٤) رواية اللغة : ٧٢ – ٧٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يقول الأصمعي : " أقبل فتيان الى ابي ضمضم بعد العشاء ، فقال : ما جاء بكم ؟ قالوا : جئنا نتحدث اليك . قال : كذبتم ياخبثاء ولكن قلتم : كَبُرَ الشَّيخ فهلمّ بنا عسى أن نأخذ عليه سقطة . قال : فانشدهم لمائة شاعر كلّهم اسمه عمرو .

وقال الأصمعي : فعددت أنا وخلف الأحمر فلم نزد على أكثر من ثلاثين "(١).

ويتضح لنا أنّ اثر الأعراب ومكانتهم في البصرة كانت كبيرة ، حتى ينهل العلماء منهم في ابواب اللغة والنحو والشعر والرواية وغيرها .

وقد روى ابن سلام خبراً عن هؤلاء الأعراب يقول : ويروى أن عمر ابن الخطاب قال : أيُّ شعرائكم يقول :

فَلَسْتُ بِمُسْتَبْقٍ أخاً لا تَلُمْتُهُ على شَعَثٍ، أيُّ الرِّجالُ المُهَذَّبُ

قالوا: النابغة . قال : هو أشعرهم (وبنو سعد بن زيد مناة تدعي هذا البيت لرجل من بني مالك بن سعد يقال له نَتَقَةُ ، انشدناه له حُلَابس العَطارديّ "(٢) ثم يقول ابن سلام : وأخبرني خلف الأحمر أنّه سمع من أعراب بني سعد لهذا الرجل "(٣)،وكأنما يعني ان خلفا الأحمر قد اختص بالأخذ عن أعراب بني سعد.

كما لقي صاحبنا خلف منهم رؤبة بن العجاج ، يستمع اليه ويناقشه فقد روى المرزباني عن المازني قال :" حدثني الأصمعي، عن خلف . قال : سمعت رؤبة بن العجاج يقول : لقيني الكميت والطرماح فسألاني عن الغريب ، ثم سمعته في شعرهما بعد".(٤)

---

(١) العقد الفريد ، ٥:٣٠٨.

(٢) طبقات فحول الشعراء : ٤٧.

(٣) المصدر نفسه : ٤٧.

(٤) الموشح : ٣٠٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ونَقَلَ الأصمعيّ عن خلف الأحمر " قال : سمعت رؤبة يقول : ما في القرآن أعرب من قوله :" فاصدع بما تؤمر"، وسمعه يقرا : " فأما الزبد فيذهب جفالا ". قال : أي خلف ـ قلت : جفاء . قال : لا إنّما تجفله الرّيحُ أي تقلعه ".(١)

وبذلك يكون خلف قد كوّن معرفة جديدة عن طريق هؤلاء الاعراب إضافة إلى ما يأخذه من اساتذة الجيل آنذاك في حلقاتهم ومجالسهم ، وقد شكل الأعراب عنصرا مهما من عناصر التراث العربي ، وذلك كان هذا حين ظلّ هؤلاء الأعراب محافظين على بداوتهم وخشونتهم ، ومن الطبيعي ألاّ يَظَلّ الحال على ذلك ، فاختلاط هؤلاء الأعراب بأهل الحضر لابد وان يغير من حالهم ، فيميل لسانهم إلى السّهولة واللّين ، يأخذون ويعطون حتى يصير العلم عندهم كما هو عند غيرهم ، بل إنّ الغلط عندهم أكثر لانهم عرفوا إقبال الناس عليهم ، فلما صار الضعف فيهم بدأوا يتزيدون في الاخبار والاشعار حتى يحافظوا على صفاتهم التي عُهِدوا بها من قَبْل ، مما جعل العلماء يكشفون ذلك ، لِيَهمّوا بالارتحال إلى البادية .

والملاحظ في تجربة خلف مع الاعراب انها عاديّة لم تُؤثّر كثيرا في لغته او روايته ، كما كانَ حال الأصمعي الذى أكثر من الأخذ عنهم حتى شمّر في الغريب .(٢) لكثرة ما أخذ عنهم وخاصة حين التقاهم في سوق المربد ، لكن المصادر لم تذكر مثل ذلك عن خلف . خاصة انه مال إلى الشّعر وروايته أكثر من ميله إلى النحو واللغة ، وقد كان له رأى في ذلك الميل ، فقد أخذ على أبي زيد اقتصاره على النّحو ، ويبدو أن هذا كان في بداية تعلم أبي زيد ، يقول الخبر:

" أخبرنا محمد بن يحيى قال : أخبرنا محمد بن الفضل قال : حدثنا

---

(١) اخبار النحويين البصريين : ٠١٢٠

(٢) معجم البلدان ٢ : ٠٢٠٢

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

عمر بن شبه . قال : حدثنا أبو حرب البابيّ قال : كان أبو زيد لايعدو النحو ، فقال له خلف الأحمر : قد أُلححت على النحو لم تَعْدُه ، ولَعَلّ ما ينبل منفرد به ، فعليك بالشعر والاخبار."(١)

فهو يعدّ اقتصار العالم على النحو غير مستحب ، لايكتمل فيه العالم اذا لم يتجاوزه الى بقية علوم العربية ويقصد الشعر وروايته والاخبار وروايتها ، وهذا في رأيي توجه صائب ، فالنحو أولا لايمكن أن ينفصل عن الاشعار والاخبار، فجزء من درس النحو يتمثل في الاشعار والاخبار ، واقتصار العالم على النحو أمر غير ممكن ، فهو علم – ان كان منفردا – جاف لا لين فيه ، وهذا لايقلل من شأن النحو ، بل إنه علم أساس المعرفة العربية وآدابها ، لكنّ خلفاً يطلب من أبي زيد أن يتعدى النحو بعد أن درسه إلى الأشعار والأخبار ومعرفة أحوال السابقين .

صلته بالبادية :

اما رحلته إلى البادية فلم توفرها المصادر حتى نتبين تأثير ذلك على روايته الشعرية ، إلا اننا نلمح اهتماما برواية خلف عن قبيلتين هما بنو سعد من تميم وعبد القيس ، قبيلتان سكنتا البصرة ، الأولى في الجنوب الغربي والثانية في شرق البصرة وكان خلف جمع شعر هؤلاء حتى أتهم بالوضع على شعرائها فهذا الأصمعي يقول :" ووضع – أي خلف – على شعراء عبد قيس شعرا موضوعا كثيرا وعلى غيرهم عبثا بهم "(٢)، وقد أخذت المصادر المتعاقبة هذا الخبر على علّاته دون ذكر لتلك الأشعار أو الشعراء الذين وضع عليهم

---

(١) العيون في الأدب ، ابي احمد العسكري : ١١٩.

(٢) مراتب النحويين : ٤٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

خلف هذا الشعر ، وهذا ما جعل الخبر مضعف الحجة والدلالة كما سنرى .

أما رحلته الى بني سعد فيشير اليها قول ابن سلام: " وأخبرني خلف أنه سمع أهل البادية من بني سعد يروون ....."(١) لذلك وجدنا الخطيب البغدادي يذكر خلفا في خزانته ميالا لليمن وهذا ما جعله يختص بأعراب بني سعد وأهلها ،" وقيل : ان خلفا الأحمر كان له ولاء في اليمن وكان أميل الناس الى أبي نواس ، فقال له يوما : أنت من اليمن فتكن باسم ملك من ملوكهم الأذواء، فاختار ذا نواس فكناه أبا نواس".(٢)

على ان رحلة التعلم فيما مضى من الحديث غير واضحة ، فقد اختلطت صورة المتعلم بالمعلم فخلف موافع العلم وهو كبير السن عارف عالم بالأشعار والأخبار ، فنراه تارة في سوق المربد يعلم وينشد ويأخذ عمن يفد اليه ، ثم يخرج الى الكوفة يطوف مساجدها ودورها ، وينتقل الى بغداد يثبت جدارته في مجلس المهدي ، وكل ذلك لابد وان يصقل معرفة الرجل بالشعر والشعراء والأخبار ويجعله أهلا للموقع الذي تبوأه ناقدا للشعر ورواية خبر.

— ٣ —

موقع خلف بين الرواة :

انقسم الرواة — منذ القديم — الى قسمين ، الأول : الرواة ،

(١) مراتب النحويين : ٤٦.

(٢) طبقات فحول الشعراء : ٤٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والثاني : الرواة العلماء ، والفرق بينهما أنّ الفئة الأولى هي التي ألفت نقل الأشعار والأخبار كما حفظتها ، أما الثانية — وهي مرحلة متقدمة في الرواية — فهي التي حرصت على صبغ الرواية بالتوثيق والتدقيق حتى غدت علما قائما لايبرز فيه إلا قلّة .

وكان خلف الأحمر أحد هؤلاء القلّة الذين برزوا في الرواية ، يدل على ذلك قول أقرانه وأهل زمانه ، فهذا الأصمعي من أكثرهم قربا من خلف ومن الذين قدّموه على أنفسهم في مواضع كثيرة رغم المنزلة الرفيعة التي احتلها الأصمعي. يقول : " ما بلغت الحلم حتى رويت اثني عشر ألف أرجوزة للأعراب ، وكان خلف الأحمر أروى الناس للشعر وأعلمهم بجيده "(١) ولا أرى بعد ذلك مدحا ، فعلى رواية الأصمعي التي شهد لها الناس لم يجد من هو أروى من خلف ، كما لم يجد من هو أعلم بالشعر منه ، فهو عنده راوية عالم بأصول الرواية متقن لفن النقد .

ثم ننتقل إلى مرحلة أخرى ، وهي تلك التي أساءت لخلف الأحمر عن طريق نقل أقوال للأصمعي تتهم خلفاً بالوضع ، ومن ذلك أنه قال : " وكان — أي خلف — أعلم الناس بالشعر ، وكان شاعرا ، ووضع على شعراء عبد قيس شعرا .....(٢)

وحتى نستكمل موقع خلف في الرواية لابدّ من ذكر أقوال أقرانه وتلاميذه ،لنجلي مكانته بينهم ، فهذا أبو عبيدة (معمر بن المثنى) يقول : " خلف الأحمر معلم الأصمعيّ ومعلم

---

(١) العقد الفريد ، ٥/٣٠٦.

(٢) مراتب النحويين ، ٤٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أهل البصرة "(١). ولانرى انتصارا أكبر من ذلك ، فهو عند أبي عبيدة مُقَدّم ثقة موثق حتى صار عنده معلما للأصمعي ولأهل البصرة ، والقول كما نرى يحمل تعميما ومبالغة لايمكن ان تؤخذ على وجه الحقيقة ، فهو مقدّم في علمه مشهود له دونما حاجةٍ إلى الاصرار على جعله استاذ البصرة والأصمعي ، مما أعطى المعنى تحاملا من أبي عبيدة على الأصمعي ، وانتصارا لخلف الذى تربطه به أسباب كثيرة ، منها ما هو شخصي عرقيّ ومنها ما هو علميٌّ موضوعي .

وإذا ما ذهبنا إلى غير أبي عبيدة ، وجدنا إنصافا وموضوعية أكثر ، فهذا الأخفش يقول :" لم أدرك أحدا أعلم بالشعر من خلف الأحمر والأصمعيّ ".(٢) فهو يجمع في المنزلة الواحدة خلفاً والأصمعي ، وعليه فإن أبا الخطاب الأخفش يقرّر في حدود إدراكه بأن خلفا والاصمعي عالمين متفوقين في الشعر، وهذا ما أقره الأصمعي من قبل كما أقرّ به خلف الذى قدّم الأصمعي على أبي عبيدة في موضع سابق في الفصل الأول .

وهذا تلميذ خلف النجيب ابن سلام يسجل موقفا جديدا متميزا ، اذ يقول :" أجمع أصحابنا أنه كان أفرس النّاس ببيت شعر ، وأصدقه لسانا ، كنّا لا نبالي اذا اخذنا عنه (خبرا) أو انشدنا شعرا ، أن لانسمعه من صاحبه ".(٣)

والحقيقة أن موقف ابن سلام قد رفع موقع خلف عندنا حدّ التشكيك في مجموعة الروايات التي اتهمت خلفا بالوضع ، ولم يكن هذا الموقف منا مجرداً عن الحُجّة والإثبات .

---

(١) نزهة الألبّا : ٦٩ ، معجم الأدباء ، ١١: ٦٦، الاغاني ٦:٩٢ ، جمهرة اللغة ٣:١١٧.

(٢) معجم الأدباء ١١:٦٧ ، بغية الوعاة : ٢٤٢.

(٣) طبقات فحول الشعراء :٢١ ، نزهة الألبا :٦٩ ، معجم الأدباء ١١:٦٧. الفهرست : ٥٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وأول تلك الحجج أن ابن سلام ينقل لنا رأي الجماعة من أصحابه فيقول : أجمع أصحابُنا ، وهذا توكيد لصحة الخبر، خاصة أنه يأتي من حشد من العلماء أمثال ابن سلام ، ثم يقول :" إنّه كان أفرسُ النّاس " أي أشهر من عرف عندهم بالشعر وفنونه ، ولم يكن علمه مطعونا أو مأخوذا بشيء من الضعف بل انه صادق الرواية حتى أن الشعر أو الخبر الذي يرويه كالآحاد ، أي لايأتي من اكثر من رواية ، ومع ذلك يكتفون به لانه مُوَثَّق دقيق صحيح .

ولعلنا ان أردنا انصاف النصّ زدنا عليه آراء ابن سلام في أستاذه خلف ، فابن سلام يتهم حماد الراوية بالوضع والكذب ، وكان أمرا طبيعيا لو لَحِق بمن اتّهم خلفا بمثل ما اتهم به حماداً، لكنه أبى إلاّ أنْ يوثّقه وينتصر له ، على أنه الأكثر قدرة على معرفة أستاذه ، فقد أخذ عنه علوما كثيرة وأفاد منه في باب الرواية وهذا ما جعل حكمه صريحا لايحتمل معنى آخر.

وهذا أبو زيد الأنصاري يقول : " أتيت بغداد حين قام المهدّي فوافاه العلماء من كل بلدة بأنواع العلوم ، فلم أر رجلا أفرس ببيت شعر من خلف ، ولا عالما أبذل لعلمه من يونس "(١)، وهذا رأي يؤكد ما ذهب اليه ابن سلام ، فالفراسة التي قصدها أبو زيد هنا انما تتصل بالحفظ الموثق والقدرة على معرفة أبوابه وعلله وصحيحه وموضوعه وغثه وسمينه في موقف له هيبته وجلاله وهو اجتماع العلماء من مدن الدولة في بيت الخلافة لتهنئة الخليفة المهدى بتسلّم الخلافة .

ونود أن نشير هنا إلى قلة الأخبار التي تتحدث عن جلوس خلف الى مثل تلك المجالس سوى حلقته التي كان يديرها في مسجد البصرة (٢).

---

(١) انباه الرواه ، ٢:٣٥.

(٢) الأغاني ١٨:٧٩. وانظر : ص (٤٠) من البحث .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وعليه فقد عدّه الدكتور أحمد زكي أحد شيوخ حلقات الأدب والأخبار.(١)

وهكذا فان صورة خلف الراوية تمثل جانبا من جوانب الحياة الأدبية بين علماء القرن الثاني الهجرى ، والذين أجمعوا على تقديم خلف في معرفته بالشعر والتدقيق في الرواية حتى قالوا فيه ، اكثرهم رواية وأعلمهم بالشعر واصدقهم لسانا ، وكذلك بدأت حركة اتهامه من هذا الوقت ايضا فأشار الأصمعي الى ذلك ـ ان صحّ ـ واتهمه في هذا الموضع وغيره بأنه على علمه ومعرفته وضع الشعر على شعراء عبد القيس وغيرهم .

لكن الجانب الأعمّ في رأى أهل زمانه به التقديم والتوثيق مما جعلنا نميل الى الحاجة لمناقشة النصوص المخالفة في موضع آت من هذا الفصل ، وهو الجانب الذى أثر في شخصية خلف في الترجمات المتقدمة .

يقول القفطي : "..... وهو ـ أي خلف الأحمر ـ أحد رواة الغريب واللغة والشعر ونقاده والعلماء به وبقائليه وصناعته ، وله صنعة فيه ، وهو أحد الشعراء المحسنين ، ليس في رواة الشعر أحد أشعر منه ".(٢)

ويقول أبو علي القالي في أماليه :" كان أبو محرز أعلم النّاس بالشعر واللغة ، وأشعر النّاس على مذاهب العرب "(٣) ويعقب على قوله هذا بحديث قاله ابن دريد . يقول : " حدثني أبو بكر بن دريد : أنّ القصيدة المنسوبة إلى الشنفرى التي أولها :

أقِيموا بَنِي أمّي صُدورَ مَطِيّكُم فَإنّي إلى قَوْمٍ سِواكُمْ لَأمْيَلُ .

---

(١) الحياة الأدبية في البصرة ، ٠١١٣

(٢) أنباه الرواة ، ١: ٠٣٤٨

(٣) الأمالي ، ١: ٠١٥٥

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

له ، وهي من المقدمات في الحسن والفصاحة والطوّل ، فكان أقدر الناس على قافية ".(١)

كما ذكر السيوطي قوله : " أخبرنا محمد بن يحيى ، اخبرنا محمد بن يزيد ، قال : كان خلف الأحمر أخذ النحو عن عيسى ابن عمر ، وأخذ اللغة عن أبي عمرو - يقصد ابن العلاء - ولم ير أحد قط أعلم بالشعر والشعراء منه ، وكان يضرب فيه المثل في عمل الشعر ، وكان يعمل على السنة الناس فيشبه كل شعر يقوله بشعر الذى يضعه عليه ".(٢)

ونلحظ التبعية في الأحكام المقابلة بين النصوص السابقة فالقفطي يذهب مذهب ابن سلام في أن خلفا احد الرواة البارعين العارفين لصنعة الشعر بكل جوانبها ، كما يضيف الى ذلك أنه شاعر محسن لم يكن في رواة الشعر من هو أشعر منه وقد ذهب الى مثل هذا القول ابن قتيبة ، فقد ذكر : " وكان عالما بالغريب والنحو والنسب والأخبار ، شاعرا كثير الشعر جيده ، ولم يكن في نظرائه من أهل العلم أكثر شعرا منه ".(٣)

وتبع السيوطي في ترجمته قول الأصمعي الثاني الذى أشرك فيه التوثيق والطعن في موضع واحد ، فخلف عندهم يحفظ الشعر ويعرف علومه المختلفة حتى بلغ اقتداره هذا أن يعمل شعرا يشبه به شعر الذى يضعه عليه ، فيخفى ذلك على الناس .

وهذا أبو علي القالي يذكر ما عرفه عن خلف من علم بالشعر واللغة حتى عدّ من أشعر الناس على مذاهب العرب ، وينتقل

---

(١) الأمالي ، ١:١٥٥.

(٢) مراتب النحويين ، ٤٧، المزهر ٢: ٢٥١.

(٣) الشعر والشعراء ٢: ٦٧٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إلى حديث ابن دريد الذى نقله إليه من أنّ القصيدة التي حَسِبها الناس للشنفرى انما لخلف ، فقد قيل انه ـ أى خلف ـ قادر على فعل ذلك .

فنحن اذن ـ أمام نماذج من الترجمات تنقسم الى قسمين رئيسين :ـ قسم يوثق رواية خلف ولا يطعن بها كما هو حال الأصمعي وابن سلام وأبي زيد الأنصارى وأبي عبيدة ، وقسم موثق طاعن في آن واحد مثل القفطي وأبي علي القالي وابن قتيبة والسيوطي الذين اعتمدوا على روايات للأصمعي كانت تحمل القصد ذاته . فهذا القفطي يفسر براعة خلف بقوله : " وكان يبلغ في حذقه واقتداره على الشعر أن يشبه شعره بشعر القدماء، حتى يشبه بذلك على جلّة الرواة ، ولايفرقون بينه وبين الشعر القديم، من ذلك قصيدته التي نحلها ابن أخت تأبط شرا ، التي أولها :ـ

إنّ بالشِّعْبِ الّذي دُونَ سَلْعٍ لَقتيلاً دَمُهُ ما يُطَلُّ .

جازت على جميع الرواة ، فما فطن بها الا بعد دهر طويل لقوله :

خبر ما نابنا مصمئل جلّ حتى دق فيه الأجل .

فقال بعضهم : " جَلّ حتى دَقّ فيه الأجلّ " من كلام المولدين، فحينئذ أقرّ بها خلف ".(١)

وفي هذا الخبر والذى ذكره القالي في أماليه شواهد تعرض مشكلة الوضع عند خلف ، فهم كأنما يشقون ببراعة الرجل وقدرته على مثل ذلك وكما ذكر الاستاذ الدكتور ناصر الدين الأسد في ذلك (٢)، وقال : إن ما ذهب اليه هؤلاء من ان القصيدة لخلف وذلك لما رأوا قوله : جل حتى دقّ فيه الأجل ضعيف لان المعنى ليس شيئا لايدركه الأعرابي ومن هو دون الاعرابي ، وسنعرض لموقف

---

(١) انباه الرواة : ١ : ٣٤٨ ـ ٣٤٩.

(٢) انظر : مصادر الشعر الجاهلي ،٤٥٨ ـ ٤٦٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

استاذنا الدكتور ناصر الدين اثناء مناقشة تلك القصيدة وغيرها مما اتهم خلف بوضعها ، ولعلنا قبل ذلك نحتاج إلى تفصيل امر توثيق خلف من قبل أقرانه وتلاميذه ومن تبعهم ممن ترجموا له .

قلت:إن التضارب الذى عرّفنا بخلف الأحمر ذو حدّين أما الأول فهو توثيق وتصديق ، وبيان مَقام يَدُلّ على شأن كبير للرجل ، فهو عالم بالشعر له فراسة ما بعدها فراسة ، شاعر بل أشعر العلماء او الرواة ،والحد الثاني يكشف عن مقدرة جاءت نتيجة هذا العلم المتميز في وضع الشعر على غيره حتى لايعرف العارف بذلك ان كان هذا الشعرلخلف أم لغيره ، وسنضرب لذلك أمثلة كثيرة. والملاحظ فيما نذكره هنا أن الذين وثقوه انما هم أنفسهم الذين اتهموه ، وقد أخذت الأجيال المتلاحقة منذ القرن الثاني الهجرى عن بعضها فكان الخبر عندهم واحداً، يذكرونه بما فيه أولا ثم يعرجون على اتهامه ، لذا رأيت أن أذكر الرأى أو الآراء على شكل فردى ، كأن نجمع آراء الأصمعي فيه التي توثقه والتي تتهمه وقد قام الاستاذ الدكتور ناصر الدين الأسد في كتابه مصادر الشعر الجاهلي بجمع الأخبار التي وثقته وكذلك الاخبار التي اتهمته بالوضع والنحل وقد قدم الثانية على الأولى ، فكنّا نرى خبرا في الأولى للأصمعي يتهم خلفا بالوضع وانه وضع على شعراء عبد القيس شعرا موضوعا كثيرا ، وعلى غيرهم عبثا بهم، فأخذ ذلك عنه أهل البصرة وأهل الكوفة .(١) وخبرا ثانيا يدعم هذا ذكره المرزباني :" قال ابو حاتم : ولما قدم الأصمعي من بغداد دخلت إليه فسألته عمّن بها من رواة الكوفة . قال : رُواة غير

---

(١) مراتب النحويين : ٤٦ ، المزهر ، ٢: ٢٥٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

منقحين ، انشدوني اربعين قصيدة لأبي دؤاد الإيادي قالها خلف الاحمر ، وهم قوم تعجبهم كثرة الرواية ، اليها يرجعون ، وبها يفتخرون. وقد ختموا الشعراء بمروان بن أبي حفصة ، ولو ختموهم ببشار كان أخلق ، وإنما مروان من أقران سَلْم الخاسر ، وقد تزاحما بالشعر في مجالس الخلفاء ، وسُوِّيَ بينهما في الصلة ، وسَلْمٌ مُعترفٌ لبشار، ولقد كان بشار يُقَوِّمُ شِعْرَ مروان ".(١)

وكما نرى فان الخبرين من رجل واحد يتهمان خلفا بأنه وضّاع،والأصمعي كما نعلم أقرب الناس الى خلف ، وأكثر من أخذ عنه الشعر واللغة والأخبار ، فهو حين يتهمه يعرف ـ كما قلنا ـ قدره واقتداره لذلك نجده يذكر ذلك ولاينكره فهو يقول :" كأنما جعل علم لغة ابني نزار ، ومن كان من بني قحطان على لغة ابني نزار، بين جوانح خلف الأحمر بمعانيها".(٢) وموقف آخر للأصمعي يكشف عن تقديره لخلف حين قال : " ذهبت بشاشة الشعر بعد خلف الأحمر، فقيل له : كيف وانت حيّ ، فقال : إنّ خلفا كان يحسن جميعه وما أحسن منه الا الحواشي ".(٣)

وهكذا نجد الأصمعي يقف موقفا يدل على معرفته بالرجل ، ولم يناقض نفسه ، وتفصيل ذلك أن تقديره لمنزلة خلف العِلمية في حفظ الشعر والأخبار ورُوايتها لايتعارض مع اتهامه بالوَضْع فهو كما ذكرنا مدح وقدح في آنٍ واحد دون تناقض في المعنى ، لان علم الرجل بَيِّنٌ لايُنكره أحدٌ على أنه شك في شعر قاله خلف فسمّاه وضّاعاً ، مما جعل أهل البصرة والكوفة يأخذون ذلك الشعر مُوَثَّقاً ، لكن الأصمعي راوية للشعر يعرف خطأ هؤلاء ويكشف عنه .

---

(١) الموشح : ٣٩٢.

(٢) طبقات النحويين واللغويين ، الزبيدي : ١٧٩.

(٣) المصدر نفسه ١٨٠٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وهذا رفيقه الثاني أبو عبيدة يذكر صاحبه في موقفين : فمرة يبالغ ويرفع من شأنه حتى كأنما يفرده عن غيره من الرواة والعلماء فيقول : " خلف الأحمر معلم الأصمعي ومعلم اهل البصرة ".(١)

والمرة الثانية يذكره بقوله : " قال خلف : كنت آخذ من حماد الراوية الصحيح من أشعار العرب واعطيه المنحول ، فيقبل ذلك مني ويدخله في اشعارها ، وكان فيه حمق ".(٢)

والرأى عندى أن الموقفين السابقين قد صدرا في وقتين مختلفين وربما متباعدين ، فهو في الأول يميل الى الرجل — وربما كانت اسبابه شخصية — باعتباره مولى متلمذه ، وفي الثانية ينقل خبرا عن خلف وفيه طعن وتضعيف لرواية خلف وحماد ، فالخبر يقرر أن حمادا غير مدقق لايعرف الصحيح من المنحول مع انه المتهم الأول بالوضع ، أى انه كان حاذقا بالاشعار والأخبار حدّ الوضع على الشعراء الأوائل ، ثم ان خلفا كان يأخذ منه شعرا صحيحا ، وبهذا نجد الخبر غير مستو ، اذ كيف يعرف خلف أن ما قاله استاذه صحيح مع اتهامه له بالحمق وانه يقبل منه الموضوع ، أقلا نشك بمثل هذا الخبر وفيه تداخل مُسوِّغٌ له ، وكما هي الحال بالنسبة لحماد فان خلفاً يُتَّهم ايضا بأنه خبيث ينسج شعرا يعطيه لحماد ، وهل كان حماد محتاجاً لرواية خلف الذى سبق له انْ روى له مع حبّه بالاحتفاظ بما لديه (٣)، إلا أنّه قَرّب خلفا منه وأعطاه الشعر لَمّا قدم البصرة ، فكيف يتفق ذلك إذا اجتمع مع خدعة تلميذه دون أن يكتشف ذلك ، ثم إنّ أهل البصرة والكوفة يعتمدون خلفا

---

(١) نزهة الألبا : ٦٩ ، معجم الأدباء ١١ : ٦٦ ، جمهرة اللغة ٣ : ١١٧.

(٢) الاغاني ٥ : ١٧٣ ، ١٧٤.

(٣) انظر : نزهة الالبا : ٦٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

راوية للشعر بعد موت حماد ، وثقوا به حين كان يروى لهم الشعر ، ثم ضعفوه لما رأيناه يخبرهم بأن الشعر الذى رواه لهم انما هو له ، وكانهم غضبوا منه ، فقالوا له :(١) أنت كُنت عندنا في ذلك الوقت أوثق منك الساعة ، فبقي ذلك في دواوينهم إلى اليوم .

وخلاصة القول في ذلك ، أنّ ماذهب اليه أقرانه وتلاميذه مضطرب يوقع الباحث في متاهة كبيرة بحثا عن الحقيقة ،وربما كان تخليص ذلك صعب المنال ، ولنا أن نحاول عسانا أن نكشف شيئا منها .

وأرى أن حاجة الباحث ـ في مثل موضعنا هذا ـ إلى التوثيق تكاد تكون الأهم في فهم النصوص ودراستها ومن ثمّ الاعتماد عليها ،واذا كان اضطراب النصوص ـ كما رأينا ـ يؤدى إلى اضطراب الحقيقة ؛ فنحن نجد ابن الانبارى يذكر في نزهة الألبّاء ما يدفعنا للشك في الرواية الأدبية حين يقول :" كان أهل العربية كلّهم اصحاب أهواء الا اربعة ،كانوا أصحاب سنة : أبو عمرو بن العلاء ، والخليل بن أحمد الفراهيدى ، ويونس بن حبيب والأصمعي ".(٢)

وهذا يعني بالنسبة لنا نسف الأخبار التي رويت عن خلف مما جاء عن طريق غير هؤلاء ، ولكن هذا أمر غير موضوعي ، ويحتاج منا إلى وقفة نتدارك فيها بعض الأمور منها :

أولا: إنّ حكم ابن الانبارى لايمكن أن يكون مطلقا ، فهو من ابناء القرن السادس الهجرى (ت ٥٧٧هـ) ، أي انه بعيد زمنيا حتى يتمكن من الحكم على رواة هذه الحقبة ، وهي حقبة نضج الرواية وتقنينها والاهتمام بها .

---

(١) المزهر ٢: ٢٥١ ، الأمالي للقالي :٤٧

(٢) انظر : ص (٢٧) .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ثانيا: إن التعميم المغلوط ، والغُلُوّ في الحُكم عنده جاء مطلقا دون بيان الأسباب إلا ان غير الأربعة ممن وردوا أصحاب أهواء ، وهذا لايعني مطلقا تجريحهم في كل روايتهم ، فنحن إذا ما أردنا الشكّ في رواية أحدهم فإنما يكون ذلك بعد الدّرس والتوثيق سواء كان ذلك الدرس في السَنَد أو المَتْن .

ثالثا: إن الدراسات الحديثة الكثيرة التي تصدت لبحث مثل ذلك قد نحت منحىً علميا فيه منهج الجرح والتعديل وفيه أيضا منهج الدراسة التاريخية والأدبية للنصوص ، وعلى رأس هؤلاء الاستاذ الدكتور ناصرا لدين الأسد.(١) في كتابه مصادر الشعر الجاهلي ، الذى تتبع جذور تلك الرواية منذ الجاهلية مرورا برواية صدر الاسلام ثم من تلاهم في القرنين الأول والثاني الهجريين.

ما اختص خلف بروايته :

علينا أن نقرر أولا أن خلفا لم يقتصر في روايته على الشعر ، بل روى لنا بعض الأخبار وان كانت لاتقيم وزنا اذا ما قيست بالشعر الذى رواه ، ثم ان خلفا لم يختص برواية شاعر بعينه أو قبيلة بعينها ، وقد نصت الأخبار على ان خلفا كان راوية مكثرا وناقدا فذّا على مذاهب العرب المختلفة ولاسيّما ان روايته جاءت عن طريق استاذه حماد الكوفي الذى جمع أشعار العرب واخبارهم بعامة .

ثم إن خلفا لم يقتصر بما يحفظه على الشعر القديم بل راح يتتبع أشعار بعض المحدثين من أبناء عصره ويروي لنا بعضه

---

(١) انظر : مصادر الشعر الجاهلي ، ٤٦٥ – ٤٧٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كشعر بشار بن برد ومروان بن أبي حفصة وقبلهم جرير والفرزدق .

وقد التقى عـــــدداً من شعراء عصره ، وكان يمثل الناقد لشعرهم، منهم مروان بن ابي حفصة وأبـو نواس وابن مناذر وزياد الأعجـــــم، وسنورد ما رواه خلف من الشعر الجاهلي واللاحق له أولا ثم نذكـــــر روايته لشعر معاصريه . (١)

مـــــع الشعـــــر الجاهلـــــي :

ومـــــع اننا لم نعثر على قصائد جاهلية كاملـــــة برواية خلف الا أن بعض الابيات التي رواها في مواضع مختلفة لشعـــــراء متعددين تكشف عن حفظه لشعر هؤلاء .

فقد روى شعرا لامرىء القيس ذكره الجاحظ :" قال خلف : لـــــم أر أجمع من بيت لامرىء القيس وهو قوله :

أفَادَ وجَادَ وسَادَ وزادَ وقادَ وذَادَ وعادَ وأفضَـــــلْ

ولا أجمع من قوله :

لَهُ أيطَلا ظَبْيٍ وسَاقا نَعامةٍ وإرخاءُ سَرْحانٍ وتَقْريبُ تَتْفُـــلْ(٢)

كما روى للأعشى وصحح البيت الذى أورده القالي :

تَرُوحُ على آل المُحَلَّق جَفْنَـةٌ كَجابِيَةِ الشَّيخِ العِراقيِّ تَفْهَـقُ

فيصححه خلف :

تَرُوحُ على آل المُحَلَّقِ جَفْنَـةٌ كجابية السَّيحِ العِراقي تَفْهَـق(٣)

ويقول : الشيخ تصحيف ، والسيح الماء الذى يسيح علـــــى وجه الأرض .

---

(١) الكامل في الأدب، المبرد ٢ : ٢٠٨.

(٢) الحيوان، ٣ : ٥٢.

(٣) المزهر، ٢ : ٣٥٦ ، أمالي القالي، ٢ : ٢٩٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وحين سئل عن قول الشاعر :[١]

مِنْ سَبأِ الحاضرين مأرِبَ إذ يَبْنونَ مِن دُونِ سَيْلِهِ العَرِمَا .

قال : للنابغة ، وقد يقال لاميّة . أى أمية بن ابي الصلت ، وكان يونس ابن حبيب يرويها للجعدى ، على أن أبا عبيدة أيّد خلفا في ان القصيدة لأمية بن ابي الصلت ، وأيد ابن سلام أنّ القصيدة للنابغة فقال :[٢]" دخل ـ النابغة ـ على الحسن بن علي فودعه ، فقال له الحسن : أنشدنا من بعض شعرك ، فأنشده :

اَلحَمْدُ لِلّه لاشريك لـه مَنْ لَم يَقُلْها فَنَفْسُه ظَلَمَا.

فقال له : يا أبا ليلى ! ما كنا نروى هذه الابيات الا لأمية ابن ابي الصلت قال : يا ابن رسول الله ، والله اني لأول الناس قالها ، وان السروق من سرق امية شعره ".

كما روى الأزهرى له :" أخبرني ابو بكر الايادى عن شمر عن أبي عبيد عن الأصمعي قال : سمعت خلفا الأحمر يقول : سمعت العرب تنشد بيت لبيد :

بِأَخِرَةِ الثَّلبوت يَرْبأُ فَوْقَها قفرَ المَراقبِ خَوْفُها آرامُها[٣]

ولما كان يحفظ شعر امرىء القيس فقد أخذ على المفضل الضبي حين أنشد له قوله :

نَمَسُّ بأعراف الجِياد أَكُفَّنا إذا نَحْنُ قُمنا عن شِواءٍ مُضَهَّبِ .

فقلت : ـ أى خلف ـ إنما هو نمش لأن المَشْ مسح اليد بالشيء الخشن ومنه سمي منديل القُمْرِ مَشوشاً ".[٤]

---

(١) طبقات فحول الشعراء، ١٠٦.

(٢) المصدر نفسه، ١٠٦.

(٣) تهذيب اللغة، الأزهرى : ٩ .

(٤) نزهة الألبّا، ٥٢ ، الخصائص، ابن جنّي،٣: ٢٨٧، التصحيف والتحريف، ١٦٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وممن روى لهم: الزبرقان بن بدر ، يقول ابن سلام : " وأخبرني خلف : انه سمع أهل البادية من بني سعد ، يروون بيت النابغة للزبرقان بن بدر :

فَلَسْتُ بِمُسْتَبْقٍ أخاً لا تَلُمُّهُ إلى شَعَثٍ أيُّ الرِّجالِ المُهَذَّبُ(١)

وهو هنا لايقرر من قائل البيت ، بل يذكر أن رواة بني سعد يذكرون هذا البيت للزبرقان وهو يعلم ان الناس تعرفه للنابغة ، وفيما كان يمتحن أصحابه في مقدرتهم على استبدال ألفاظ مكان أخرى اذا ما غير القافية واستبدل مكانها كلمة مناسبة للمعنى ، فعن أبي علي القالي قال: " حدثني ابو بكر عن ابي حاتم عن الأصمعي قال : قال يوما خلف لأصحابه : ما تقولون في بيت النابغة الجَعْدِيّ :

كَأنَّ مَقطَّ شَراسيفِهِ إلى طَرَفِ القُنْبِ فالمَنْقَبِ .

لو كان موضع (فالمنقب) فالقهبلس ، كيف كان يكون قوله :

لُطِمْنَ بِتُرْسٍ شَدِيدِ الصِّفا قِ من خَشَبِ الجَوْزِ لم يُثْقَبِ .

قالوا : لانعلم فقال : والأبنس ".

" وقال لهم مرة أخرى : ماتقولون في بيت النَّمِر بن تَوْلَب(٢) :

أَلَمَّ بِصُحْبَتي وَعُمٌ هُجُودُ خَيالٌ طارِقٌ من أُمِّ حِصْنِ .

لو كان موضع (من أُم حِصْنٍ) (من أمّ حَفْصٍ ، كيف كان يكون قوله :

لَها ما تَشْتَهي عَسَلٌ مُصَفًّى إذا شاءت وحُوَّارى بِسَمْنِ.

---

(١) الأمالي للقالي ١:١٥٥.

(٢) شاعر جاهلي عاش في البصرة وقد حفظ خلف شعره وله تصحيح آخر رواية بيت آخر انظر الاختيارين : الأخفش الاصغر : ٢٨١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

قالوا: لانعلم ، فقال : وحوّارى بلمص ، وهو الفالوذ "(١).

هذا الموضع يدل على قدرة خلف على رواية الشعر كما يحفظه ومحاولة اللعب بألفاظه فيما لو غير قافية البيت أو القصيدة ،

فهو يفترض الكلمة الأخيرة في عجز البيت على نحو لايخل بالمعنى ، ويختبر أصحابه كيف يكون البيت الآخر على ضوء الكلمة الجديدة ، وربما دخل قوله هذا في باب الوضع ، فهو يملك ناصية اللغة بحيث يتمكن من تغيير وتبديل الكلمات بحيث تتغير قافية البيت .

ولما كان يحفظ شعر الأعشى فقد صحّ رواية ابن دأب حين زعم أن أعشى همذان يقول :

مَنْ دَعا لي غزّيلي أرْبَحَ اللّهُ تِجارَتَهْ .
وخضابٌ بِكَفٍّ ه أسودُ اللّونِ قارِتُهْ .

فقال خلف : لقد طمع ابن دأب (٢) في الخلافة حين يجوز مثل هذا عنه ، ومع هذا ان " من دعالي محال ، انما يقال :(من دعا) لفزيلي (و) من دعا لبعير ضال ".(٣)

فهو كأنما يحفظ شعر أعشى همذان ، ولم يعهد انه قال مثل ذلك الشعر ثم انه يستبعد أن يخطىء شاعر كأعشى همذان بمثل ذلك الشعر ، أي بجزم اسم الله عزّ وجل وبرفع تجارته وهو نصب .

وكذلك صحّح رواية ابن اسحق في قول الشاعر :

بَيْن الخَوَرْنَق والسَّدير وبَارِقٍ والبَيْتِ ذي الكَعباتِ من سنداد .

وكان رواها لأعشى بني قيس بن ثعلبه ، إلا أن ابن هشام يذكره للأسود بن يعفر النهشلي وكان خلف أنشده إياه على نحو :

---

(١) الامالي للقالي ١:١٥٥ ، انباه الرواه ١:٣٤٨.

(٢) عيسى بن يزيد بن بكر بن دأب أبو الوليد الليثي،كان عالما ناسبا،وراوية شاعراكان من أحسن الناس حديثا ،وكان صاحب رسائل وخطب ،يقول خلف فيه وفي ابن شوكر. أحاديث خلفها شوكر وأخرى مولعة لابن دأب
انظر :البيان والتبيين ١:٣٢٣، ٣٢٤، تاريخ بغداد: ١٥٢.

(٣) مراتب النحويين :١٠٠، الاغاني ٥، ١٥٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أَهْل الخَوَرْنق والسَّدير وبارقٍ والبَيْت ذي الشُّرُفات من سِنْدادِ(١)

ومن الشعراء المجهولين الذين روى لهم خلف شعرا ، عبد الله ابن جِنْح النُّكْريّ وقد اورد له الأصمعي الابيات التالية برواية خلف :(٢)

زَعمَ الغَوَاني أَنْ أَرَدْنَ صَرِيمَتي أَنْ قد كَبِرْتُ وأَدْبَرَتْ حاجاتي .
وَضَحِكْنَ مِنّي سَاعةً وسألْنَني مُذْ كَمْ كذا سَنَةً أُخَذْتُ قَناتي .
ما شِبْتُ مِنْ كِبَرٍ ولكنّي امْرُؤٌ أَغْشَى الحُروبَ وما تَشِيبُ لِداتي .
احْمِي أُناسي أن يُباحَ حَرِيمُهُمْ وهُمُ كذاكَ إذا عُنِيْتُ حُماتي .
مِنْ مَعْشرٍ يَأبَى الهَوانُ أُخوهُمُ ثُمّ الأُنُوفِ جَحاجِحٍ سَاداتِ .
عَزُّوا وعَزَّ بِعِزّهِم مَنْ جاوَروا وَهُمُ الذُّرَى وغَلاصِمُ الهَاماتِ .
إنْ يَطْلُبُوا بِجَرِيرَةٍ يَنْأَوْنَها أو يُطْلَبُوا لايُدْرَكُوا بِتِراتِ .

والنُّكْريّ كما يعرفه الأصمعي : " نُكرة بن لُكَيْز بن أفصى ابن عبد القيس بن أفصى بن دعميّ بن جديلة ابن أسد بن ربيعة ابن نزار ".(٣)

وقد ذكر المحققان في ترجمته " لم نجد له ترجمة ولاذكرا "(٤)، وهذه هي المقطوعة الوحيدة التي رواها الأصمعي أو اختارها في أصمعياته برواية خلف الأحمر ، ولست أدرى تفسير ذلك ، وأغلب الظن،

---

(١) السيرة النبوية ، ابن هشام ، ١:٨٩٠

(٢) الأصمعيات ، الأصمعي ، ١١٤ قطعة ٣٠٠

(٣) المصدر نفسه ، ١١٤٠

(٤) المصدر نفسه ، ١١٤٠ المحقق

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أن الاصمعي ادرج في مختاراته ما كان يحفظه و يستحسنه ، لكن المقطوعة الواردة هنا برواية خلف الأحمر،وكأنه الوحيد الذى يعرفها ، والذى يدل على ذلك ان كل القصائد والمقطوعات الواردة عن الأصمعي لم تُرَدَّ إلى راوية غيره إلا هذه فقد ردّها لخلف الأحمر.

وممن روى لهم قيس بن الخطيم . وقال : ما أحد بيّن عن حقيقة الطيّف الا قيس بن الخطيم في قوله :(١)

ما تَمْنَعي يَقْظَى فَقَدْ تُؤْتِيـنَهُ في النَّوم غَيْرَ مُكَدَّرٍ مَحْسُوبِ .
كَانَ المُنَى بِلِقائِها فَلَقيتُها فَلَهوتُ من لَهْوِ امرىءٍ مَكْذوبِ(٢)

وقال مثله ذو الرمّة :(٣)

إذا نَحْنُ عَرَّسْنا بأرْضٍ سَرَى لَنا هَوىً لَبَّسَتْهُ بالقُلوبِ اللَّوابِسُ .
نَأَتْ دارُ مَيٍّ أنْ تُزارَ وزَورُها إذا مَا دَجا الإظْلامُ مِنَّا وَساوِسُ .

وهذا الخبر انما يدل على أن خلفاً الأحمر قدعرف المواضع التي تحدث فيها الشعراء حول موضوع ما ، فذكر من جودّوا ، ويبدو انه من الميالين لهذا اللون من الرواية ، فقد رأيناه يذكر أمرأ القيس بشعر جمع فيه معاني كثيرة مما جعل خلف يعجب بهذا الجمع في بيت واحد من الشعر .

بل ان معرفته تتعدى ذلك فهو يتقن وزن الشعر وقافيته ، مما جعله يصلح في مواضع كثيرة روايات الرواة أو الشعراء ، ومن ذلك ما ذكره ابن سلام يقول : " وقلت لخلف: من يقول ؟ :

إذا كُنْتَ في حاجةٍ مُرْسِلاً فَأرْسِلْ حَليماً ولا تُوصِهِ .

فقال : يقال للزبير بن عبد المطلب . فقلت : فالخليل يقول : هذا خطأ في بناء القوافي حيث يقول :

---

(١) نور القبس، ٧٣.

(٢) ديوان قيس بن الخطيم ، ، نور القبس، ٧٣.

(٣) ديوان ذو الرقه، ، نور القبس، ٧٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وإنْ بابُ أمرٍ عليْكَ التوى فشاورْ لبيباً ولاتعْصِهِ ·

(لقوله :" ولا توصه ") ـ كان يقول : لايتفق هذا (أبدا) فقال خلف : اخطا الخليل ، تراها جائزة ."(١)

وكذلك أصلح بيت الأعشى :

بَيْنَ الخَوَرْنق والسَّديرِ وبَارِقٍ والبَيْتِ ذي الكَعباتِ من سِنْدادِ

فقال خلف :

أهلُ الخَوَرْنَقِ والسَّدِيرِ وبارِقٍ والبَيْتِ ذى الشُّرفَاتِ من سِنْدادِ(٢)

الا أننا نلمح محبة خاصة تربطه بالأعشى ، فقد روى ابن سلام عن خلف قال : " وشهدت خلفا ، فقيل له : من أشعر الناس؟ فقال : ما ينتهي هذا إلى واحد يُجْتَمَعَ عليه ، كما لايجتمع على اشجع الناس واخطب الناس وأجمل الناس ·

قلت : فايهم أعجب إليك يا أبا محرز ؟ قال : الأعشى · قال: أظنه قال : كان أجمعهم ".(٣)

ونلمح في هذا الموقف رأيا نقديا ناضجا نتعرفه في فصل لاحق لكنه في الفقرة الثانية من الخبر يدلل على حبه للاعشى وميله اليه لانه أجمع الشعراء ، وليس معنى الخبر أن خلفا كان يفضل شاعرا على آخر بشكل مطلق ·

مع الشعر في العصر الاسلامي والأموي :

وما دمنا نتحدث عن رواية خلف التي امتزجت كثيرا بآرائه النقدية فاننا نذكر ان الرجل لم يكن كامل المعرفة مطلق الحافظة

---

(١) طبقات فحول الشعراء : ٢٠٥·

(٢) السيرة النبوية ١:٨٩·

(٣) طبقات الشعراء : ٥٤·

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لا يخطىء ، بل انه وقع أحيانا في خلط في الرواية ، فها هو ذا يقول : " أعياني شعر الأغلب [١] ، وكان من ولده إنسانٌ يصدق في الحديث والروايات ويكذب عليه في شعره "[٢] فهو يعلم أن شعر هذا الرجل مضطرب لايعرف صحيحه من موضوعه لانه يعلم أن بعض ولده أي الأغلب ـ كان يكذب عليه في الشعر ، لذلك لم يتمكن خلف من ضبط شعر الأغلب وتصفيته .

وموقف ثان يدل على مثل ما أوردنا ، رواه محمد بن سلام يقول :" كان عدى بن زيد يسكن الحيرة ومراكز الريف ، فلان لسانه ، وسهل منطقة ، فحمل عليه شيء كثير ، وتخليصه شديد ، واضطرب فيه خلف الأحمر ،وخلط فيه المفضل واكثر ".[٣]

وإنما اوردنا هذين النصين للدلالة على أن الرجل كان على بينة مما يحفظ ومما لايحفظ ، وهو هنا ـ يلح في أمر هذين الشاعرين ، ليعرف أنّه لم يقدر على تصفية شعرهما مما شابه . كما كان يروى شعرا لم يذكر قائله وسنكشف عن بعض ذلك في هذا الفصل .

أما عن روايته لشعر معاصريه ، فاننا نلمح انها قليلة ومشروطة عنده ، وكما نعلم ان خلفا اتصل بعدد من شعراء زمانه وروى كذلك لبعض الشعراء ممن عاشوا زمن دولة الخلفاء الراشدين وزمن الدولة الأموية ، أما الذين لقيهم كما يبدو فهم ممن عاشوا في البصرة أو وفدوا اليها ، أو ممن لقيهم خلف في الكوفة ، لان خلفا لم يغادر هاتين المدينتين سعيا لمجالس الخلفاء ، وقد ذكرنا ان المصادر لم تذكر لنا سفره خارج البصرة إلى بغداد سوى مرتين ،

---

(١) الأغلب :

(٢) الموشح : ٣٣٤.

(٣) المصدر نفسه : ١٠٣. ديوان عدى بن زيد :١٦، طبقات فحول الشعراء :٨٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الأولى حين ذهب وجماعة من العلماء يهنئون المهدى حين قام للخلافة ، والثانية حين حضر مجلس الفضل بن الربيع [1]، لهذا اختصر لقاءه على شعراء اشتهروا وقتها وعلى رأسهم بشار بن برد وأبو نواس ومروان بن أبي حفصة وابن مناذر ورؤية بن العجاج وخلاد الأرقط وسَلْم الخاسر ومن أهل الكوفه الكُميت قال : رأيت الكميت بالكوفة في مسجد ، يعلم الصبيان ".[2]

وحفظ شِعْر جرير والفرزدق وقَبْلهما حسّان بن ثابت ، ولايعني ذكرنا لهؤلاء الشعراء أن خلفا اقتصر في روايته عليهم ، فهو لابد وأن يلتقي غيرهم ، الا ان هؤلاء هم الفئة التي وردت حكاياتها مع خلف الأحمر.

أما الفئة الأولى فكلها تمثل فئة التلاميذ الا بشارا فكان يقربه سنا ، ولم نعهده يقدم النصح له أو يشير عليه برأى ملزم كما كان الأمر مع بقيتهم . وعلاقته ببشار ـ كما أسلفنا ـ مشوبة بالخوف والفزع خشية أن يهجوه فلا يخلص من أذاه ، أما البقية فكان يمثل لهم المعلم الناقد الناصح لهم ، على ان نقده تعداهم لمن سبقهم أمثال جرير وغيره ممن أصلح لهم شعرهم أو غير فيه ، ونستطيع أن نعدّ روايته لشعر هذه الفئة لونا من ألوان المشاركة ، فهو ليس راوية فقط ، بل يستمع إليهم حين ينشدونه فيحفظ ما يقولونه من شعر ، وربما أيّد ذلك موقفه الصَريح من شعر المولدين اذا ما قورن بموقفه من الشعر القديم ، فهم وإن أنشدوه من شعرهم أو سمع به إلا أن المقارنة بينهم وبين شعراء الجاهلية أمر مُحال وبعيد.

---

(١) انظر : الخبر الأول : أنباه الرواة ٢:٣٥ ، والثاني الممتع في صنعة الشعر : لمؤلفه عبد الكريم القيرواني : ١١٢ ١١٣.

(٢) الشعر والشعراء ٢:٤٨٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وفيما يأتي بعض من رواياته مع بعض شعراء صدر الاسلام والدولة الاموية : " وفي وقعة أحد يقول حسان بن ثابت برواية ابن اسحق :(١)

فَخَرتُم باللّواء وشرّ فَخْرٍ لواءٌ حينَ رُدَّ إلى صُوابِ .
جَعَلتم فَخْرَكم فيه بِعَبْدٍ وألأمُ من يَطَا عَفَر التُّرابِ .
ظَنَنْتُمْ والسَّفيهُ لَهُ ظُنونٌ وما إنْ ذاكَ مِن أمرِ الصَّوابِ .
بأنَّ جِلادَنا يَومَ الْتقَيْنا بِمَكَّةَ بَيْعُكُم حُمْرَ العَبابِ .
أقَرَّ العَيْنَ إنْ عُصِبَتْ يَداه وما إن تُعْصَبانِ على خِضابِ .

قال ابن هشام : آخرها بيت يروى لأبي خراش الهذلي، وانشدنيه خلف الأحمر :

أقَرَّ العَيْنَ إن عُصِبَتْ يداه وما إنْ تُعْصَبان على خِضابِ .

في أبيات له ، يعني امرأته ، في غير حديث أحد ".

وابن هشام يعتمد هنا في تغليط رواية ابن اسحق على خلف الأحمر فهو يعتمد صحة قوله لما عرف صدق روايته فاعتد بها، خاصة أن الخبر جاءه من خلف ، فهو يقول : أنشدنيه خلف ، اى سمع منه الشعر مشافهة ، وقد روى ابن هشام عن عدد من رواة الشعر آنذاك أمثال أبي عمرو بن العلاء وأبي زيد الأنصاري وابي عبيدة .

وما كان ليذهب إلى مثل ذلك إلاّ بعدما وثق برواية هؤلاء ومنهم خلف الأحمر ؛ اما خلف فهو كما نرى يحفظ شعر حسان وابي خراش الهذلي لذلك نجده يخرج البيت الأخير من أن قائله حسان بن ثابت .

كما روى لنا بعض ما كان يدور بين الفرزدق وجرير ونصيب وقد روى لنا أبن سلام :

---

(١) السيرة النبوية ، ٢: ٨١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

" قال ابو البيداء : لقي الفرزدق عمرو بن عطية أخا جرير — وهو حينئذ يهاجي ابن لجأ — فقال له : ويلك (قل لأخيك : ثكلتك أمك!) ابيت التيمي من عل كما أصنع بك أنا. وكان الفرزدق قد حمي وأنف لجرير أن يتعلق به التيمي.

(قال ابن سلام): فأنشدني له خلف الأحمر (يعني الفرزدق شعرا للتيمي يقول :

وما أنت إنْ قَرْمَا تميم تساميا أخا التَّيم ، إلاّ كالوشيظةِ في العَظْمِ
فَلوْ كُنْتَ مَوْلَى الظُّلْمِ او في ظلاله ظلمت ولكن لا يدى لك بالظلم

فأجابه ابن لجأ فقال :

كَذَبْتَ ! أنا القَرْمُ الذى دقّ مالِكاً وأفنَاءَ يَرْبوعٍ وما أنْت بالقَرْمِ(١)

ويروي أبو الفرج عن ابن سلام أن خلفا الأحمر قال: " ان نصيبا أنشد جريرا شيئا من شعره ، فقال له : كيف ترى يا أبا حرزه ؟ فقال له : انت أشعر جلدتك .

وها هو ذا الأصمعي ينشد خلفا الأحمر شعرا لجرير ، ثم يأخذ خلف على جرير غلطاً في المعنى .(٢)

مع شعراء عصره :

وممن أنشد لهم كذلك زياد الأعجم وهو شاعر من أصل فارسي عاش في منتصف القرن الأول الهجرى ،وقد ذكر له خلف الأحمر بيتين من الشعر عدّهما من المقدمات عنده في باب الرثاء وهي قوله :

الآن لَمّا كُنتَ أكملَ من مَشَى وأفترَّ نابُكَ عن شباةِ القارِحِ
وتكاملت فيكَ المُروءة كُلّها وأعَنْت ذلك بالفِعال الصالِحِ(٣)

---

(١) الاغاني١:٣٣٨ وزاد عليه ابن سلام بقوله : وكان نصيب اسود فقال : وجلدتك يا ابا حمزة . طبقات فحول الشعراء : ٣٧٠.

(٢) الموشح : ١٩٨.

(٣) شعر زياد الاعجم : ، الاغاني ١٤:٩٩، البيان والتبيين ٤:٥٩. الأمالي : ٣:٨ — ١١، المصون في الأدب : ١٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أما علاقته ببشار فمتميزة ، تحمل طابعا مميزا فيه طرافة وخروج عن المألوف ، خاصة ان صاحبنا شاعر جيد ، وإن مال إلى الوصف والهجاء ، وقد أخذ كثيرا من المواقف المعادية لبعض شعراء عصره الا انه لم يكن كذلك مع بشار.

والملاحظ في ذلك ان روايات خلف مع بشار ساقها الينا أبو الفرج الاصفهاني ، وأخذ عنه بعد ذلك المرزباني وياقوت الحموى وابن خلكان وقد رووها كما جاءت عند ابي الفرج ، وربما أردنا الاشارة الى ذلك لأن في الاخبار طرافة لم تذكرها المصادر التي ترجمت لخلف الأحمر – غير ابي الفرج – وربما جعلنا ذلك حجة للشك في هذه الأخبار لأن كثيرا من روايات أبي الفرج قد طعن بها لضعف سندها أو اقتصار ورود الخبر عليه، ولا أدرى ان جاز لي أن أحكم على تلك الرويات كلها – سواء ما كان منها مع بشار أم مع غيره بأنها مالت كثيرا إلى الفحش والخروج عن الذوق العام ، فما كان منها مع غير بشار جاء عن طريق ابي عبيدة مثل المهاجاة التي جرت بينه وبين اليزيدى [1]، أو ما كان بين خلف وأبي عبيدة نفسه [2] ومن أخباره مع بشار ماذكره أبو الفرج، يقول : "أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي . قال : حدثنا عيسى بن اسماعيل ، قال : حدثنا محمد بن سلام قال : قال لي خلف : كنت أسمع ببشار قبل أن أراه . فذكروه لي يوما وذكروا بيانه وسرعة جوابه وجودة شعره ، فاستنشدتهم شيئا من شعره . فانشدوني شيئا لم يكن بالمحمود عندى ، فقلت : والله لآتينه ولأطاطئن منه ،فأتيته وهو جالس على بابه فرأيته أعمى قبيح المنظر عظيم الجثة . فقلت لعن الله من يبالي بهذا ".[3]

---

(١) انظر : الأغاني ، ٢٠ : ١٩٢ ، ٢٠ : ٢٠٠ – ٢٠١.

(٢) المصدر نفسه ١٨ : ٨١.

(٣) الأغاني ، ٣: ١٩١ ، ط دار الكتب ، نور الشبس ، ٧٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولاشك في أن النص الى هنا يحمل دلالات كثيرة ، فخلف بادىء الأمر لم يحمد شعر بشار ، وهذا يعني أن الحكم صادر على أساس سماع بعض شعره ، ولما رأى الناس يشهدون له بالتفوق استغرب الأمر لانه قد سمع له شعرا غير جيّد ، ومن المشاكسة حمل خلف على بشار ولم يره بعد وكأنما اراد ان ينقص من قدره ، فلما صمم على ذلك ذهب اليه مما جعله يزيد في حكمه الأول قبحا ، فوصفه بعظم الجثة وقبح المنظر ذميم وكأنما يستهجن من يبالي به .

وما أن تكمل الخبر حتى تتغير الصورة كليّا ، فينقلب الهزء منه الى خوف وتعظيم له يقول :" فوقفت أتأمله طويلا ، فبينما أنا كذلك اذ جاء رجل فقال : ان فلانا سَبَّك عند الأمير محمد بن سليمان ، ووضع منك ، فقال : أوقد فعل ، قال : نعم ، فأطرق وجلس ، وجلس الرجل عنده ، وجلست وجاء قوم فسلموا عليه فلم يردد عليهم ، فجعلوا ينظرون اليه وقد دَرَّت أوداجه ، فلم يلبث الا ساعة حتى أنشدنا بأعلى صوته وأفخمه :

نُبِئْتُ نائِكَ أُمَّهٍ يَغْتابُني عِنْد الأمير وَهَلْ عَلَيَّ أميرُ .
نَاري مُحَرَّقَةٌ وبَيْتي واسِعٌ للمُعْتَفينَ وَمَجْلِسي مَعْمورُ .
ولِيَ المَهابةُ في الأحِبَّةِ والعِدى وكأنَّني أُسْدٌ لَهُ تامورُ .
عَرَشَتْ حَلِيلَتُهُ وأَخْطأَ صَيْدَهُ فَلَهُ على لُقَمَ الطَّريقِ زَئيرُ .

قال : فارتعدت والله فرائصي واقشعّر جلدي وعظم في عيني جدا حتى قلت في نفسي : الحمد الله الذي أبعدني من شرك ".(١)

وما دمت جعلت الرواية منتهية بأبي الفرج ومبتدئة بخلف صاحب الخبر فان في الأمر شكا من أحدهما أن يكون له هدف فيها ، فهي كما نرى غريبة مستهجنة ، فخلف يسمع ببشار دون أن يراه ،

---

(١) الاغاني ٣ : ١٩١ ، ط دار الكتب .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ثم يسمع له شعرا لايستحسنه ثم يذم في خلقته ثم يهابه ويخشاه حين يستمع للابيات التي مرّت ، والحقيقة أن الخبر غير مستوٍ عندي من عدة وجوه :

أولها: إنّ ناقل الخبر عن خلف هو محمد بن سلام ، والسؤال لم لم يشر ابن سلام الى وجود علاقة بين خلف وبشار ، وما الذى منعه من ايراد مثل ذلك الخبر ، وهل يقبل ان يرويه مشافهة ويرفض أن يكتبه في كتبه ، بل ان المصادر القريبة العهد من خلف لم تذكر شيئا من هذا الخبر عدا الاصفهاني .

ثانيهما: كيف يكون الأمر من عالم بالشعر والشعراء والرواية واللغة كخلف الأحمر لايعرف شاعرا كبشار ذاع صيته واشتهر أمره خاصة أنه خرج عما الفه الناس من ضروب الشعر ، وهل يعقل أن يأتي خلف وهو من هو الى بشار بن برد على هذا النحو وكأنه يسرق الأمر سرقة مع ان الرجلين خلفاً وبشارا متقاربان في السّن بعض الشيء وذائعا الصيت .

ثالثهما: أنّنا وجدنا خلفا يرفض الأخذ عن المولدين والمحدثين من الشعراء ، فكيف به هنا يروى لنا بعضا من شعر بشار،ولا نجده يختار ـ فيما بحثنا فيه ـ الا هذه الأبيات التي تحمل فحشا في الالفاظ واسلوبا دنيئا في الهجاء ، ثم ان الخبر يحمل على مجهول لم نعرفه ، ولاأدرى سبب اختفاء هذا الاسم الذى هجي بمثل هذا الشعر.

والخبر الثاني يسوقه أيضا أبو الفرج الاصفهاني عن الأصمعي قال :" كنت أشهد خلف بن ابي عمرو بن العلاء وخلفا الأحمر يأتيان بشارا ويُسلّمان عليه بغاية التعظيم ثم يقولان : يا أبا معاذ : ما أحدثت . فيخبرهما وينشدهما ويسألانه ويكتبان عنه متواضعين له حتى يأتي وقت الظهر ، ثم ينصرفان عنه (١)

---

(١) انظر : الخبر كاملا ، ص (٤٦) من البحث .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وهذا الخبر يرويه صاحب الاغاني عن الأصمعي يحكي قصة تردد خلف الى بشار بن برد يأخذ عنه ويكتب الشعر ، وفي احداهن يسمعان — أي خلف بن ابي عمرو بن العلاء وخلف الاحمر — أن بشارا نظم قصيدة فيها من الغرابة الكثير ، وهو انه اكثر فيها من الغريب : ويحاول خلف أن يقدم النصح الى بشار في قوله : ان ذاك النجاح في التبكير .

ليقول بدلا من " أن ذاك " : بكرا.....

فيجيب بشار بأنه قصد الى ذلك لتكون أعرابية ، فاذا ما قال : " بكرا فالنجاح في التبكير " يكون ذلك من كلام المولدين وهو لايقصد اليه لأنه يرد على سلم بن قتيبة الذ ا انشدا قصيدة يفتخر فيها بأنه اكثر من الغريب .

وكما نرى فان صاحب الاغاني لم يسبق من أخبار بشار مع خلف الأحمر سوى هذين الخبرين ، رغم ما كان من نشاطهما خاصة أنهما جمعا لونين محببين مطلوبين فهما راوية مقدم وشاعر للناس له وزنه ، ولو كان الخبر عند أبي الفرج مؤرخا لاستطعنا كشف بعض ملابسات ذلك ، لكننا لم نعثر على أى دالة تشير الى وقت لقاء الرجلين ! ، وهل اتصلت صحبتهما ! وهل تداولا غير ذلك من علوم الأدب ! .

وعلى ذلك كله فان خلفا لم يختص برواية شعر بعينه سواء أكان هذا الشعر لشاعر ما ، أم لقبيلة ما ، أم في موضوع ما فهو قد روى الشعر الجاهلي عامة ولم يختص بموضع فيه ، ونجد أنفسنا أمام ملاحظة تحتاج

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الى بيان وتخريج ، فنحن قد مرّ بنا موضع الرجل من الناحية العلمية ومقدار حفظه للاخبار والاشعار ، هذا عدا كونه شاعرا مجيدا له معرفة دقيقة فيه يميز صحيحه من منحوله ..... والامر المقابل لهذا ان الاشعار التي مرت بنا — عدا قصائد اتهم بها بالوضع — قليلة لاتكشف عن ذلك القدر الذى أعلمنا به من قبل اقرانه وتلاميذه ، خاصة اذا قارنا ذلك بأقرانه الذين رووا الشعر أمثال أبي عبيدة " معمر بن المثنى وأبي زيد الانصارى والاصمعي ..... وغيرهم .

والسؤال الذى لابدّ من اجابته : لم لم تكتب مصادر الرواية الشعرية عن خلف مادام أنه راوية مكثر حافظ مدقق ، واذا ما أفضنا الى سؤالنا تلك التهم الموجهة اليه من أنه وضاع للشعر ، مع التركيز على شعراء عبد القيس وأبي داود الايادى ، وجدنا أننا محتاجون الى تحليل بعض تلك المواقف قبل الخوض في تهمة الوضع التي لاحقته .

ومع أنه لم تصلنا روايات قصائد كاملة له ، لا أن هذه المنشورات الماضية تدل على أن روايته اتصلت بجل الشعراء الجاهليين والاسلاميين قبل عهده ، فتارة يضيف بيتا من الشعر وأخرى ينقص فيجعل المزاد لشاعر آخر ، أو يجعل الابيات كلها لشاعر آخر وثالثة يصوّب الرواية أو يصلح

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

منها نقلا عن مصدر ما أو دون ذلك ، فكان يذكر أحيانا ما يحفظ عن شاعر أو رواة قبيلة أو دون ذكر كقوله : " وكانت العرب تنشد بيت لبيد ....." أو ان يصرح بالخبر من تلقاء نفسه ، كأن يسأل عن قائل بيت شعر فيقول: فلان ويقال : فلان ، وهذا أسلوب شاع آنذاك ، فهم لم يرووا أخبارهم مسندة الا نادرا ، وربما كان ذلك لقربهم من تلك الروايات ، وعدم تنبههم لأساليب الوضع التي لحقت برواياتهم فيما بعد .

— ٥ —

رواية خلف الأحمر ..... في الميزان :

تجدر الاشارة الى أن الدكتور الأسد ناقش هذه المسألة نقاشا مطولا ، وقام بتحليل الأخبار التي وثقته أو التي اتهمته بالوضع [1] ونحن بدورنا نقدّر هذه اللفتات العلمية الموضوعية التي أبداها استادنا حول تلك الاخبار ، ونسرد بعضا منها ههنا لأهميتها وتداخلها مع بحثنا .

فقد وقف الى جانب الشك في أخبار طائفة أهل الكوفة الذين اتهموا خلفا بالوضع ، وذلك لما كان الصراع بين المدرستين البصرة والكوفة ، كل تحاول التقليل من شأن الأخرى والطعن بها ، خاصة من جانب

(١) انظر : مصادر الشعر الجاهلي ، ٤٥١ — ٤٥٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

البصريين الذين لم تعجبهم رواية أهل الكوفة ، وتعدى طعنهم في الرواية الى اللغة والنحو وغيره ، اما اولئك الذين اتهموه بالوضع من ابناء مدينته البصرة قد ذكر الاستاذ ناصر الدين أن هؤلاء استخدموا خلفا معبراً لاتهام رواة الكوفة ايضا ولبيان ذلك نورد أقوالهم :

المبرّد :" ولم ير أحد قط أعلم بالشعر والشعراء منه ، وكان به يضرب المثل في عمل الشعر ، وكان يعمل على السنة الناس فيشبه كل شعر يقوله بشعر الذى يضعه عليه .... وعليه قرأ أهل الكوفة أشعارهم ، وكانوا يقصدونه لما مات حمّاد الراوية لأنه كان قد أكثر الأخذ عنه ، وبلغ مبلغا لم يقاربه حماد"(١).

الأصمعي : " وكان اعلم الناس بالشعر ، وكان شاعرا ، ووضع على شعراء عبد القيس شعرا موضوعا كثيرا ، وعلى غيرهم ، عبثا بهم فأخذ ذلك عنه أهل البصرة وأهل الكوفة ".(٢)

أبو عبيدة : " قال خلف : كنت آخذ من حماد الراوية الصحيح من أشعار العرب واعطيه المنحول : فيقبل ذلك مني ويدخله في اشعارها ؟ وكان فيه حمق ".(٣)

أبو علي القالي : " كان أبو محرز أعلم الناس بالشعر واللغة ، وأشعر الناس على مذاهب العرب ، حدثني ابو بكر بن دريد : ان القصيدة المنسوبة الى الشنفرى التي أولها:

أقيموا بني أمي ..... له .... فكان اقدر الناس على قافية ".(٤)

ابن عبد ربه : " وكان خلف مع روايته وحفظه يقول الشعر فيحسن وينحله الشعراء، ويقال ان الشعر المنسوب الى ابن اخت تأبط شرا وهو :

ان بالشعب .....

---

(١) مراتب النحويين، ٨١

(٢) المصدر نفسه، ٨٠

(٣) الاغاني، ٥:١٧٣ — ١٧٤.

(٤) الأمالي، ١:١٥٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لخلف الأحمر ، وإنما ينحله إياه "(١)

ووافق هذا الخبر ابن قتيبة.(٢)

وقد خلط بعد ذلك عدد كبير من كتاب الأدب وتزيدوا في المسألة فذكروا خلفا عالما بالشعر والشعراء ، الأمر الذى دعاه لوضع الشعر على القدماء ، كما خلط بعضهم في ذكرهم بعض الاشعار له كالجاحظ الذى ذكر بيتا في وصف الحية فقال : " وقال تأبط شرا أو أبو محرز خلف بن حيّان الأحمر ".(٣)

وقد ذكرنا ان الدكتور الأسد وقف من هذه النصوص موقف المتشكك فأشار اولا الى تناقض الأخبار فبعضها يوثقه ولايتهمه ، وبعضها يوثقه ويتهمه في الوقت ذاته ثم قال :" ولرب معترض يقول : ان وصف اخبار الطائفة الثانية خلفا بالعلم لاتعني توثيقه في الرواية ، وبذلك لاتتناقض مع أخبار الطائفة الاولى . وهذا القول مردود من وجهين ،

الأول : ان من الجائز ألّا يعني الوصف بالعِلْم أنّ الموصوف بالعِلْم مُوثّق في الرواية لو نَصّ على ذلك الخبر نفسه .... أما ان يوصف بالعلم ويوقف عند ذلك ولاينص على تضعيفه في الرواية ، فان هذا الاغفال نفسه دليل على التوثيق والتعديل ، لأن الكلام حينئذ ملتبس ، ولابد لإيضاحه من النص على الاتهام لو قصدا ".(٤)

وكما هو واضح في هذا الرأى ان الدكتور الأسد حاول أن يفهم النُّصوص على وجه محدد ، فمن ذكره — أى خلف — من أهل العلم ولم يتبع

---

(١) العقد الفريد، ٦:١٥٧.

(٢) الشعر والشعراء ، ٢:٦٤٧.

(٣) الحيوان، ١: ١٨٢ ، حماسة ابي تمام، ١:٣٤١ — ٣٤٧.

(٤) مصادر الشعر الجاهلي، ٤٥٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ذلك اتهاما بالتضعيف في الرواية هو موثق لخلف لامحاله ، ولا يحتمل النص عنده اكثر من ذلك وقد استند بهذا على قول تلميذ خلف الأحمر ابن سلام الذى كان من اصحاب الشك في بعض الشعر الجاهلي ورواته ، الا انه وثق استاذه بشكل مطلق وذلك باجماع أهل العلم على ذلك " اجتمع أصحابنا أنه كان أفرس الناس ببيت شعر وأصدقهم لسانا ، كنا لانبالي إذا اخذنا عنه خبرا أو أنشدنا شعرا ألاّ نسمعه من صاحبه".

ولعل الاستناد إلى نص كهذا ، قريب من خلف الأحمر ، وصاحبه ذو رأى متميز في الرواية الشعرية أمر ضرورى ، ولكن التحليل الذى رافقه . من أن النصّ الذّى يذكر الرّجل بالعلم ثم يذكره متهما في روايته لايتناقض أمر يحتاج إلى حكم يصدر من زاوية علمية موضوعية ، وهي لم تتوفر في هذه الأخبار ، فقد يقول آخر أن ابن سلام مدح استاذه خلفا الأحمر لأنه عرفه حافظا للشعر متمرسا فيه يعرف الموضوع منه ولكثرة تمرسه هذا كنا ـ أى ابن سلام وجماعته ـ لانهتم إذا سمعنا الخبر أو الشعر من خلف أن نسمعه من صاحبه ، وهذا يحتمل التوثيق والعلم معا ، ثم إنّ النصوص الأخرى ، عند الأصمعي والمبّرد وابي عبيدة وابن دريد تصّرح بسبق خلف الأحمر في باب الشعر والعلم فيه الا انهم يتبعون ذلك بالتهم التي ذكرت في بقية حديثهم ، وربما استند هؤلاء إلى بيّنات دلّت على أن الرجل كان يضع الشعر .

وربما كان سندنا في ذلك ما ذكرته بعض المصادر الأخرى في مثل هذا :

أبو حاتم السجستاني : ذكر أبياتا نسبها إلى عمرو بن ثعلبة وهي :

تَهزأْت عِرْسي واستَبْكَرَتْ شَيْبي فَفيها حَنَفٌ وازورارُ .
لاتَكْثري هُزءاً ولاتَعْجبي فَلَيسَ بالشَّيْبِ على المَرْءِ عَارُ .
عَمْرَكِ ـ هل تَدْرينَ أنَّ الفَتى شَبابُهُ ثَوْبٌ عليه مُعارُ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ثم قال أبو حاتم : " زعم عطاء بن مصعب المليط ان خلفا الأحمر وضع هذا البيت الأخير".(١)

وأخذ الزبيدى يقول ابي علي القالي حول قصيدة الشنفرى أنها لخلف ثم يقول :" عن أبي حاتم قال : سمعت الأصمعي يقول : سمعت خلفا الأحمر يقول :

أنا وضعت على النابغة هذه القصيدة التي يقول فيها :

خَيْلٌ صِبامٌ وخَيْلٌ غيرُ صائِمةٌ تَحْتَ الفَتامِ وأُخْرى تَعْلِكُ اللُّجُما(٢)

ويقول ابن المعتز :" وقال دعبل : قال لي خلف الاحمر ، وقد تجاذبنا في شعر تأبط شرا وذكرنا قوله :

إن بالشِّعب الّذي دون سَلْمٍ لَقتيلا دمه ما يُطَلّ

أنا واللّه قلتها : ولم يقلها تأبط شرا".(٣)

وقد اضطربت الروايات في تحقيق قائلها " فمنهم من ادعاها لخلف الأحمر ومنهم من ادعاها لتأبط شرا ، ومنهم من جعلها للشنفرى وآخرون جعلوها لابن اخت تأبط شرا.

قال ابو علي القالي : كان أبو محرز أعلم الناس بالشعر واللغة واشعر الناس على مذاهب العرب . قال : حدثني أبو بكر بن دريد :إن القصيدة المنسوبة إلى الشنفرى التي أولها.

أقيموا بني أمي .....

له ، وهي من المقدمات في الحسن والفصاحة والطول ، فكان اقدر الناس على قافية ".(٤)

---

(١) المعمرين من العرب : ٣٣ ،وانظر : مصادر الشعر الجاهلي :٣٣١.

(٢) طبقات الزبيدى : ١١٣ — ١١٦. وانظر : شرح ديوان النابغة ، ٧١.

(٣) طبقات الشعراء : ابن المعتز : ١٤٧.

(٤) الأمالي ١:١٥٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد أخذ الزبيدي بهذه الرواية عن أبي علي القالي [١] كما روى عنه أبو حاتم السجستاني حول وضع خلف قصيدة النابغة التي مرّت سابقا .

ولم نقصد من ايراد تلك الأخبار اتهام الرجل أو توثيقه ، لان ذلك لايتأتى من سرد ما جاءت به المصادر وحسب ولكننا قصدنا جمع الروايات التي تطعن بخلف حتى يتسنى لنا مناقشتها ودراستها ، فقد رأينا اتجاه الاستاذ ناصر الدين الى تضعيف الروايات التي طعنت بخلف من طريقين :

الأول : يتمثل في اتخاذ خلف معبرا للطعن في رواية الكوفة ورواتها لان خلفا اكثر الأخذ عن حماد الراوية وهو كوفي ، وكان هذا الأمر مألوفا آنذاك عند علماء المدينتين البصرة والكوفة ، ومثاله ما رواه الأصمعي حين سئل عن رواة الكوفة ، فأخذ يتهمهم بأنهم غير منقحين ، كثيروا الرواية دون تمحيص أو تدقيق وكان مدخله الى ذلك انهم رووا أربعين قصيدة لأبي داود الايادى رواها لهم خلف .

والثاني : تركيزه على النصوص التي ذكرت شهرة خلف الأحمر وقدرته وفراسته في معرفة الشعر من غير أن تضعفه كما هو مألوف عند غيرهم ، فابن سلام لم يذكره بتهمة ما ، بل وصفه عالما باجماع أصحابه ، واضاف الى ذلك ان خلفا لم يكن من المتخبطين في الرواية ، فهو يعرف قدر نفسه ويغلّب الصحيح على الأصح كما فعل مع خلاد بن يزيد الباهلي [٢] ، كما اتكأ على قول الجاحظ :" ولقد ولدوا على لسان خلف الأحمر ، والأصمعي ارجازا كثيرة ، فما ظنك بتوليدهم على السنة القدماء؟" [٣] ، لأن هذا القول يعني الطعن أو الشك في الروايات

---

(١) طبقات الزبيدي، ١١٣ – ١١٦.

(٢) طبقات فحول الشعراء، ٨.

(٣) الحيوان، ٤ : ١٨١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

التي اتهمت الرجل .(١)

وهذا الرأى الذى ذهب اليه الدكتور الأسد يشكل مخرجا هاما من مخارج الرّد على اولئك الذين طعنوا برواية الشعر الجاهلي من خلال تلك النصوص ، فان اخذنا القصد العام فيه اتفقنا معه في أن وجود مثل هذه الأخبار لايعني ـ مؤكدا ـ الطعن في الشعر الجاهلي وروايته بشكل عام أيضا.

لكن المحاولة الجادة في تبرئة ساحة خلف من بعض الوضع أمر ظنّي لم يتأكد لنا لما في تضارب الروايات ـ بين تضعيف وتوثيق ـ من امكان لاستخلاص معان جديدة أخرى ،ورب سائل يقول: لم لم يطعن رواة البصرة في رواة الكوفة دون استخدام خلف الأحمر وسيلة للطعن فيهم ، ثم ان الأصمعي ـ كما رأينا ـ يدرك علم خلف وقدره بل ويقّر به حين يسأل ، بل ان الروايات تجعل الأصمعي تلميذا نجيبا لخلف يعلمه نقد الشعر . والسؤال : لماذا اتخذ ـالأصمعي ـ هذا الموقف من خلف ، وكيف يتهمه بمثل ذلك وهو العارف عنه وعن علمه ؟! .

ثم ما تفسير الروايات التي جاءت على لسان خلف عن طريق الأصمعي وابي عبيدة يذكر فيها عن نفسه ما هو شبيه بما نقصد، فتارة يكشف لأهل الكوفة عن وضعه الشعر ويطلب اليهم ـوكأنما يعترف بذنبه ـ أن لايأخذوا ما رواه لهم ، فيصّرون على توثيق تلك الروايات وتسجيلها في دواوينهم وعدم الأخذ باعترافه هذا.

وقد علمنا انّ خلف الأحمر قد نَسك في آخر عمره وكان يختم القرآن كل ليلة ، فقد ذكر أبو علي القالي : " وعليه ـ خلف الأحمر ـ قرأ أهل الكوفة أشعارهم ، وكانوا يقصدونه لما مات حماد الراوية ،

---

(١) انظر : تفصيل كل ما مرّ : مصادر الشعر الجاهلي ٤٥٤ ـ ٤٥٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لانه كان قد اكثر الأخذ عنه ، وبلغ مبلغا لم يقاربه حماد،فلما تقرأ ونسك خرج الى اهل الكوفة ، فعرّفهم الأشعار التي قد أدخلها في أشعار الناس ، فقالوا له : أنت كنت عندنا في ذلك الوقت اوثق منك الساعة ، فبقي ذلك في دواوينهم إلى اليوم ".(١)

ويقول أبو الطيب اللغوي : "..... ثم نسك فكان يختم القرآن في كل يوم وليله ، وبذل له بعض الملوك مالا عظيما خطيرا على أن يتكلم في بيت شعر شكّوا فيه ، فأبى ذلك ، وقال : قد مضى لي في هذا ما لا احتاج الى ان ازيد فيه ".(٢)

وليس من المنطق في شيء أن نقول بأن ذلك مدسوس عليه من أجل الطعن فيه أو في رواة أهل الكوفة ، كما لايعني أيضا اتهام خلف بكل ما جاء عنه من شعر أو نثر أو أخبار ، ففي الأمرين ظُلمٌ له .

فهو عالمٌ مُعَلّم شهد له أهل عصره بذلك وثنّى تلامذته على ذلك وأجمع من تلاهم بأنّ الرجل إنّما كان من المؤسسين لعلم الرواية ، وقد أخذ بها شوطا كبيرا مما كانت عليه ، ولكن هل كان كل أهل العلم يؤدون على شاكلة واحدة ، فالرّجل على علمه الوفير لم يلتزم بذلك فانحاز عن الصدق ، خاصة أنه من العلماء الشعراء، يحفظ لغيره ويكتب أو ينشيء لنفسه ، وربما كان لذلك آثاره السلبية التي جعلته يتخذ مثل ذلك الأسلوب ، وربما كان المبرّر في اتهامه أنه كان يقول شعرا قريبا جدا مما الفه أهل العصر من الشعر الجاهلي، ولاندري هل كان ذلك الشعر لشاعر غيره ام لخلف نفسه لأن الهَمّ عنده أن يشهر نفسه اما باعتبار ذلك الشعر له ، أو أن يردّه لصاحبه ، وفي الغالب أنّ ما ذهب إليه هو اعتبار ذلك الشعر لغيره .

---

(١) الأمالي للقالي،١:١٥٥ ، المزهر،٢:٢٥١ ، معجم الادباء،١١:٦٨.

(٢) مراتب النحويين، ٤٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

— ٦ —

خلف بين الشنفرى وتأبط شرا:

وقد آثرنا أن نكمل هذا الموضوع بمناقشة القصيدتين اللتين أتهم خلف بقولهما ونسبتهما إلى شاعرين في الجاهلية هما الشنفرى الأزدي وثابت بن جابر من بني فهم ، وهما أبرز الشعراء الذى اتهم خلف بالوضع عليهما ، على أن هاتين القصيدتين وردتا في المصادر القديمة كاملتين .

الأولى للشنفرى وسميت لامية العرب والثانية لتأبط شرا وهي لامية ايضا ..... وعلى خلاف ما رأينا من روايات خلف الأحمر ، اذ كان لهاتين القصيدتين دور كبير في لفت الأنظار الى خلف الأحمر ، واتساع شهرته بسبب الخلاف الذى سنرد عليه في أمر قائليهما.

كما عني القدماء بدراسة هاتين القصيدتين ، فعدّوهما من عيون الشعر العربي ومختاراته التي تمتاز بالحسن والجودة دون التركيز على ردّهما لقائليهما ، وأظن ان هذا التجاوز لم يأت جزافا ، وانما ابتعادا عن الخوض في ذلك لانعدام الخبر اليقين الذى يكشف عن الحقيقة ولأن أكثر العلماء قربا من خلف خلطوا في أمر قائليهما كالجاحظ(١) والتبريزى (٢) وغيرهما.

أما قصيدته : إنّ بالشعب .....

فقد رواها أبو تمام في حماسته(٣) لتأبط شرا دون غيره .

---

(١) الحيوان ١:١٩٢ ، وانظر : قوله أيضا ٤:١٨١ .

(٢) شرح ديوان الحماسة ٢:٣١٣.

(٣) الحماسة ١:٣٤٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقال التبريزى في شرحها :" وذكر انه لخلف الأحمر ، وهو الصحيح ، وقيل : قال ابن أخت تأبط شرا ، قال النمرى : ومما يدل على انها لخلف الأحمر قوله فيها :" جل حتى دق فيه الأجل "، فان الأعرابي لايكاد يتغلغل الى مثل هذا ، قال ابو محمد الاعرابي: هذا موضع المثل : " ليس بعشك فادرجي " ليس هذا كما ذكره ، بل الأعرابي قد يتغلغل الى أدق من هذا لفظا ومعنى ،وليس من هذه الحجة عرف أن الشعر مصنوع ، لكن من الوجه الذى ذكره لنا أبو الندى ، قال : مما تدل على ان هذا الشعر مولد انه ذكر فيه سلعا ، وهو بالمدينة ، وأين تأبط شرا من سلع ، وانما قتل في بلاد هذيل ورمي به في غار يقال له رخمان ".(١)

وقال ابن قتيبة : " وهو القائل :

ان بالشعب .....

ونحله ابن اخت تأبط شرا"(٢)

ونلحظ الفرق في رواية الشطر الأول من البيت بين رواية ابي تمام وابن قتيبة.

وقد روى ابن المعتز الخبر على نحو مختلفه حين قال :" فلما مرض ـ أى خلف ـ مرضه الذى توفي فيه دخلت عليه أعوده : قال : ليست هذه الأبيات لمن ذكرتها له ، وانما هي لي ، وأنا قائلها . وانا استغفر الله . وكان قد نسك وترك قول الشعر برهة .

وزعم غيره أنه عاد الى قول الشعر ، ولم يتركه حتى مات وقال دعبل : قال لي خلف الأحمر ، وقد تجاذبنا في شعر تأبط شرا وذكرنا قوله :

---

(١) شرح ديوان الحماسة : ٢:٣١٣ ـ ٣١٤.

(٢) الشعر والشعراء ٢:٦٧٤ ، انظر :ديوان شعر تأبط شرا.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ان بالشعب الذى دون سلع ....

انا والله قلتها ، ولم يقلها تابط شرا ".(١)

وقد جعل الشريف المرتضى هذه القصيدة للشنفرى وأورد بيتا منها يستشهد به . قال :" ويجرى ذلك مجرى قول الشنفرى :

حَلَّتْ الخَمْرُ وكانت حَراماً وَبِلاَّيٍ ما أَلَمَّت تَحِلُّ(٢)

وكذلك فعل أبو الفرج الاصفهاني (٣)

والخبر المميز في أمر قائلها هو خبر الخالديين(٤):" فاخبرنا الصولي من الغَلابيّ قال : قال لي أبو تمام (حبيب بن أوس): دخلت على الحسن بن رجاء ، فقال لي : يا أبا تمام : رأيت فيما يرى النائم كان انسانا يقول بيت شعر ما أعرفه وقد حفظته ، فقلت أنشد نيه ، فانشدني :

سَيَكْفيكَ الّذي أمْسَيْتَ فيهِ سُيوفٌ في عَواتِقِها سُيوفُ .

فقلت : أظن أن الامير يحفظ قول الشنفرى :

كُلُّ ماضٍ قد تَرَدَّى بِماضٍ كَسَنا البَرْقِ إذا ما يُسَلُّ .

قال : نعم ، أنا أروى هذا الشعر ، فقلت له : هذا البيت مثل ما رأيت وبيت الشنفرى ولده لفكرك ".

وهذا الخبر يتناقض مع ما ذهب اليه أبو تمام في رواية القصيدة في حماسته حين رد القصيدة لتابط شرا(٥)، فالخبر الذى مرّ بنا يذكر القصيدة للشنفرى ولما كان الامر كذلك ، صار لابد من

---

(١) طبقات الشعراء، ١٤٧.

(٢) آمالي المرتضى، الشريف المرتضى ، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم: ١٨٠.

(٣) الاغاني، ٥:١٦٢.

(٤) الاشباه والنظائر، الخالديان ٢:١١٥ – ١١٦.

(٥) الحماسة، ابي تمام ١:٣٤٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ترجيح أحد الخبرين ، على أن الأهم من ذلك هو اتفاق الخبرين على ان القصيدة ليست لخلف الأحمر ، أما عن الخبرين المتناقضين فالأمر يسير لأنه في الأول يأتي يقينيا فكتاب الحماسة مؤلف من قبل ابي تمام ويذكر فيه القصيدة لتأبط شرا ، أمّا الخبر الثاني فمروىّ عن الغَلاّبيّ أخذه عنه الصولي ، والغلط في الخبر المروى اكثر من غلط الرجل في تأليفه ، وهكذا نجد الروايتين تلبسان القصيدة شكا لايمكن الجزم بحقيقته .

وحين نكمل ما أورده الخالديان في خبر القصيدة نجد تأكيدا للخبر الثاني المروى عن أبي تمام :" وقد زعم قوم من العلماء ان الشعر الذى كتبنا للشنفرى هو لخلف الأحمر ، وهذا غلط ونحن نذكر الخبر في ذلك : أخبرنا الصولي عن أبي العنباء قال : حضرت مجلس العتبي ورجل يقرأ عليه الشعر للشنفرى حتى أتى على القصيدة التي أولها :

ان بالشعب .....

فقال بعض من كان في المجلس : هذه القصيدة لخلف الأحمر فضحك العتبي من قوله ، فسألناه عن سبب ضحكه ، فقال : والله ما قال أبو محرز خلف من هذه القصيدة بيتا واحدا ، وما هي الا للشنفرى ، وكان لها خبر طريف لم يبق من يعرفه غيرى ، قلنا : وما خبرها؟ قال : جلسنا يوما بالمربد ونحن جماعة من أهل الأدب ومعنا خلف الاحمر أروانا لها وابصرنا بها ، فتذاكرنا اشعار العرب ، وكان خلف الأحمر أروانا لها وأبصرنا بها ، فتذاكرنا منها صدراً ثم أفضينا الى اشعارنا فخضنا فيها ساعة ، فبينا خلف ينشدنا قصيدة له في روىّ قصيدة الشنفرى هذه وقافيتها يذكر فيها ولد أمير المؤمنين (عليه السلام) وما نالهم وجرى عليهم من الظلم ، اذ هجم علينا ، الأصمعي وكان منحرفا عن أهل البيت (عليهم السلام) وقد أنشد خلف بعض الشعر ، فلما نظر (الأصمعي قطع ما كان ينشد من شعره ودخل في غيره الا أنه على الوزن والقافية ، ولم يكن أحد

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فينا عرف هذا الشعر ولا رواه للشنفرى ، فتحيرنا لذلك وظنناه شيئا عمله على البديهة ، فلما انصرف الأصمعي قلنا له : قد عرفنا غرضك فيما فعلت واقبلنا نظريه ونقرظه . فقال : ان كان تقريظكم لي لأني عملت الشعر فما عملته والله ولكنه للشنفرى يرثي تأبط شرا ،ووالله لو سمع الأصمعي بيتا من الشعر الذى كنت انشدكموه ما أمسي أو يقوم به خطيبا على منبر البصرة ، فيتلف نفسي، فادعاء شعر لو أردت قول مثله ماتعذر علي — اهون عندى من أن يتصل بالسلطان فالحق باللطيف الخبير —.

قال ابو العيناء : فسألنا العتبى شعر خلف الذى ذكر فيه أهل البيت (عليهم السلام) فدافعنا عدّه ثم انشدنا:

فَدَكَ مِنّي صارِمٌ ما يُفَلُّ وَابْنُ حَزْمٍ عَقْدُهُ لا يُحَلُّ (١)

والقصيدة طويلة ذكرهاالخالديان كلها وسنأتي على درسها ان شاء الله في فصل تال .

أما الخبر فيحمل العديد من الأمور المشتبهة والمتناقضة وقد أبنا عن بعضها كالذى ذكره أبو تمام ، اما الأمور الأخرى فتتصل بهذا الخبر السابق .

وقد أورد الاستاذ ناصر الدين الأسد هذا الخبر على أنّه يقيني يفصل في امر القصيدة ، فقد رأينا صيغة الخبر من العتبي تؤكد أن خلفا يعترف بأن الذى قالها الشنفرى يرثي تأبط شرا ، ويسبقه خبر آخر ذكره ابن المعتز في طبقاته عن خلف الأحمر يعترف بأن القصيدة له وليست لتأبط شرا ، وهنا يذكرها للشنفرى ....

أيُّ خلط هذا الذى يُلْبس كلَّ الروايات حتى لانكاد نُفَرِّقُ بين صادقها وكاذبها ، ومع انّ الاستاذ الاسد لم يبحث في امر قائلها أهو الشنفرى أو تأبط شرا ، لانّ همه مُنْصَبٌّ على إخراجها من دائرة خَلَف وأنّ خلف إنما هو راويةٌ لها.

---

(١) الاشباه والنظائر : ٢:١١٥ — ١١٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وربما كان لبعض التساؤلات التي يمكن أن تثار حول خبر العتبي دور في توضيح القضية :

أولا: قد عرفنا الأصمعي يمجد خلفا الأحمر ويقدره ، بل ويعرف دقائق حياته فبينهما تواصل علمي واجتماعي دائم ،ثم هو في هذا الخبر مرهوب الجانب من خلف حتى لايريد ان يكمل القصيدة التي يقولها في آل البيت خوفا من الأصمعي، فيضطر الى الخوض في قصيدة الشنفرى المقصورة حتى يخرج من هذا المأزق ، وحين يذهب الأصمعي يقر خلف بالذى فعل، ويقر كذلك بقدرته على وضع مثل الذى قاله لو شاء لكنه صدق معهم وذكر صاحب القصيدة ، وكأنما يسمعونها لأول مرة وأظن أن الأمر غير مستو لأن فيه تضارباً وتناقضاً .

ثانيا: ونحن اذ نقر بما ذهب اليه الدكتور الأسد من أن مضمون القصيدة وشكلها وشخصيتها لايمكن الا ان تكون جاهلية وأن ما ذهب اليه النمرى وابو الندى في الموضعين :

جل حتى دق فيه الأجل (المعنى).

وقوله :

ان بالشعب الذى دون سلع(جبل سلع) .

ليعتبرا القصيدة مولدة فهو غلط ولايمكن الاعتداد به ، وقد أشار الاستاذ الأسد الى ذلك فشرح معنى الشطر الثاني من قوله :

خَبَرٌ ما نابَنا مُضْمَئِلُّ جَلّ حَتّى دَقّ فيه الأَجَلُّ .

يقول :" وما هذا المعنى الفلسفي العميق ؟ قالوا: انه قوله : جل حتى دق فيه الأجل ، فاذا كشفت عن عمق هذا المعنى لم تجده يعني شيئا غير قوله ان وفاة هذا الرجل لأمر عظيم يصغر بازائه كل عظيم من الأمور ".(١)

---

(١) مصادر الشعر الجاهلي، ٤٥٩ ، وقد ذهب الى هذا القول القفطي في انباه الرواة ١:٣٤٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أما الموضع الثاني أن ذكر (سلع) في القصيدة كشف عن وضعها فسلع موضع بالمدينة ، وتأبط شرا لم يعرف هذا الموضع ، على ان الاستاذ الأسد وجد سلعا في مناطق بعيدة وان هناك شعرا يذكر سلعا في بلاد هذيل للعريق الهذلي آخرها :

يَحُطُّ العَصْمُ من أكناف شعر ولم يَترك بِذي سَلْعٍ حِمارا (١)

وهكذا نرى حجة هؤلاء في الموضعين ضعيفة لاتقرر حقيقة ما ذهبوا اليه .

ومع ذلك فقد ظلت القصيدة - كما نرى - بين ثلاثة : الشنفرى وتأبط شرا وخلف الأحمر ، وقد رواها لنا خلف الأحمر على انها له حينا وحينا آخر يرويها للشنفرى وحينا ثالثا لتأبط شرا ، كما ذكر ابن قتيبة (٢) والقفطي (٣) ان ابن اخت تأبط شرا نحلها لنفسه في موضع رابع ولكن تخريج الأمر عند الدكتور الأسد من أنها ليست لخلف هو حصر القصيدة بين الشنفرى وتأبط شرا ، وهذا يعني ان القصيدة جاهلية ، ويعني ان خلفا الأحمر كان متهما بالوضع لما سيّرناه من اخبار القصيدة في المصادر المختلفة ، كما أننا آثرنا أن نوردها هنا حتى نزيد الأمر يقينا من تبطل مضامينها التي لابد وان نتساءل عنها أيضا ، فخلف الأحمر يهتم بوضع مثل ذلك ولا أدري كيف يصل الى المضامين حتى يعمي - كما ورد عند بعضهم - على الناس أمر قائلها ، ثم السؤال الأهم : هل كان خلف الأحمر يحتاج الى مثل هذا الوضع ! فلو كان يقول مثل ذلك حقا أليس من الأجدى له لو أنّه وثقها لنفسه بدلا من أن يضعها على ألسنة القدماء كما فعل في مجلس العتبيّ مثلا .

---

(١) مصادر الشعر الجاهلي ، ص ٤٦٠ .

(٢) الشعر والشعراء ، ٢ : ٦٧٤ .

(٣) انباه الرواة ، ١ : ٣٤٨ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد كتبنا القصيدة عن ديوان الحماسة لابي تمام باعتباره أقدم المصادر التي روتها :

إنّ بالشِّعب الذّى دُونَ سَلْعٍ ... لَقتيلاً دَمُهُ ما يُطَلُّ

خَلَّفَ العِبْءَ عَلَيَّ وَوَلَّى ... أنا بالعِبْءِ لَهُ مُستَقِلُّ

وَوَراءَ الثّارِ مِنّي ابنُ أختٍ ... مَصَعٍ مُقْدَتُهُ ما تُحَلُّ

مُطْرِقٌ يَرْشَحُ سُمّاً كما أطْرق ... أفْعَى يَنْفِثُ السُّمَّ صِلُّ

بَزَّني الدَّهْرُ وكانَ غشوماً ... بِأَبِيٍّ جارُهُ ما يُذَلُّ

شَامِسٌ في الفُرِّ حتى إذا ما ... ذَكَتِ الشِّعرى فَبَرْدٌ وظِلُّ

يابِسُ الجَنْبين مِنْ غيرِ بُؤسٍ ... ونَدِي الكَفّين شَهْمٌ مُدِلُّ

ظاعِنٌ بالحَزْمِ حتى إذا ما ... حَلَّ حَلَّ الحَزمِ حَيْثُ يَحِلُّ

غَيْثُ مُزْنٍ غامِرٌ حيثُ يُجدي ... وإذا يَسْطو فَلَيْثٌ أبَلُّ

مُسِيلٌ في الحَيِّ أخْوى رِفِلٌّ ... وإذا يَغزو فَسَمْعٌ أزَلُّ

ولهُ طعمانِ أرْيٌ وشَرْيٌ ... وكِلا الطَّعْمين قَدْ ذاقَ كُلُّ

يَرْكَبُ الهَوْلَ وحيداً ولايَصْحَبُهُ إلّا اليَمانِيّ الأفَلُّ

وفُتُوٍّ هَجَّروا ثُمَّ أسْرَوْا ... لَيْلَهُم حَتّى اذا انجابَ حَلّوا

كُلُّ ماضٍ قد تَرَدّى بِماضٍ ... كَسَى البَرْقُ إذا ما يُسَلُّ

فأدركْنا الثّارَ مِنهُم ولَمّا ... يَنْجُ مِلحَيْين إلّا الأقَلُّ

فأحتَسوا أنفاسَ قَوْمٍ فَلَمّا ... هَوَموا رُعْتَهُمْ فاشمَعَلّوا

فلئِنْ مَلّتْ هُذَيْلٌ شِبَاهُ ... لَبِما كانَ هُذَيْلاً يَفُلُّ

وبِما أبْرَكَها في مُناخٍ ... جَعْجَعٍ يَنْقُبُ فيه الأظَلُّ

وبِما صَبَّحها في ذَراها ... منه بعد القَتْلِ نهبٌ وشَلُّ

صَلِيَتْ مِنّي هُذَيْلٌ بِخِرْقٍ ... لا يَمَلُّ الشَّرَّ حَتّى يَمَلّوا

يُنْهِلُ الصَّعْدَةَ حتى إذا ما ... نَهِلَتْ كانَ لَها مِنْهُ هَلُّ

حَلَّتِ الخَمْرُ وكانت حَراماً ... وبِلاءٍ ما أَلَمَّتْ تَحِلُّ

فأسقِينها يا سَوادَ بنَ عمرو ... إنَّ جِسْمي بعد حالي لَخَلُّ

تَضْحَكُ الضَّبْعُ لِقَتْلى هُذَيْلٍ ... وتَرى الذِئْبَ لها يَسْتَهِلُّ

وعِتاقُ الطَّيْرِ تَغْدو بِطاناً ... تَتَخَطّاهُم فَما تَستَقِلُّ

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فكما نرى أن مجمل القصيدة يحمل معنى جاهليا يتصل بالغزو خاصة وفيها تصوير للحياة الجلفة التي يكابد منها الشاعر بعض ما انتابه في بعض رحلاته للسطو أو الحرب مع رفيقه الذى يرثيه .

امّا لاميّة العرب للشنفرى فقصيدة طويلة أقبل عليها الدارسون منذ القديم فشرحوها، وقصّوا من خلالها قصصا كثيرة تتصل بالصعاليك وافعالهم حتى بالغوا في ذلك، لان صاحبها صعلوك خرج على عرف القبيلة ، وما من شك في أن الخبر الذى رد هذه اللاميّة لغير الشنفرى مخطىء لامحاله ، وهو الخبر الأوحد المروى عن طريق ابي بكر بن دريد وأورده أبو عليّ القالي قال :" حدثني ابو بكر بن دريد : ان القصيدة المنسوبة الى الشنفرى التي أولها :

أقِيموا بَني أمّي صُدورَ مَطِيّكُم فَإنّي إلى قَوْمٍ سِواكُم لأَمْيَلُ .

له ،وهي من المقدمات في الحسن والفصاحة والطول ، فكان أقدر الناس على قافية "[1]، وقد أخذ بهذا الخبر الزبيدى في طبقاته .[2]

وقد ذهب الدكتور محمد بديع شريف [3] الى تضعيف هذه الرواية محتجا بأن ابن دريد لم يلتق القالي ، ذلك أنّ صاحب الأمالي أملى كتابه في جامع الزهراء في قرطبة في منتصف القرن العاشر الميلادى وابن دريد وُلِد في البصرة سنة ـ ٢٢٣ هـ/٨٣٧م ، ولما هجم الزنج عليها وسفكوا فيها الدماء هرب مع عمه إلى عمان وبقي فيها اثنتي عشرة سنة ثم ذهب الى فارس ومنها ذهب الى بغداد سنة ٣٠٨ هـ/ ٩٢٠م ومات فيها سنة ٣٢١هـ/٩٣٤م على انّ القالي سكن بغداد سنة ٣٠٣هـ/٣٠٥هـ (٩١٥م/٩١٧م،لذا نجد فرق الزمن، فابن دريد جاء إلى بغداد بعد القالي بثلاث سنوات .

---

(١) الامالي للقالي، ١:١٥٥.

(٢) طبقات الزبيدى، ١١٣.

(٣) انظر : لأمية العرب ، شرح وتحقيق د. محمد بديع شريف : ٩ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وربما يكون هذا منطقيا لو انه موثق بشكل قطعي ،لكنه اتكأ في تأريخه على بروكلمان وهو كتاب حديث ، على أن الدكتور شريف لم يكتف بما مضى فدعم ما ذهب إليه بقوله :" وبعد كل هذه أليس من نافلة القول ان يرد المرء على هذه الرواية الضعيفة اذ لايوجد أى عذر أو سبب أن تنسب هذه القصيدة إلى غير قائلها دون أى برهان، مادام رواة الأدب يكادون يجمعون على انّها لفتى الأزد"(١)

وقد طبعت اللاميّة عام ١٣٩٢ من قبل دار الوراقة وتم في هذه الطبعة تخريج القصيدة تخريجا كاملا ، وذكر المصادر التي ذكرتها أو ذكرت جزءا منها مما لم أجد معه داعيا لاعادة تخريجها ، من باب أنها لم تثبت لخلف الأحمر وان الرواية التي مرت بنا مغلوطة كما أن محتوى القصيدة يكشف بوضوح تام عما فيها من معان وتركيبات جاهلية لايمكن لأى قادر على صنعه الشعر من العصور اللاحقة ، كخلف أو غيره أن ينسجها على هذه الشاكلة الجميلة الجزلة الرائعة. كما أن اجماع رواتها كالزمخشري في كتابه : أعجب العجب في شرح لامّية العرب وغيره ممن درسهايجمعون على انها لفتى الازّد الشنفرى.

وبعد فليس أقل من أن نلخص جهود صاحبنا خلف الأحمر في الرواية الشعرية ، واظن ان الرجل ممن تعلق قلبه بأشعار القدماء مما مكنه من قول الشعر لنفسه دون أن يأخذ حيّزا كبيرا في الدرس والمناقشة عند المؤرخين وكتاب الأدب لما أحاطه من شبهات جعلت البعض يعزف عن رواية أشعاره ، على أن نتف الأخبار المنشورة هنا وهناك تشير الى طول باعه وسبقه في معرفة الشعر والشعراء حتى عد مرجعا في الرواية والنقد لايمكن تجاهله .

والأمر الثاني في رواية خلف انّها تركّزت بشكل كامل على

---

(١) انظر : لأميّة العرب ، شرح وتحقيق د. محمد بديع شريف : ٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الشّعر ولا أدري إنْ كان السبب في المصادر أيضا ، إذ لم نعثر على كثير أخبار تروى عن طريق خلف وأظن الأمر عائداً الى نسبة غير العربي اضافة الى قلة ترحاله في البادية وسماعه أخبار السلف ، وثالثهما تعلقه بالشعر وروايته دون الأخبار على أن المصادر القديمة ذكرت له كتاب : جبال العرب [١]، وديوان شعر يتألف من خمسين ورقه [٢]، كما ذكر له القفطي كتابا ثالثا ، وهو كتاب العدد[٣]، حين ذكر إدريس بن عبد الكريم، يقول : قال لي سَلَمة بن عاصم ، أُريد أن أسمع كتاب (العَدَد) من خلف ، فقلت لخلف ، فقال : فَلْيَجيء"، وقد شك الدكتور الشلقاني في هذا الخبر وذلك لإنّ سَلَمة بن عاصم توفي سنة ٢٧٠ هـ ، بينما توفي خلف سنة ١٨٠ هـ ، على ان أيا من الكتب الثلاثة الواردة هنا لم تصلنا .

وقد ورد لخلف بعض الأقوال العامة التي تتصف بالظرف وبعض الأمور الخاصة والعامة ، على انها لاتشكل شيئا ، منها ماذكره عن شعر الأغلب حين قال : " أعياني شعر الأغلب ، وكان من ولده انسان يصدق في الحديث والروايات ، ويكذب عليه في شعره ".[٤]

ومن الأخبار التي يرويها عن عمرو بن معدى كرب قوله حين سئل : أكان عمرو بن معدى كرب يكذب ؟ فقال : كان يكذب في المقال ويصدق في الفعال ".[٥] ويبدو أن هذا الخبر يؤكد تعصب خلف لأبي نواس وعليه فقد سماه باسم احد ملوكهم ذو نواس .

---

(١) انباه الرواه، ١:٣٥ . بغية الوعاة، ٠٢٤٢

(٢) الفهرست، ابن النديم، ١٨٤. بغية الوعاة، ٠٢٤٢

(٣) انباه الرواه، ٢:٥٦.

(٤) الموشح، ٠٣٣٤

(٥) الكامل، ٢:٢٠٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومنها ما رواه الأصمعي عنه حين قال:" قال لي خلف الأحمر: الفارسي اذا تظرف تساكت ، والنبطي اذا تظرّف اكثر الكلام ".(١)

وكما نرى فهي أخبار عامة يتصل بعضها باهتماماته كالشعر وروايته وبعضها بميله الخاص الى اليمن ، وبعضها في الحديث عن بعض العادات والأحوال .

وخلاصة القول انّنا لم نقصد في هذا الفصل وضع حد للاتهامات التي لاحقت الرجل حتى ندفعها بأى سبيل كي نبرئ الرجل منها ولا نقصد الطعن حدّ المغالاة من أن امثاله ممن رووا الشعر الجاهلي غير موثوقي الرواية مما يعني رفض كثير من هذا الشعر ولكن الأمر عندى هو الكشف عن الملابسات التي احاطت بروايته سواء ما كان منها مدسوساً عليه كما ذهب اليه الدكتور الأسد أو ما يمكن الأخذ بها كتلك الأخبار التي لم يعرّج عليها الدارسون ، على أن المبالغة في توثيقه أمر مستحيل حتى وان كان لبعض متهميه مبرراتهم الخاصة بهم خاصة ان وضع الشعر كان معروفا في عصره بل انه مسبوق فيه .

والحقيقة أن دور خلف الأحمر في رواية الشعر لم يتميز عندنا بالشكل الذى كنا نتمناه ، فقد رأينا أقرانه أمثال الأصمعي وأبي عبيدة معمر بن المثنى وغيرهم يخرجون التآليف الكثيرة من مجموعات شعرية وقصائد وغيرها على عكس صاحبها الذى لم تذكر له سوى كتابين في الشعر أحدهما ديوانه وآلاخر جمع له مما جعل ذلك عنصرا مهما من قلة التركيز عليه وضعف درسه من قبل المحدثين .

---

(١) الحيوان، ٣:١١٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

— ١ —

ملكة الشعـــــر عند خلف

وصلت الحركة الشعرية في القرن الثاني الهجرى الى مرحلة مزدهرة تمثل واحدة من حقب تميّز الشعر العربي ، فقد غصّت مدن الدولة العباسيـــة بحشد كبير من الشعراء الذين مثلوا فئات متعددة من مجتمعات الدولـــــة ، فمنهم من وفد الى المدينة قادما من البادية ، ومنهم من نشأ فـــــي المدينة وفئة ثالثة تمثلت في العلماء الشعراء من أهل اللغـــــــة والنحو والرواية وغيرها .

وكان خلف الأحمر رأسا من رُؤوس الفِئة الثّالثة ، فقد جمع ضـــروب المعرفة العربية كاللّغة والنّحو والرواية والنقد كما أحسن قول الشعـــــر وبرع في ذلك حتى عُدّ من بين أكثر العلماء شعرا بل وأحسنهم ، الأمـــــر الذى يؤكد لنا وجود ملكة شعرية عند خلف تفوقت على غيرها مـــــن ملكات العلماء الشعراء لاتصال خلف أكثر من غيره بالرواية ، فقـــــد كشفنا في الفصل السابق عن موقع خلف في رواية الشعر ، مما كان لـــــه الأثر الأكبر في تقدمه في مجال قول الشعر ، فالمعرفة العلمية الدقيقـــة بضروب الشعر وعلومه ، كذلك نقد الشعر وتمييز غثه من سمينـــــه أمور مكنت خلفا من دخول حلبة الشعراء والتنافس معهم ، بل ان هؤلاء الشعراء من أبناء جيله لجأوا اليه يطلبون الرأى والنقد لشعرهـــم حتى يتعرفوا الى أخطائهم ويتحسسوا مواضع تفوقهم .

ولعل ملكة الحفظ التي امتاز بها خلف على غيره من العلمـــاء ، قد قدمت له عنصرا جديدا يجعله من العلماء الشعراء المتقدميـــن ، ولم يكن همّه اظهار براعة في اللغة أو الرواية كما هو حال علمـــاء تلك الفترة الذى قال فيهم الجاحظ :" لم أر غاية النحويين إلاّ كـــل شعر فيه إعراب ، ولم أر غاية رواة الأشعار إلاّ كل شعرٍ فيه غريـــب

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أو معنى صعب يحتاج إلى الاستخراج ".(١)

وقلنا أن خلفا لم يكن من هذه الفئة لأنّ تقدمه في النقد والرواية جعله يبتعد عن أساليب العلماء التي طلبت آنذاك تعليم الطلبة اللغة والغريب من الشعر حتى يثبتوا فيهم قريحة عربية صحيحة ، بل تميز عن هؤلاء العلماء بسعيه إلى التفرّد في الجوانب السابقة التي شكلت بمجموعها شخصية خلف الشاعر والتي لم تُدرَس - على حدّ معرفتي - مع أنّها تُشكل جانباً من جوانب الحركة الشعرية في القرن الثاني، ضمن فئة العلماء الشعراء، ونموذجا لشعر العالم بالشّعر .

ويبدو أن تأثير الرواية على شعر خلف كان كبيرا ، فقد امتزجت صفتي الشاعر والراوية معا لتكوّنا خليطا صعب على أهل عصر خلف التمييز بينهما ، وكان تأثير التهم التي لازمت حياته، من أنه وضع شعرا على بعض الشعراء، أن جعل بعض من ترجموا له يصرّون على نسبة بعض القصائد اليه كما رأينا ذلك في الفصل السابق .

ولعلّنا - والأمر كذلك - مُضطرون لتقسيم الشعر الذى ارتبط بخلف إلى قسمين ، الأول : وهو ما ذكرناه ، والثاني : ماثبتت نسبته إليه دونما شك أو تضعيف ، ولم ندخل في هذا الفصل إلا القسم الثاني حتى نتمكن من توضيح الأمر، وإبراز ملامح شعره دون تشويه أو خلط .

بداءة خلف مع الشعر :

لم يكن حال بِداءَتِهِ مع الشّعر بأحسن من حاله مع غيرها ، فإنّنا لم نجد في الأخبار النّزرة التي التقطت من مختلف المصادر العربية

(١) البيان والتبيين ، ٣٤:٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ما يمكننا من الحديث عن تلك البداءة ، ومردّ ذلك إلى أنّ خلفا لم يكن من اولئك الّذين اتّصلوا بأُولي الأمر أو ممن ارتزقوا بعلمهم في مجالس الخلفاء والولاة وغيرهم فكان حظّه من الاهتمام قليلا زد على ذلك ضياع ديوان شعره الذى ذكره أصحابه مما كان له أثر بالغ في ضعف بيان شخصية الشاعر فيه .

ومع ذلك ، فإنّه من بعض النصوص يمكننا الحكم على بداءة خلف تلك ، فقد ذكر ابو زيد الأنصارى أنه لما ولي المهدى الخلافة ، جاء اليه العلماء من كل بلدة بأنواع العلوم ، فلم ير — أى ابو زيد — رجلا أفرس من خلف ببيت شعر[1] ، وهذا الخبر يدل على ان ملكة خلف الشعرية قد اكتملت في وقت مبكر من حياته ، فالمهدى قد تولى الخلافة سنة ١٥٨ هـ ، فاذا قرنا ذلك بسنة ١٨٠ هـ ، — وهي السّنة الّتي توفي بها خلف — وجدنا بينهما ثمانية وعشرين عاماً ، ولابدّ كذلك أن يسبقها عَدَدٌ من السّنين أستطاع خلف أن يكوّن فيها هذه المَلكة التي جَعلت أبا زيد يتحدّث عنها بهذا المستوى من الإعجاب .

إذن — فهو في هذه المدّة معلم اكتملت معالم معارفه ، ودلالة النصّ السابق تفيد أنّ نضوجه جاء مبكرا وان انعدمت الاشارة إلى مثل ذلك كسنة الولادة أو سنة وفاته .

مواقف أهل عصره من شعره :

أسلفنا القول بأن تمازج الأحكام التي أصدرها أهل عصره ومن تبعهم قد أثرت في تداخل الآراء الخاصة بكلّ جانب أو فرع من فروع علمه ، فهذا ابن سلاّم يترجم لمعلمه دون اشارة إلى الشعر المتصل به[2] ، ولا أدرى إنْ كان موقف ابن سلام هذا مقصودا أم لا! ، فهو

(١) انباه الرواة ، ٢: ٣٥.

(٢) طبقات فحول الشعراء ، : ٥٧

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يوثق موضع خلف في الرواية دونما ذكر لشخصه بوصفه شاعرا عالما وتبعه في ذلك الأخفش.(١)

والحقيقة انّ موقف ابن سلام غريب لكونه اقرب المصادر التي اتصلت بخلف ودوّنت لنا بعضا من أخباره ، ويبدو أن ابن سلام قصد الى ذلك لأنه قصر الحديث في طبقاته على الشعراء دون العلماء الشعراء، على أنه حرى به أن يشير الى استاذه شاعرا معروفا دون تقويم لشعره كما كان يفعل مع غيره من الشعراء الجاهليين والاسلاميين .

مع الاصمعي – ٢١٥ هـ :

لم تكن روايات الأصمعي في خلف على نهج واحد يمكن الكشف عن معانيها فقد اضطربت هي الأخرى كما هو الحال فيما سلف ، وكذا في حديثه عن خلف الشاعر.

" كان خلف مولى أبي بردة .... وكان أعلم الناس بالشعر، وكان شاعرا ، وضع ....."

" وقال عيسى بن اسماعيل : سمعت الأصمعي – وذكر خلفا الأحمر أبا محرز – فقال : ذهبت بشاشة الشعر بعد خلف الأحمر.....(٢)

فهو إذن، يأخذ موقفين يحملان دلالات مختلفة ، الأول: يضم ترجمة مختصرة تدل على التضعيف فهو يشير الى تقدم خلف في علم الشعر حتى انه قال : أعلم الناس .... ثم يقول : وكان شاعرا وهي عبارة عادية لاتدل على رأى في هذا الشعر ، بل انه لايتميز

(١) بغية الوعاة ١:٥٥٤ ، المزهر ٢:٢٥٠ ، معجم الأدباء ، ١١ :٦٨.

(٢) مراتب النحويين ، ٤٦.

(٣) سمط اللآلي ، ٤١٢ ، طبقات النحويين واللغويين ، :١٨٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

عنده بأى أمرٍ خاص ، ثم يربط هذا القول بالتّهمة الّتي تقول انّه وضع على شعراء عبد القيس شعرا .

وثمة نصوص أخرى جاءت من الأصمعي تدعم مثل هذا الموقف لا حاجة لذكرها لاتصالها بالفصل السابق .

أما الموقف الثاني فينقض الأخبار السابقة كلها . فهو تصريح واضح القصد ، كبير في معناه ، دقيق في الفاظه يدل على قدر خلف في نفس الأصمعي ، وأهمية هذا النص تكمن في أنه قيل بعد وفاة خلف ،فهو يتحسر على ذهاب حلاوة الشعر ونظارته اذ فقد قيمة كبيرة من قيمه بذهاب خلف ، ويكون اصرار الأصمعي على ذلك بأن قال عن نفسه يقيسها بصاحبه خلف : انّه لم يكن يحسن إلا الحواشي، على انّ خلفا كان يحسنه جميعه ، فنتذكر قول أبي عبيدة في خلف : كان معلم الأصمعي وأهل البصرة جميعا .

وربّ قائل يقول : ان النص السابق يتصل بالرواية عند خلف ، وأقول : ان العالم الشاعر لاينفصل احسانه الذى أورده الأصمعي عن بعضه أبدا فهو احسان الشاعر واحسان الراوية ، فالموضوعات يكمل بعضها بعضا ان لم تكن غلبة الأولى أكثر، فهو شاعر يحسن القول في ضروب الشعر جميعها ، وكيف لهذا القول أن يتفق مع الموقف الأول وما يحمل عليه من نصوص تجتمع عليها أسباب التضعيف التي سلف الحديث عنها .

أما أبو زيد الأنصارى فإنّ ثقته بفراسة خلف بالشعر تدل على تقديمه خلفاً على غيره ، ولايخفى على أحد أن أثر الفراسة في خلف جَليّ إذ مكنته من قول الشعر فيقوي بها قريحته ويضبط بها شعره .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أما ابن قتيبة (٢١٣-٢٧٦هـ) فيقول: "... وكان - أي خلف - عالما بالغريب والنحو والنسب والأخبار، شاعرا كثير الشعر جيده، ولم يكن في نظرائه من أهل العلم أكثر شعرا منه ".(١) وله أيضا: " وكان - خلف الأحمر - يقول الشعر ..... ويكثر قول الشعر في وصف الحيات، واراجيزه في ذلك كثيرة ".(٢)

وهذا ابن المعتز (- ٢٩٦ هـ) يقول: " خلف الأحمر يكنّى أبا محرز، وكان عالما بالنحو والغريب والنسب وأيام الناس، شاعرا مطبوعا مفلقا كثير الشعر جيّده، ولم يكن في نظرائه من أهل العلم والأدب أكثر شعرا منه ".(٣)

ويقول ابن عبد ربه (- ٣٢٨هـ): " كان خلف مع روايته وحفظه يقول الشعر فيحسن وينحله الشعراء ....."(٤)

ويقول ابو علي القالي :(- ٣٥٦ هـ)" كان أبو محرز أعلم النّاس بالشّعر واللّغة، وأشعر النّاس على مذاهب العرب ".(٥)

أما النديم (- ٣٥٨ هـ) فيقول: " .... وكان من افرس الناس لبيت شعر، وكان شاعرا يعمل الشعر على لسان العرب وينحله إياهم ... وله من الكتب كتاب جبال العرب وما قيل فيها من الشعر "(٦)، وفي موضع آخر من الكتاب ذكر النديم ديوان خلف الذى ضمّ خمسين ورقة(٧) حمله أبو نواس.

---

(١) طبقات الشعراء : ١٤٧.

(٢) الشعر والشعراء، ٢:٦٧٣ ، المعارف، ٥٤٤.

(٣) طبقات الشعراء : ١٤٧.

(٤) العقد الفريد، ٥:٣٠٦ - ٣٠٦ - ٣٠٧.

(٥) الأمالي، ١:١٥٥ ، طبقات النحويين واللغويين، ١١٣.

(٦) الفهرست، ٥٥ ، بغية الوعاة، ٢٤٢ ، معجم الأدباء، ١١ : ٦٨.

(٧) الفهرست، ١٨٤ ، انباه الرواة، ١:٣٥٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد ورد خطأ في تسمية كتابه " جبال العرب "، الذى ذكره النديم أنه حيّات العرب على أن بقية المصادر الّتي اشارت إلى الكتاب ذكرته بالاسم الأول . والكتابان " الديوان وكتاب جبال العرب " مفقودان لم يصلا إلينا مع اتصالهما الشديد بدرس شخصية وعلم خلف شاعرا وراوية .

أما القفطي (٥٦٨ – ٦٤٦هـ) . فيقول :" خلف الأحمر وهو أحد رواة الغريب واللغة ونقاده ، والعلماء به وبقائليه وصناعته ، وله صنعة فيه ، وهو أحد الشعراء المحسنين ، ليس في رواة الشعر أحدّ أشعر منه ".(١)

وقد آثرتُ أنْ أرتب هذه النّصوص حسب وفاة أصحابها حِيْنَما يمكنني تبيّن التّغيّرات التي طرأت على صورة خلف الأحمر شاعرا، فبعد أن رأينا موقف اقرانه وتلاميذه " الاصمعي وابن سلام وأبو زيد الانصارى " آثرنا درس النصوص اللاحقة لذلك حسب تسلسلها زمنيا .

فهذا آبن قتيبة يتّخذ لنفسه خَطّاً في بيان رأيه ويقول : بأنه شاعر مكثر جيد الشعر ولم يكن من أهل العلم من هو اكثر منه شعرا ، وهذا يدل على ان ابن قتيبة قد اطلع على أشعار خلف ورأى أنه مكثر ولاسيّما في وصف الحيات ، فله في ذلك أراجيز كثيرة ، وهذا رأى متواضع يدل على أن الناس وقت ابن قتيبة كانت تتداول شعر خلف وأن هذا الشعر الكثير لم يصل الينا.

وزاد آبن المعتز على قول ابن قتيبة بأنّ وصف شاعرنا خلف بأنه مطبوع على قول الشعر صاحب حجّة متمكن من جملته الشعرية ، مكثر ولم يكن في أهل زمانه من العلماء والأدباء

---

(١) انباه الرواة ، ١: ٣٤٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

من هو أكثر منه ، جيّد الشعر ، فهو لم يتجاوز آبن قتيبة إلاّ في زيادة وصف خلف بالمطبوع المُفْلِق .

أمّا ابن عبد ربّه فقد اتكأ في حكمه على التهم التي حاصرت خلفا ، فهو عنده مُحسن مجوّد حتى أنّ شعره منحول لشعراء آخرين ، ومعنى قوله هذا ان الشعر الذى اتهم بوضعه خلف على غيره له ،وهو كلام خطير جدا ، اذ يصوّر لنا مدى القدرة الفائقة التي اتصف بها خلف اذ استطاع أن يحاكي أشعار القدماء فيضع شبيها لها يعمى دلك على الناس جميعا ـ العالم بالشعر وغيره ـ فيظل الأمر كذلك دون ردّ الشعر الموضوع لخلف .

ولايمكن أن يكون القول مقبولا على علّته ، ولعل السؤال الذى لابدّ من طرحه : لماذا لم يثبت خلف هذا الشعر لنفسه ؟ ! فانه اذا أثبت تلك القصائد الغر الجميلة لنفسه لزادت شهرته وعظم أمره اكثر مما لو ادعى وضعها على غيره .

ثم انني لم أجد أحدا ممن تعرض لأخبار خلف درس تلك القصائد على أن صاحبها خلف ، وهذا دليل صريح على قناعة امتدت طوال القرون الخالية بأن تلك القصائد هي لأصحابها الواردة اسماؤهم عندها . والأمر الغريب الثاني أن القصائد التي أشير اليها مثل قصيدة تأبط شرا وقصيدة الشنفرى والنابغة ، لم ترو عن طريق خلف أو أنها لم تدون في مصادرها بالشك باسم قائلها ، فهي أخبار جاءت تعقيبا على أصحابها.

وقد أيّد أبو عليّ القالي قول ابن عبد ربه الذى مضى، وقال ان خلفا كان من أشعر الناس على مذاهب العرب ، أى أنه كان يجيد قول الشعر بكُلّ ضُروبه حتى أدعى عليه قصيدة الشنفرى، وكان النديم قد ذهب مذهبهم . . .

لكن القفطي المتأخر عنهم فاجأنا بجملته التي لم تتصل بأى من اتهامات سابقية ، فبعد أن أشار إلى علمه بالشعر وبقائليه

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وصناعته يذكر أنّه أحد الشعراء المحسنين ولايوجد راوية من أهل زمانه من هو أشعر منه ، وهذا قول يدلّ على الكثرة والجودة في آن واحدٍ ، وهو توجّه أخذ به علماءُ العربية ولاسيّما الذين توجهوا للنقد مثل ابن سلام وابن قتيبة وسبقهما إلى ذلك الأصمعي الذى ركز على الكثرة والجودة ليعد الشاعر عنده فحلا .

وهذا ما جعلنا نذهب إلى القول بأنّ القفطي زاد في ترجمته هذه حكما شخصيا قرّره ،ولاسيّما أننا لم نجد الأصمعي يذكر الكثرة والجودة على نحو ما ذكرها القفطي ، ويتجلّى موقفه ... في أنّه أبتعد عن أقوال السابقين له والذين اتجهوا لاتهام خلف مع أنه من علماء القرن السابع الهجرى ، ولا بُدّ انه اطلع عليها، الا ان انكاره لها وعدم التعرض اليها يكشف عن رأى لاحق رافض لها لعدم توافر الأدلة عليها.

بقي ان نقول إن بعض الكتب القديمة اهتمت بجمع بعض القصائد والمقطعات الشعرية لخلف ، ولعل أشهر الكتب التي فعلت ذلك هو كتاب" نور القبس" المختصر من المقتبس".

نظرة المحدثين الى شعره :

غلبت صفة الراوية على خلف ، مما جعل الدّارسين ينسون الحديث عنه شاعرا ، بل ان الدراسات التي اتصلت بحياة الشعر في القرن الثاني الهجرى لم تتعرض لخلف ، وعليه فان أحدا من المحدثين لم يتحدث عن هذا الجانب مع أن بعض الدراسات قد أشارت باختصار إلى أشعار العُلماء .

وقد قام بعض الدّارسين في هذا القرن امثال طه حسين[1] ومصطفى

(١) في الأدب الجاهلي ، طه حسين ، ١٧٠ — ١٧١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

صادق الرافعي [١] وأحمد أمين وناصر الدّين الأسد[٢] بدراسة خلف في جانب الرواية في محاولة لتوضيح ما شاب روايته من طعن تبعاً لما ألفوه في الكتب عنه ، فكانوا بين موثق وطاعن، وقد مثل الاتجاه الأول الدكتور ناصر الدين الأسد . أما طه حسين والرافعي فكانوا من أنصار الاتجاه الثاني ، ولم آت على هذا الحديث الا بقصد بيان التقصير الذى لحق خلفاً ، إذ تناسته الدّراسات شاعراً، ولاسيّما تلك التي وافقت طعون السابقين بخلف، فطه حسين مَثلا أثبت قول الذين اتّهموه دون تعقيب يمكن أن يمجد خلفا أكثر من مكانته راوية ، لكننا نقول إن الضّعف الذى كشفت عنه تلك الآراء جعل أصحابها يبتعدون عما ثبت لخلف من الشعر حتى لا يصطدموا بالفوارق بين هذا الشعر وذلك الذى يتهمونه بوضعه .

— ٢ —

شعر خلف

مقل أم مكثر:

تناقلت الأخبار أنّ خلفاً كان أكثر العلماء شعرا[٣]،وأن له ديوان شعر يحوي خمسين ورقة ، وهي بلا شك قصائد ثبتت نسبتها لخلف فحملها عنه تلميذه أبو نواس ، لكنّ ديوانه هذا مفقود لم يصلنا ، وبذلك لايمكن الحكم على هذه المسألة يقينا ، ويبقى الحكم لأولئك الذين أشاروا إلى كثرة شعره .

وقد قلنا أنّ شعر خلف تناثر في المصادر المختلفة ، الذى حاولت جمعه ما استطعت الى ذلك سبيلا .

---

(١) تاريخ آداب العرب ، مصطفى صادق الرافعي ، ٣٨١ — ٣٨٢.

(٢) مصادر الشعر الجاهلي ، ٤٥٦ — ٤٦٢.

(٣) الشعر والشعراء ، ٦٧٣:٢ ، طبقات الشعراء ، ١٤٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بنـــــــاء القصيـــــــدة :

ظلت القصيدة في القرن الأول الهجرى وأوائل القرن الثانـــي تحاكي الشعر القديم من حيث موضوعاته وشكل القصيدة والمعمار الفنـــي، ثم كانت حركة التجديد التي بدأها بشار بن برد وتبعه أبو نـــــواس والتي اشتملت على خروج عن ذلك النهج القديم .

ونحن اذ ندرس بناء القصيدة عند خلف ، علينا أن ندرك أننـــا أمام عالم بالشعر راوية لقديمة وحديثه ، وبذلك فان الحكم علـــــــى القصيدة يظل مفتقرا الى قصائده التي ذهبت مع الديوان ، لكـــــن بعض القصائد التي حفظتها لنا بعض المصادر أمكنتنا من مثـــــل ذلك ، وهي ثلاثة قصائد خرج في اثنتين منها على نهج القصيـــــدة القديم وواحدة التزم فيها بعض ذلك النهج .

واذا ما استعرضنا هذه القصائد الثلاث وجدنا الأولى والثانية في باب الهجاء ، وأما الثالثة فتتصل بباب المديح .

فها هو ذا يهجو رجلا اسمه عُبَيْد فيفتتح بقوله :(١)

صَبَّ الإلهُ على عُبَيْدٍ حَيَّـــةً لاتَنْفَعُ النَفَثاتُ فيها والرُّقَـــى.

فهو يدعو ربه ان يبعث بحية تلدغ عبيدا فلا يبرأ منهـــــــا، ثم ينتقل الى موضع وصف لتلك الحيّة فيطيل فيه حتى يظن القارئ أنّ القصيدة في وصف الحية وليس لهجاء عبيد هذا ، فالقصيدة تحوى ستة عشـــــر بيتا ، وكان الوصف فيها يمثل أربعة عشر بيتا ، ومن قوله في تلـــــــك الحية :

جَبَلِيَّةٌ تَسري إذا مَا جَنَّهـــا لَيْلٌ وَتَكْمُنُ بالنَّهارِ فَما تُـــرَى .
مَهْروتَةُ الشِّدقَيْنِ يَنْطُفُ نَابُها شَمْساً تَرى ما إنْ يُهابُ وَيُتَّقَـــى(٢)

---

(١) نور القبس ، ٠٧٨.

(٢) مهروتة : مهترئة ، متسعة الفم ومشققة ، الشدقين : مابين فكيها : الفم ، ينطف : يقطر .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وينتهي من هذا الوصف ليُتمّم القصيدة فيطلب من هذه الأفعى أن تحوص عبيداً في ليلةٍ ظلماء لايقيه خُفٌّ أو حِذاء .

يَلْقى عُبَيْداً مَاشِياً مُتَفَضِّلاً ... مُتَخَلِّقاً قَدْ مَلَّهُ طولُ السُّرى

في ليلة نحس يحار هوائها ... لا لابساً خفا يقيه ولا حذا

فيحوصه في كعبه بمذرب ... ماض اذا انحنى على عظم فرى

وقد خرج خلف عن أسلوب الهجاء في عصره في هذه المقطوعة ، كما أنه لم يجاري بها طريقة الشاعر الجاهلي والاسلامي ، فكأن قصده منها اظهار براعته في وصف الحيّة ، ولم يأت على ذكر عبيد.

ثم إنّه خرج على عمود الشعر القديم في تسلسل أبيات القصيدة .

أما القصيدة الثانية ، فهي من أطرف القصائد الكاملة التي وصلتنا لخلف ، كما أنها تكشف جانبا مهما من جوانب شخصيته ، وقد قالها في هجاء أحد اصحابه العلماء وهو أبو محمد اليزيدي، يتهمه فيها باللّواط ، لذلك وجدناها في عدد من المصادر ، فقد رواها أبو الفرج[١] كاملةً ، كما رواها صاحب كتاب نور القبس[٢]، وذكر الحموي[٣] سبعة أبيات منها ، وكذلك الجاحظ[٤] الذي أورد أربعة ابياتٍ منها ايضا .

وقد اختلف منهجه في هذه القصيدة اختلافا كليّاً عن سابقتها فأقام بناءها على نهج القصيدة العربية القديمة ملتزما عمود الشعر العربي ، وكأنه قصد إلى ذلك حتى يَشيع أمرُ القصيدة فيحفظها الخاصة والعامة ويتداولها النّاس في مجالسهم ، وهذا ما جعلها تميل إلى محاكاة الشّعر القديم ، والبدويّ خاصة ، مما دل على خصوصيةٍ نُمكّن خلفاً من مثل هذا البناء القويّ بمعماره وتراكيبه وكأنما نحن أمام قصيدةٍ جاهليّة .

---

(١) الاغاني ، ٢٠ :١٩٧ — ٢٠٠.

(٢) نور القبس ، ٧٥ — ٧٧.

(٣) معجم الأدباء ، ١١ :٧١ — ٧٢.

(٤) الحيوان ،٦ :٤٠٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويبدأ القصيدة بمقدمة طللية ، اذ يقسم برحلة الحجيج التي تتخذ الرواحل المحملة باشياء السفر ، منطلقة تقطع المسافات والفيافي متحملة عناء التعب والشدة على أمل يقول :

إنّي ومَنْ وَسَجَ المَطِيَّ لَهُ ... حُدْبَ الذُّرا أَذْقَانُها رَجُفُ(١)
يَطْرَحْنَ بالبِيْدِ السِّخالِ إذا ... حَثَّ النَّجاءُ الرَّكْبَ وازْدَهَوا(٢)
وإذا قَطَعْنَ مَسافَ مَهْمَهَةٍ ... قَذُفٍ تَعَرَّضَ دُونَها شَرَفُ(٣)

ثم ينتقل إلى صورة الحجيج ويقسم بهؤلاء أن أخباره التي سيقولها في أبي محمد صحيحة :

والمُحْرِمينَ بِصَوْتِهم زَجَلٌ ... بِفَناءِ كَعْبَتِهِ إذا هَتَفُوا .
وافَتْ بِهِم خُوصٌ مُحَزَّمَةٌ ... مِثْلُ القِسِيِّ ضوامرٌ شُسُفُ(٤)
مِنّي إليهِ غَيرَ ذي كَذِبٍ ... ما إنْ رَأى قَوْمٌ ولا عَرَفوا .
في غابِرِ النّاسِ الّذين لَقُوْا ... والفُرَّطِ الماضينَ إذ سَلَفُوا .

ويدخل في سرد قصة اليزيدى جوابا لما أقسم به يقول :

أحداً كَيحيى في الطِّعانِ إذا ... تَرِشَ القَنا وتَضَعْضَعَ الحَجَفُ(٥)

ويبقى في موضع الهجاء هذا حتى نهاية القصيدة التي تمثل نموذجا من شعره الذى يحاكي به بناء القصيدة القديمة ، ويأخذ في ذات الوقت بالظواهر الاجتماعية الجديدة ، تلك التي ظهرت في وقته

---

(١) وسج : السير بسرعة ، رجف : مضطربة ومتحركة حركة شديدة .
(٢) البيد : الصحراء . السّخال : المجهولة اى بمعنى الصحراء البعيدة .
(٣) مهمهة : الصحراء . قذف : الصحراء البعيدة ، والناقة القذف : السريعة .
(٤) خوص : الناقة غائرة العين ، القسي : الشديدة ، شسف : اليابسة .
(٥) الحجف : الترس .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

من استخدام للعيوب الاخلاقية والمساوىء الفردية والاجتماعية التي ظهرت في المجتمع آنذاك لذلك فهو يطيل الحديث عن اليزيدى ، ويسجّل صورا حديثة دقيقة تمثل الاسلوب الحركي وان مال فيه الى الفحش المكشوف كما سنرى في الدراسة الفنية لشعره .

وينتقل في آخر القصيدة الى تحذير نفسه من هذا اليزيدى حتى لايصيبه منه أذى الذي لايميّز بين كبير وصغير.

لانَاشِئاً يُبْقي ولَا رَجُلاً فَبِذا وهَذا قَلْبُه كَلِفُ .

وبذلك يكون البناء العام لهذه القصيدة قديما رغم استخدام خلف لاسلوب المحدثين من الشعراء في المعاني والصور وكأنما نقرأ قصيدة من قصائد بشار في الهجاء ، فمن صور ذلك الفحش قوله :

وإذا يُمَسِّحُهُ لِعادَتِهِ وَدَنا الطِّعانُ فَمُدْعِسٌ ثَقِفُ(١)
وإذا رأى نَفَقاً رَبا ونَزا حَتّى يَكادُ لُعَابُه يَكِفُ(٢)

وأمّا القصيدةُ الثالثة فغريبة لايخلو أمرها من جديد لم نتلمسه من قبل ، بل هي القصيدة الوحيدة التي تتصل بالمديح من موضوعات شعره ، ولعلّ الاكثر غرابة في أن هذا المديح يتصل بآل البيت عليهم السلام ، وكأنما هي اتجاه شيعي .

ولم يكن خلف محتاجاً الى مقدمة يبدأ فيها مدحته ، لذلك دخل في ذكر الرسول صلى الله عليه وسلم وآله يقول :

لِرسول اللّه في اقْرَبِيْـ ـهِ وَبَنيهِ حَيثُ سارُوا وَحَلّـوا
أهل بَيْتٍ ما عَلى جاحديهِـ ـم حَقُّهم في الزُّبَرِ الاّ يَفِلّـوا(٣)

وهذا المطلع دليل على ارتباط الشاعر بعقائد الشيعة ، فآل البيت

---

(١) مدعس : من الغلظة (الغليظ) والرجل المدعس : الطعّان ، الثقف : الحاذق الفهم الضابط لما يحويه .
(٢) ربا : زاد نزا : وثب .
(٣) الاشباه والنظائر ، ٢:١١٥ — ١١٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

عنده أحقّ بالخلافة يجب اتباعهم ، وهي عقيدة التولي والتبرى(١) ، لذا فهو يتبع قوله بالحديث عن صفات آل البيت :

صَفوةُ اللّه الأُلَى من لَدُنْهُ ... لَهُم القَدْرُ الأَعَزُّ الأَجَلُّ .
مَا أطاعَ اللّهَ قومٌ تَولَّوا ... مَنْ سِواهُم بَلْ عَصَوْهُ وَضَلُّوا .

الى قوله :

غَصبوهُم حَقَّهُم وَاستَحلّوا ... ظالِموهُم مِنْهُ مالا يَحِلُّ .

وهذا تأييد واضح لفكرة اغتصاب الخلافة ، وتكفير الخلفاء الذين سلبوا عليا وآله حقهم في الخلافة ، وقد دلّ على ذلك بقوله :

واقتَدوا فيهم بِما سَنَّ رِجْسٌ ... بارَزَ اللّه زَنيمٌ مُنْتَحِلُّ .

ثم يشير الى عقيدة علم الغيب عند الأئمة (٢) يقول :

وارثو مَخْزونِ عِلْمٍ عليه ... كُلُّ ذي عِلْمٍ عِيالٌ وكَلُّ .

والحقيقة أن هذه القصيدة الطويلة التي تقع في خمسة وأربعين بيتا تختلف في مضامينها وشكلها وبنائها عمّا ألفناه من شعر خلف ، وأهم ما يكشف ذلك وضوح الفاظ القصيدة وسهولة فهم جملها ومقاصدها ، فهي مباشرة الحوار ، كذلك مضامينها التي تنتصر لآل البيت ، كُلّ ذلك يجعلنا نتوقف عندها .

ولعل من أهم القضايا التي يجب أن تطرح حول هذه القصيدة مايلي :-

إنّ مجموعة الأفكار الشيعية التي وردت في القصيدة تجعلنا نتساءل إن كانت متبلورة إلى هذا الحدّ من الوُضوح في القصيدة وقت خلف !

---

(١) الشيعة والسنة . احسان الهي ظهير ، ص ٤٩ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ٥٠ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

• هل عرف خلف بميله لآل البيت حتى يصدر عن فكر شيعي يصل إلى مثل هذا الغلوّ في الولاء لآل البيت .

• إنّ أسلوب القصيدة وشكلها يختلف بصورة واضحة عن شعر خلف الأحمر الذى مضى وما سيأتي منه .

كل ذلك جعلنا نشكك في نسبة القصيدة لخلف ، فإنّ احتمال وضعها عليه واردٌ من عدة وجود : فالقصيدة أولاً لم تصل إلينا من مصادر مختلفة ، اذا لم أجدها ـ فيما بحثت ـ إلاّ في كتاب الاشباه والنظائر للخالديَيْن ، وقد جاءت رواية القصيدة برواية الصولي عن ابي العَيْناء عن العُتبي .

ويقول الخبر أن أبا العيناء حضر مَجْلِس العتبى ورجل يَقْرأُ عليه شعرا للشنفرى حتى آتى القصيدة التي أولها :

إنّ بالشِّعب الّذى دونَ سَلْـــعٍ لَقَتيلاً دَمُهُ ما يُطَـــلُّ .

فقال بعض من في المجلس ان القصيدة لخلف ، فضحك العتبي وذكر لهم قصة القصيدة ، وهي أن خلفا كان يجلس في سوق المربد مع جماعة من أهل الأدب ينشد لهم على روى قصيدة الشنفرى الآنفة الذكر شعرا في مدح آل البيت وما نالهم ، وجرى عليهم من الظلم ، اذ هجم عليهم الأصمعي وكان منحرفا عن أهل البيت ، مما اضطر خلفا إلى الدخول في شعر على الروى والقافية ذاتها لم يعرفه أحد ممن في المجلس ، وحين انصرف الأصمعي سألوا خلفا خبر الشعر الاخير ، فأجاب بأنّه للشنفرى يرثي تأبط شرا ، وما قاله إلا خوفا من الأصمعي من أن يُشَهِّرَ به في المنابر فيصل الخبر إلى السلطان .[1] وفي ذلك خطر على حياته .

والقصة كما نرى تحمل دلالات تتعارض مع بعض الروايات السابقة في أمر قصيدة الشنفرى ، كما يذكر العتبي ، اذ مرّ معنا أن أبا

---

(١) الاشباه والنظائر ، ٢:١١٢ — ١١٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تمام[١] نسب القصيدة لتأبط شرا، كما نسبها آخرون الى ابن اخت تأبط شرا[٢]، كما اتهم بعضهم خلفا بأنه وضعها على تأبط شرا أو على ابن اخته، وها هو العتبي يردّها للشنفرى يرثي بها تأبط شرا، وقد صنفها محقق ديوان تأبط شرا ضمن القصائد التي لم تثبت نسبتها له.[٣]

ومفاد الخبر أن خلفا كان من شعراء الشيعة يجتمع معهم لينشدهم شعرا له يمدح فيه آل البيت، وما أن يدخل الأصمعي الى مجلسهم حتى يتحول الى قصيدة الشنفرى التي أشار اليها بعض الجلساء، مما دفع بعضهم للشك في ذلك، مما دعا خلف لردّها للشنفرى، وهذا ما دفع بالعتبي أيضا لذكر قصيدة خلف في مدح آل البيت:

وقد أحببت أن أوردها كاملة حتى نتأكد مما ذهبنا اليه في الشك في نسبة القصيدة، وبيان التزام خلف بعمود الشعر العربي، كذلك طريقة انشاء المدحة عنده — اذ انها الوحيدة التي تخص المديح — التي تعتبر أطول القصائد التي وصلتنا له.

قَدَّكَ مِنّي صارِمٌ ما يُفَلُّ ... وابنُ حَزْمٍ[٤] عَقْدُهُ لا يَحَلُّ
يَنْثَني باللُّوْمِ من عاذِليهِ ... ما يُبالي أكثروا أمْ أقَلُّوا
لِرسولِ اللّهِ في أقْرَبَيْهِ ... ونَسَبِهِ حَيْثُ ساروا وَحَلُّوا
عِندَهُ مَكْنونُ نُصْحٍ وَوُدٍّ ... خالِصٌ لَم يَقْتَدِحْ فيهِ غِلُّ
أهلُ بيتٍ ما عَلى جاحِديهِمْ ... حَقُّهُمْ في الزُّبُرِ الأُوَلِ يَضِلُّوا
صَفْوَةُ اللّهِ الأُلَى من لَدُنْهُ ... لَهُمُ القَدْرُ الأَعَزُّ الأَجَلُّ
ما أطاعَ اللّهَ قَوْمٌ تَوَلَّوا ... مَنْ سِواهُم بَلْ عَصَوْهُ وَضَلُّوا
وَبِهِمْ شُقَّ دُجى الغَيِّ عَنْهُمْ ... وَعَلى الإيمانِ والدّينِ دَلُّوا
وبِهِمْ صَبَّتْ عَلى كُلِّ بَاغٍ ... بَازِخِ العِزِّ صَغارٌ وَذُلُّ
غَصَبوهُمْ حَقَّهُمْ وَاسْتَحَلُّوا ... ظالِموهُمْ مِنْهُ مالا يُحَلُّ

---

(١) الحماسة لأبي تمام، قصيدة رقم ٢٧٦.

(٢) العقد الفريد، ٣: ٢٩٨.

(٣) ديوان تأبط شرا، جمع وتحقيق علي ذو الفقار شاكر، ٢٤٧.

(٤) ابن حزم: ولي على المدينة في الحج ايام سليمان بن عبد الملك. انظر: الاشباه والنظائر، ج ٢: ١١٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

واقتدوا فيهم بما سنّ رجسٌ ... بارز الله زنيمٌ عتلُّ .
لم يراقبْ خشيةَ اللهِ فيهم ... آضرّ منهُ ولم يُرعَ إلُّ .
فهمُ شتّى قتيلٍ صريعٍ ... دمهُ فيهم حذاراً يُطلُّ .
وأسيرٌ في طمارٍ عليهِ ... من حديدِ القيّنِ ليلٌ وغِلُّ .
ومُقيمٌ خاشعٌ في غُدُوٍّ ... مُستظامٌ بينهم مُستذلُّ .
لا على جُرمٍ ولا عن شقاقٍ ... ركبوا الدّحضَ إليهم فزلّوا .
غيرَ أنْ فاءَ على ظالميهم ... بهمُ للمُلكِ فيءٌ وظلُّ .
وأنْ أوفَوا بالنّبيِّ المُصفّى ... جدُّهم مأثرةً لاتفلُّ .
وبنى اللهُ لهُم بيتَ مجدٍ ... فطرةُ الدّينِ به تستظلُّ .
في جميلٍ بارك اللهُ فيهِ ... لم ينلْ ما خوّلوهُ جبلُّ .
وارثو مخزونِ علمٍ عليهِ ... كلُّ ذي علمٍ عيالٌ وكلُّ .
وعليٌّ ذو المعالي أبوهم ... كرمَ التسامي بهِ والمُدلُّ .
علّمَ الدّينَ الذي من تلاهُ ... سالكٌ سُبلَ الهدى لايضلُّ .
وأميرُ المؤمنين المُرجّى ... فضلُهُ مُثرِيهِمُ والمُقلُّ .
باسطٌ كفّيهِ فيهم بعدلٍ ... وصبيرٍ صوبُهُ مُستهلُّ .
عن سماءٍ لهمُ كلَّ يومٍ ... ديمةٌ منهُ ووبلٌ وطلُّ .
وشهابُ اللهِ في كلِّ خطبٍ ... وحسامُ اللهِ والنّقعُ يعلو .
حيثُ يلقى في ظلالِ المنايا ... كلَّ ليثٍ باسلٍ وهو فلُّ .
جسدٌ يعفوهُ طيرٌ علوفٌ ... وضوارٍ شرّعٌ فيهِ زُلُّ .
بطلٌ أغلبُ في راحتيهِ ... للقنا والبيضِ نهلٌ وعلُّ .

يكرهُ الإبطالَ منهُ ابنُ موتٍ ... لايملُّ الحربَ حتى يملّوا .
يحمدُ العضبُ اليمانيُّ شطاهُ ... في الوغى والسّمهريُّ المقلُّ .
فكأنّ النّقعَ ينشام عنهُ ... ضيغمٌ جهمُ المحيّا رفلُّ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

قَدْ غَدا يُضْمِرُ بُغْضاً ويُبْـــدي ... بُغضه أَضْغانُها لاتُسَـــلُّ .
شاوِرِ ٱلنكراءَ في الله مِنْـه ... شَائِكُ الأَنْيابِ يَقْظانُ صِـلُّ .

لاَ الرُّقى تَرْدَعُ منه ولامَـــنْ ... مَسَّ حَدَّ النَّابِ مِنْهُ يُبَـــلُّ .
مَوْطِنٌ مِنْ عَهْدِ لقمانَ عـــادٍ ... دُونَه من قُلَلِ الحَزْنِ تَـــلُّ .
مُتَحامٍ لايؤدي اليـــــه ... نُسُبُ الإنسِ ولا الجِنُّ حَـــلُّ .
كَيْبَسِ الجَزْلِ إلاّ فَحيحـــاً ... يَصْهَرُ المرءُ به أو يَمَـــلُّ .
لَوْ مَضَتْ عالِيَةُ الرُّمْحِ فيـــه ... ما تَغَشَّى اللَّيْطُ منه مبـــلُّ .

أو نَمَتْ أذْرُعُ ألفٍ إليـــــه ... رَجَعَتْ من نَفْثِهِ وهي شُـــلُّ .
كُلَّما مَدَّ المَطا وَتَمَطَّـــى ... فحص المِعزاءِ مِنْهُ يُصَـــلُّ .
عُدْ إلى مَدْحِ اللذين عليهـــم ... من يَمينِ اللّه ظِلٌّ فَظِـــلُّ .
خَيْرُ مَنْ حَيَّتْ بهم ذاتُ كـــونٍ ... دامياً للجُهدِ منها الأَظَـــلُّ .
في مهارى ذُبَّلٍ كالسَّعـــالـــي ... تَحْتَ شُعْثٍ قد أَكَلّوا وكَلّـــوا .
عامري الكَعْبةِ من كُلِّ فَـــجٍّ ... كُلَّما أَعْرَضَ شَخْصٌ أَهَلّـــوا .

وكما نرى فان القصيدة واضحة البناء ، تنتمي الى الشعر السياسي العباسي والذى يمثل آراء الشيعة آنذاك .

لكن خلفاً لم يلتزم أسلوب المدحة المتبع ، فلم يذكر الأطلال أو الحبيبة ، فابتدأ بذكر الرسول وآله وما نالهم من ظلم ، ثم أخذ يعدد صفاتهم الكثيرة ويشيد بأفعالهم الى نهاية القصيدة .

والحقيقة أن هذه القصيدة — ان صحت نسبتها لخلف — توصلنا الى ملامح جديدة تتصل بخلف ، فهي تعني أن الفكر الديني والولاء الطائفي عنده ، كان للشيعة ، ويبنى على ذلك أن خلفا كان يحمل العداء لبني

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أمية وبني العبّاس فهم مغتصبون للخلافة ، وأن عليّا وآله أحقّ الناس بها .

لكن الأمر — في رأيي — مضطرب يحتمل تصويب الذى مضى وتخطئته ، إذ كيف يكون خلف شيعيا ولا يذكر عنه من ذلك شيء ، أم أن تشيعه ظل سرّا لم يعرفه الناس ! ، ثم إنّنا لم نجد شعرا آخر يسند هذه القصيدة ويدعم ما جاء فيها مما يدعونا إلى إبقاء المسألة على ما هي عليه .

— ٣ —

اغراض شعره

تعددت أغراض الشعر عند خلف بتعدد المقاصد ، وكان لتنويع الثقافة والمعارف والرحلة أثر في موضوعات شعره ، فثقافته التي اكتسبها في البصرة ورحلته الى البادية ومدن الدولة الأخرى أوجدت لديه ميلا نحو الوصف خاصة ذلك الذى ارتبط بالحياة الخشنة في الصحراء وما يمشي عليها من غير الآدميين كالأفعى وبعض أنواع الزواحف الأخرى ، وكان ميّالا في شخصه الى المداعبة والمشاكسة فانشأ في الهجاء ، كما أثرت انسانيته في آخر عمره على شعره فصدر عن وجدانيات مثاليّة وفيما يلي عرض لمختلف موضوعات شعره :

الهجاء :

إنّ تطور فن الهجاء في القرن الثاني الهجرى جاء نتيجة طبيعيّة لمواكبة التطورات المستجدة في الحياة العامة ، فكان لتغيّر أشكال الحياة السياسيّة والاقتصادية والاجتماعية أثرٌ بالغ في توجّه موضوعات الشعر وتطوير أشكاله .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

واذا أردنا تصنيف خلف بين الشعراء ، فانّه يعد من مخضرمي الدولتين الاُموية والعباسية ، وقد ضمّت من الشعراء بشار بن برد (١٦٧ هـ) وحمّاد عجرد (١٦٨ هـ) ومطيع بن اياس (١٦٩ هـ) والسيّد الحميرى (١٧٣هـ) ومروان بن ابي حفصة (١٨١هـ) ورؤبة بن العجاج (١٤٥هـ).

وقد تطوّر فن الهجاء عند هذه الفئة باستخدام طرق جديدة في ذكر مهجوييهم ، وكان لخلف باع طويل ظهر في المقطعات المتناثرة في شعره، والملاحظ في هجاء خلف أنه لم يتصل بالسياسة والرد على شعرائها ، فقد ضمّت قصائده موضوعات شخصيّة ارتبط معظمها بأمور الحياة العلمية والاجتماعية مستخدما أسلوبا جديدا يتمثل في استخدام الاُفعى والعقرب وبعض الحشرات كأن يدعو على مهجّوه بها أو يصفه بأحدى صفاتها.

كما استخدم أسلوب التهكّم والسخرية بألفاظ تدل على فطنة وخبث ومن ذلك هجاؤه للفيض بن عبد الحميد حين صحّف في قراءة شعر.(١) يقول :

لَنَا صاحِبٌ مُولَعٌ بالخِلاف ... كَثيرُ الخطاءِ قليلُ الصوابِ
أشدُّ لُجَاجاً من الخُنفساءِ ... وأزهى اذا ما مشى من غُرابِ
اذا ذكروا عنده عالماً ... رَبا حَسَداً ورماه بعابِ
ولَيْسَ من العِلْمِ في كَفِّهِ ... إذا ذَكروا العِلْم غَيْرَ التُّرابِ

وهي كما نرى مقطوعة خفيفة واضحة الدّلالة ، يستخدم فيها خلف مكانته العلمية لذم علم الفيض ويشبهه بالخنفساء في اضطرابها وبالغراب في كبره ، كما انه يغار من أهل العلم ويدعي علماً ليس معه ..

---

(١) التصحيف والتحريف ، ٢٤ ، وقد أورد الجاحظ البيتين الاُول والثاني في حديثه عن لجاج الخنفساء . الحيوان ،٣:٥٠٠، وقال انها في هجاء العتبي، وقال ياقوت انها في هجاء ابي العيناء ،١٦:١٦١ . واظن ذلك خطأ اذ كانت ولادة أبي العيناء سنة ١٩١ هـ ، بينما توفي خلف سنة ١٨٠ هـ.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومن تلك المقطعات اللطيفة التي تكشف عن ظرف وخفة ، قوله في رجل يقال له محرز وكان كوسجا.(١) يقول :

أَمُحْرِزَ ما نَظَرْتُ إليكَ إلاّ ... ذَكَرْتُ مِنَ النِّساءِ عَجُوزَ لُوطِ .
أَرَىٰ شَعْراً بِخَدِّكَ غَيْرَ حُلْوٍ ... شَبيهاً حِينَ يَمْشُطُ بالخُيوطِ .
فَما شَيْءٌ بِأَشْبَهَ من عَجوزٍ ... إذا فَكَّرْتِ مِن شَيْخٍ سَنوطِ(٢) .

وله مقطوعة شعرية يهجو بها جماعة أهداهم هديّة حين ذهبوا للحجّ ولمّا عادوا لم يذكروه بمثلها ، ويبدو أن هؤلاء الجماعة نفر من قريش وقد ورد ذلك صراحة في المقطوعة ، فيصفهم بالبخل الشديد مع نسبهم الشريف الاّ أن فعالهم فعال العكل وهو اللئيم من الناس ومنها :(٣)

فإن أَهْدَيْتَ فاكِهةً وكَبْشاً ... وعَشْرَ دجائجَ بَعثوا بِنَعْلِ .
وسِواكَيْنِ طُولُهما ذِراعٌ ... وَعَشْرٍ من صِغارِ المُقْلِ خُشْلِ .

ثم لا يجد مفرا من طعن نسبهم الذى يدّعوه ، ومع ذلك فهم من البخل لدرجة أنه يقول :

أُنَاسٌ ما يُهِمُّونَ لَهُم رَواءُ ... تَغيمُ سَماؤُهم من غير وَبْلِ(٤)
إذا نُسِبوا فَفَرْعٌ من قُرَيْشٍ ... ولَكِنَّ الفِعالَ فِعالَ عُكْلِ(٥)

ولا نبالغ إن قلنا أنّ شعوبيّة خلف واضحة في هذه الأبيات ، وهي عصبيّة عرقية راجت في هذه الفترة .

ويبدو أنه هجا يحيى بن وردان للقضية نفسها ، ولكن هذه المرة اختلف الاسلوب والسبب ، فتقول الرواية انّ يحيى بن وردان قدم من

---

(١) الكوسج : السنوط وهو الذى لاشعر في وجهه . لسان العرب : سنط .

(٢) نور القبس ، ٧٧ .

(٣) البيان والتبيين ، ٣:١١١ ، الحيوان ، ٥:٢٨٤ ، نور القبس ، ٧٤ .

(٤) الوبل : المطر الشديد .

(٥) عكل : قبيلة تعرف بالغباوة وقلة الفهم .وقد أورد أبو تمام هذين البيتين في الحماسة الصغرى (الوحشيات) ، ٣٩٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مكة فلم يهد لخلف شيئا فقال فيه :[1]

هَلاَّ أتيت بِقُمْرِيٍّ أُربيّـــــه ... أو ساقِ حُرٍّ إذا ما شِئْتَ غنّاني .
فَليسَ للبِرِّ والتّقوى حَجَجْتَ ولا ... مِنْ خَشْيَةِ اللّه يا يَحْيى بنوَرْدان .
كُنْتَ الخَبيثَ إذا شَدُّوا مَحاملَهُمْ ... أيّامَ مَكّةَ أنتَ الفاسِقُ الزّانـي .

انّه أسلوب ساخر سهل اللفظ ينمّ عن تمكن من الفاظه ومعانيـــه . ولعلّ قصيدته في هجاء أبي محمد اليزيدى خير دليل على أسلوبـــه في الهجاء وهي قصيدة مكشوفة المعاني ، فيها فحش في التصويـــر تدل على خبث في شخصيته ومنها :

أحَداً كيحيى في الطّعانِ إذافتَرَ ... ش القَنا وتَضَعْضَعَ الحَجَفُ .
في مَعْرَكٍ تَلْقى الكَمِيُّ بـــه ... للوجْهِ مُنْبَطِحاً ويَنْحَرِفُ .
وإذا أكَبَّ القِرْنَ يُتْبِعُـــه ... طعناً دُوينَ صَلاهُ يَنْخَسِفُ .

وفي قوله :

لاتُخْطِئُ الوَجْعاءُ آلَتَـــهُ ... ولاتَصُدُّ إذا هُمُ رَجَفُـــوا

وكأنما يصف اليزيدى حين يهم باللواط ، بالفـــارس في المعركـة ، ويصوّر لنا جوّ تصرف اليزيدى بجو الفارس يصول ويجول ، دقيق الرمـــي منهمك بحربه . ثم يصف أولئك الذين يضاجعهم بأنهم :

مُرْدٌ وأطفـــالٌ تَخالُهُـــمُ ... دُرّاً تَطابَقَ فَوْقَهُ صَدَفُ .
فَهُمُ لديهِ يَعْكِفونَ بـــهِ ... والمرءُ فيه اللّينُ واللُّطَفُ .

فهي كما نرى صور متحركة ، ووصف حيّ لمشهد تمثيلي يقوم خلـــف برصد حركاته بدقة متناهية .

وقد تكررت الصور المتحركة في شعره ، وهي في غالبها صور ماديـــة

---

(١) نور القبس ، ٧٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تمثل حركة الانسان والحيوان ، على انه استخدم التصوير في رسم الأشياء الثابتة كشكل جسد هؤلاء الأولاد الذين يجتمعون حول اليزيدى .

واستطاع كذلك أن يجعل من موضوع قصيدته قضيّة ، وأضفى على صورها معاني كبيرة ، كما فعل في تشبيه صورة اليزيدى حين يجتمع بالصبّية ويهمّ باللواط بالبطل في المعركة الذى يصوّب الى هدفه فيصيبه ، بل إنّه الفارس يستخدم جياده حتى تساعده على النصر .

كل ذلك أضفى على القصيدة تميّزا وإن خرج فيها خلف عن حدود الذوق العام من فحش الصور والألفاظ ، وهذا ما اتسم به بعض شعر هذه الحقبة ، مثل شعر بشار وأبي نواس .

ولا يمكن لنا الحكم على خلف بالمجون ، إذ لم يعهد عنه أفعال فاحشة كشرب الخمر أو ميل عن الدين ، وعليه فان شعره هذا نوع من اللهو المكشوف .

والمرجّح أن الهدف يتمثل في الاضحاك والاستهزاء لا على وجه الحقيقة ، لان الوصف والحركة المؤداة في ابياتها تدل على ان الشاعر قصد المعاني الساخرة والصور القريبة حتى تكون مختلفة عن غيرها فيتداولها الناس على نحو ما أراد ، كما أنها خير دليل على قدرة خلف الشاعريّة وحسن تصرّفه في طرح المعاني بالفاظ متسقة وجمل قوية .

يقول :

رَبْذٌ إذا عَبَقَتْ مغابنُه ... ذَهَبَ السُّكُونُ وأقْبَلَ العُنُفُ .
في حَقْوِهِ عَرَدٌ تُقَدِّمُه ... صَلْعاءُ في خُرطومِها فَنَفُ .
جَرْداءُ تَشْحَذُ بِالبُزَاقِ إذا ... دُعِيَتْ نَزَالِ وَهَبَّ يَرْتَدِفُ .

وكذلك قوله :

عُرْدُ المِجَسِّ بِمَتْنِهِ عَجَرٌ ... في جَذْرِهِ عَنْ فَخْذِهِ جَنَفُ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ثم نجده يتحدث عن نفسه ، فيحاول أن يصوّر فعل اليزيدى كبيـــرا خطيرا ، ويُذكّـرُ نفسه بضرورة الهـرب من مثل هذا الرجل الذى لايـــــذر أحداً يمكنه من نفسه إلا اجتمع به ، يقول :

لا نَاشِئـاً يُبْقي ولا رَجُـــلاً ... فَبِذا وهَذا قَلْبُه كَلِـــفُ .
يـالَيْتَني أَدْري أَمُنْجِيَـــتي ... وجَنـاهُ ناجِيَةٌ بها شَـدَفُ .
مِنْ أَنْ تُعلّقَني حَبائِلَـــهُ ... أَوْ أَنْ يوارى هامتى لجـفُ .
ولَقَد أقولُ حذارِ سَطْوَتِـــهُ ... إيهاً إليك تَوَقَّ يا خَلَـفُ .

فهو يحذر نفسه من الوقوع في حبائله خوفا على نفسه ان يصيبهـــا ما أصاب غيره ، فاليزيدى مغرم بهذا الأمر ايما غرام ، حتى أنه يصوّر لنـا طلبه للأمر مع طـــول المسافة والوعورة التي يمكن ان يبتعد بهـــا عنه .

وَلَوْ أنّ بَيْتَك في ذُرا عَلَـمٍ ... مِنْ دُونِ قُلّة رَأسِه شَعَـفُ .
زَلِقٍ أعاليه وأسْفَلَـــهُ ... وَعْرُ التَنائِفِ بينها قَـذَفُ .
لَخشيتُ عِردكَ انْ يُبَيِّتَنـــي ... إنْ لم يَكُن لي عنه مُنْصَرفُ .

وقد قلنا أنّ خلفا قد نسج قصيدته هذه على نهج القصيدة العربية القديمة ، فابتدأها بالطلل والرحلة ، وصوّر لنا رحلة الحجيج ليقســـم بهم بأن خبر اليزيدى صحيح .

وقد أحسن التخلص في القصيدة بين مقدمته وموضوعها ،وأدار مشاهـــده التمثيلية بتسلسل حَسَن،مستخدما ألفاظا واضحة الدّلالة لاتَعْمِيَةَ فيهـــا مما دفعني لاثباتها كلّها حتى يتمكن القارئ من تتبعها وكي تضـــم لهذا الفصل ، لنتزيد في جلاء ملامح شعره ،ولأن القصيدة كاملة — فيمـــا أرى — تكشف عن قدرة خلف الشعرية وتُبيّن مدى تأثره بالحيـــاة الاجتماعية اللّاهية في عصره .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يقول :

٠١ إنّي ومَنْ وَسَجَ المَطيّ لَـــهُ حَدْبَ الذُّرا أَذْقَانُها رُجُـــفُ .

٠٢ يَطْرَحْنَ بالبَيْدِ السِّخالِ إذا حَثَّ النَّجاءُ الرَّكبَ وأزدَهفوا :

٠٣ وإذا قَطَعْنَ مَسافَ مَهْمَهةٍ قَذَفٍ تَعرّضَ دُونها شَـــرَفُ .

٠٤ والمُحْرِمينَ بصوتِهم زَجَـــلٌ بفناءِ كَعْبَتِهِ إذا هَتفوا .

٠٥ وافَتْ بِهِم خُوصٌ مُحَزَّمَـــةٌ مِثلَ القِسِيِّ ضَوامِرٌ شُسُـــفُ .

٠٦ مِنّي إليهِ غَيْرَ ذي كَـــذِبٍ ما إنْ رأى قَوْمٌ ولاعَرفـــوا .

---

٠٧ في غابِرِ النّاسِ الّذين بَقَوْا والفُرّطِ الماضينَ إذا سَكنوا .

٠٨ أحدا كيحيى في الطعان اذا افت رش القنا وتضعضع الحجف .

٠٩ في مَعْرَكٍ تَلْقى الكَمِيُّ بِـــهِ لِلوَجْهِ مُنْبَطِحاً ويَنْجَـــرِفُ .

٠١٠ وإذا أكبَّ القِرنَ يَتبعُـــهُ طَعْناً دُوَيْنَ صَلاهُ يَنْخَسِـــفُ .

٠١١ لِلّهِ دَرُّكَ أيّ ذي نُـــزُلٍ في الحَرْبِ إذْ هَمّوا وإذْ وَقَعوا .

٠١٢ لاتُخطِئُ الوَجْعاءُ آلَتَـــهُ ولا تَصُدُّ إذا هُمُ زحفـــوا .

---

٠١٣ ولَهُ جِيادٌ لايُفَرِّطُها الإجـــ ـلالُ والمضمارُ والعَلَـــفُ .

٠١٤ جُرْدٌ يُهانُ لَها السَّويقُ وألْبَـ ـانُ اللِّقاحِ كأنَّها نُـــزُفُ .

٠١٥ مُرْدٌ وأطفالٌ تَخالُهُـــمُ دُرّاً تَطابقَ فوقه الصَّـــدَفُ .

٠١٦ فَهُمُ لَديه يَعكفون بـــه والمَرْءُ مِنْهُ اللِّينَ واللُّطْـــفُ .

٠١٧ ومَتى يشأْ يُجْنَبْ لَهُ جَـــدَعٌ نَهْدٌ أسيلُ الخَدِّ مُشْتَـــرِفُ .

٠١٨ يَمْشي العَرَضْنَةَ تَحْتَ فارِسِـــهِ عَبْلُ الشوى في مشيه قَطِـــفُ .

---

٠١٩ رَبْدٌ إذا عَبقَتْ مغابِنُـــهُ ذَهَبَ السُّكونُ وأقبلَ العُنُـــفُ .

٠٢٠ في حَقْوِهِ عَرَدٌ تُقَدِّمُـــهُ صَلْعاءُ في خرطومها قَنَـــفُ .

٠٢١ جَرْداءُ تُشْحَذُ بالبُزاقِ إذا دُعِيَت نَزالِ وهَبَّ يَرْتَـــدِفُ .

٠٢٢ أوفى على قيد الذِّراع شَـــد يدُ الجَلْنِ في يافوخة جَوِفُ .

٠٢٣ خاظٍ مَمَرٌّ مَتْنُهُ ضَـــرِمٌ لا خانَه خَوَرٌ ولا قَضَـــفُ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٠٢٤ عُرْدُ المِجَسِّ بِمَتْنِهِ عَجَرٌ ... في جَذْرِهِ عَنْ فَخْذِهِ جَنَفُ .
٠٢٥ وَلَوْ أَنَّ فَيَّاضاً تَأَمَّلَهُ ... نادى بِجُهْدِ الوَيْلِ يَلْتَهِفُ .
٠٢٦ وإذا يُمِسِّحُهُ لِعادَتِهِ ... ودَنا الطِّعانُ فَمُدْعِسٌ ثَقِفُ .
٠٢٧ وإذا رأى نَفَساً رَبا ونَزا ... حَتّى يَكادُ لُعابُهُ يَكِفُ .
٠٢٨ لاناشِئاً يُبْقي وَلا رَجُلاً ... فَبِدا وَهذا قَلْبُهُ كَلِفُ .
٠٢٩ يالَيْتَني أدري أَمَنْجِيَتي ... وجَناهُ ناجِيَةٌ بِها شَدَفُ .
٠٣٠ مِنْ أَنْ تُعَلِّقَني حَبائِلَهُ ... أَوْ أَنْ يُوارِيَ هامَتي لَجَفُ .
٠٣١ ولَقَدْ أقولُ حِذارِ سَطْوَتِهِ ... إيهاً إليكَ تَوَقَّ يا خَلَفُ .
٠٣٢ ولَوْ أَنَّ بَيْتَكَ في ذُرا عَلَمٍ ... مِنْ دُونِ قُلَّةِ رأسِهِ شَعَفُ .
٠٣٣ زَلِقٌ أَعالِيهِ وأَسْفَلُهُ ... وَعْرُ التَّنائِفِ بَينَها قَذَفُ .
٠٣٤ لَخَشِيتَ عَرْدَكَ أن يُبَيِّتَني ... إنْ لَمْ يَكُنْ لي عَنْهُ مُنْصَرَفُ .

الأغاني ٢٠٠:١٩٧ ـ ٢٠٠. وفيما يلي خلاف روايتها عند المرزباني في كتاب نور القبس المختصر بن المقتبس .

٠١ العجز: حدب الذرا أقربها رجف .
٠٣ العجز : تأتي تعرّض دونه شرف .
٠٤ الصدر : والمحرمون .
٠٥ الصدر : وافت بهم فرق مزممة .
٠٨ لم يرد عند نور القبس .
٠١١ لله درّك أي ذي دلف ... في الحرب انت اذا هم وقضوا
٠١٣ الصدر : وله جياد ليس نعوزها .
٠١٦ لم يرد.
٠١٩ الصدر : زنبراً اذا عرفت معانبه .
٠٢٠ العجز : صلعاء في يافوخها قنف .
٠٢٢ الصدر : أقعت على قيد الدراع ...
٠٢٤ لم يرد.
٠٢٥ الصدر : ولو أن قناصا تأمله ... نادى بحر الويل يلتهف
٠٢٦ العجز : ودنا الطرّاد نمدعس ثقف .
٠٢٧ الصدر : واذا أبسّ به ربا وترا .
٠٢٨ لم يرد.
٠٣٠ العجز : أو أن يوارى هامتي اللحف .
٠٣١ ربما أقول لصاحبي خلف ... أيها هديت حرزن خلف
والبيت هنا معتل الوزن غير بين المعنى كما هو في رواية الأغاني.
٠٣٢ فلو أن بيتك في ذرا علم ... من دون قلة رأسه شعف
٠٣٣ الصدر : لخشيت جرزك أن يبيّتني. =

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

= وقد ورد البيت التاسع والعشرون في رواية نور القبس ولم يرد في الأغاني :

ذلق أعاليه وأسفله وعلا تنائف بينها قدف

وقد ذكر ياقوت بعضا من أبياتها ، وهي :

اني ومن وسج المطيّ له حدب الذرى ارقالها رجف
والمحرومين لصوتهم زجل بفناء لعبته اذا هتفوا
مني اليه غير ذى كذب ما أن رأى قوم ولا عرفوا
في غابر الناس الذين بقوا والفرّط الماضين من سلفوا
احد كيحيى في الطعان اذا افتـ رش القنا وتضعضع الحجف
في معرك يلقى الكمّي به للوجه منبطحا وينحرف
واذا أكب القرن يتبعه طعنا دوين صلاة ينحسف

معجم الأدباء ، ١١:٧١ — ٧٢.

كما أورد الجاحظ بعض أبياتها ،يقول النص :

" وقال يونس النحوى وذكر خلفا الأحمر فقال :" يضرب ما بين العندليل الى الكركي"، وقد قال فيه الشاعر :

ويضرب الكركي الى القنبر لا عانا يبقي ولا محتلم

وقال :— وهي الأبيات التي من القصيدة —

وبما أقول لصاحبي خلف أيها اليك تخدرن خلف
فلو أن بيتك في ذى علم من دون قلة رأسه شعف
لخشيت قدرك أن يبيتها ان لم يكن لي عنه منصرف

الحيوان ، ٦ :٤٠٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وصايـــــــــا :

وثمة مقطوعة شعرية تحكي فضل العلم والتعلّم في الصغر أوردهـــا ابن عبد البرّ الأندلسي ونسبها لخلف . قال : ومما ينشد لخلف الأحمر :

خَيْرُ ما وَرَّثَ الرِّجالُ بَنيهِم ... أَدَبٌ صالحٌ وحُسْنُ ثنـــاءِ
هَوَ خَيْرٌ من الدّنانير والأوْرا ... ق في يوم شِدَّةٍ أو رَخـــاءِ
تِلْكَ تُغْني والدِّينُ والأدَبُ الصا ... لحُ لايُفْنِيان حتى اللِّقـــاءِ
إنْ تأدبت يابني صغيـــراً ... كُنتَ يوماً تُعَدُّ في الكُبَرَاءِ
وإذا ما أَضَعْتَ نَفْسَكَ أَلْفَيـ ... ـتَ كبيرا في زمرة الغوغاء
ليس عَظْمُ القَضيبِ إنْ كـــــان رَطْباً وإذا كانَ يابساً بِسواءِ

وقال : هكذا أنشدها غير واحد لخلف الأحمر ، وأنشدها الخشنـــي رحمه الله لابراهيم بن داود البغدادي في قصيدة له مطوّلـــــــة يوصي فيها ابنـه أولها :

يا بُنَيَّ اقترب من الفُقَهـــاءِ ... وتَعَلَّم تَكُن من العُلَمـــاءِ[1]

على أنّ الشعر الذى أوردناه لايماثل شعر خلف ، سواء في اللفـــظ أو الصياغة ، الا أن الشك فيه انما يقوم على تأخر روايته ، فابـــــن عبد البر من رجال القرن الخامس الهجرى ، وكيف لهذا الشعـــــر ألا يذكره من ذكروا خلفا ، ثم ان موضوع القصيدة غريب لم نعثـــر له على شبيه أو مماثل من حيث أنّ صلة خلف بأبنائه تكاد تكـــون منعدمة لانعرف عنها شيئا ، وهذا يجعلني أميل الى نسبها لابراهيـــم البغدادي الذى أشار اليه المؤلف .

---

(١) جامع بيان العلم وفضله . ابن عبد البرّ النمرى الاندلسي ، ٨٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الوصـــــــــــف :

وكما هو حال الحياة الاجتماعية مع الهجاء ، فان جوانب الحيـــــاة المَاليّـــــــــــــــــة قد أثرت في تطور فن الوصـــــــف ، وقد أكثر الشُّعراء في هذا القرن من وصف القصور والدور والمجالـــــس الفخمة والأسواق،كما وصفوا الحانات وغلمانها وغيرها من مظاهـــــــر الحياة الاجتماعية ، وتركوا وصف الحياة البدوية الصحراوية الخشنـــــة والاطلال كما كان يصفها الشاعر الجاهلي من قبل .

ويبدو لنا أن خلفا — فيما وصف — قصد الى المحورين السابقين معا ، فاتجه في بعضه الى الصحراء وأحوالها وسكانها من الحيّات والعقارب ، كما وصف بعضا من مظاهر الحياة العامة بحداثة تنمّ عن تأثره بها.

ولكن أكثر شعره كان في الموضوع الأول ، فقد عرف عنـــــــــه أنه من المكثرين في شعر الحيات واراجيزه في ذلك كثيرة ، وهذا أمـــــــر ملفت للنظر ، اذ يعني أن علاقة ما جعلته يميل إلى وصفها بهـــــذه الكثرة وعلى وجه من التفصيل دقيق ، فهو يرسم لنا حركاتهاوسكناتها ويعرف أجناسها ذكرها من أنثاها ، وعمرها الذى يدل عليه شكلها ، بل نـــــراه يستخدمها أحيانا في الهجاء كما مرّ معنا فيدعو بها على أحدهـــــــم أملا في أن يفارق الحياة .

والناظر في أشعاره المتصلة بالحيات وغيرها يظنّ أن خلفـــــــــا من أهل الصحراء بدوى الهيئة خشن الأفعال يلاحق الأفاعي ليتقـــــــن وصفها إلى هذا الحد ، ولكن الرّد على ذلك يتمثل في بيئة البصـــــــرة ، التي لـــم تخل من مظاهر البداوة بمختلف أشكالها مثل البيـــــوت والأسواق والطرقات ولعلّه — لشدة غرامه بهذه المخلوقات — كـــــان يتتبعها في هذه البيئة عـــــدا ما عرفه عنها اثناء سفره الـــــى البادية أو الى الكوفة وبغداد.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وأمثلة شعره في ذلك كثيرة ، ومنها قوله :(١)

أَفْعَى رَحُوفُ العَيْنِ مِطراقُ البُكَـــرْ داهيةٌ قد صَغُرَتْ من الكِبَـرْ .
صِلْ صَفاً ما يَنطوي من القِصَـــرْ طَويلةُ الإطراقِ من غير حَسَـرْ .
كأنّما قد ذَهَبت به الفِكَـــرْ شُقَّتْ لَهُ العَيْنان طولاً في شَتَـرْ .
مَهْرُوتَةُ الشِّدْقَيْن حَوْلا النَظَـــرْ جاءَ بها الطّوفانُ أيّامَ زَخَـرْ .
كأنّ صَوْتَ جِلْدها إذا أسْتَـــدَر نشيشُ جَمْرٍ عِند طاهٍ مُقْتَـدِرْ .

انها صور دقيقة تشبه صور الشنفرى في لامتيه حين صور لنا الذئـــاب المهترئة جوعا مهروتة الشدقين ، فهو متأثر بصور الشنفرى البدويـــة ، كما أنه مجود في صوره التي تدل على معرفة دقيقة بعمر الحيّة ثـــم يرسم صورة صوتية لحركتها التي تشبه الجمر حين ينفخ عليه الطاهـــي فهي حين تمشي تصدر مثل هذا الصوت لشدة قسوة جلدها .

وله أيضا في وصفه الحيّة :(٢)

وحَيَّةٌ مَسْكَنُه الرِمَـــالُ كأنّه إذا أنثنى خِلخـــالُ .

وله في وصف مشية الحية في وقت معين :(٣)

كَمْ أجازَتْ من فَوْزِ رَمْلٍ وَقَـــفٍّ وحَسيفِ المياه صَهْبُ المَنـون .
أسْأدَت ليلة ويوماً ، فَلَمّـــا دَخلتْ في مُسَرْبَـح مَـــرْدون .
أضْحَت تَعْرِفُ الخلاءَ بِعَيْـــــ ـنَيْها وتَمْشي تَخَلُّعَ المَجْنون .

ثم يقول في عمرها وخوف الحواة منها :(٤)

أرْقَشُ إنْ أسْبَط أو تَشَنّـــى حَسِبْتُ وَرْساً خالَط البَرنّـــا
خالَطَهُ من ها هُنا وهَنّـــا إذا تَراءاه الحواةُ أسْتَنّـــا

---

(١) الحيوان ، ٥:٢٨٥.

(٢) نور القبس : ٨٠.

(٣) البرصان والوجان ، الجاحظ : ٢٠.

(٤) الحيوان ، ١:١٨٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وتبدو شدة ولعه بالحيّات حين يستخدمها في الهجاء ، وله في ذلك شعر كثير ، على أنّه لم يصلنا منه إلاّ القليل.

ومن القصائد الطويلة في ذلك تلك التي هجا بها رجلا يدعي عبيد.(١)

صَبَّ الإلهُ على عُبَيْدٍ حَيَّةً ... لاتَنفَعُ النَفَثَاتُ فيها والرُّقى .
جَبَلِيَّةً تَسْري إذا ما جَنَّها ... لَيْلٌ وتَكْمُنُ في النَّهارِ فما تُرى .
مَهْروتَةَ الشَدْقَين ينطُفُ نابُها ... سُمّاً تَرى ما إنْ يُهابُ وَيُتَّقى .

والدارس للقصيدة يجد أنّها تحوى ستة عشر بيتا ،منها أربعة في ذكر عبيد وفي هذه القصيدة صور جديدة للحيّة فهي كبيرة السّن معمّرة ، لها نابان لو عضّت بهما صخرة لتطايرت فِلَقاً .

لَمْ تَغْشَهُ شَمْسٌ وخَالَفَ قَعْرَه ... فَنَهارُه ومَساؤُهُ فيه سِوا .
لَوْ عَضَّ حَرْفيّ صَخْرَةٍ لَتَطايَرَتْ ... مِنْ نَابِه فَلَقاً كَأَفْلاقِ النّوى .

وقوله :

رَقْشاءُ تَقْتَصِدُ الطَّرِيقَ إذا دَنَا ... فيها المَساءُ كأنَّها ثِنيا رَشا .
قَرْناءُ أنساها الزّمانُ فأدْرَكَت ... عَاداً فَليسَ لِنَهْشِه منها شِفا .

وهكذا فهي صور بدوية خشنة ، تدل على عيش الصحراء وليلها ، فهو في آخر أبيات القصيدة يصوّر لنا الجوّ الرهيب الذى يتمنى أن تأتي الحيّة فيه لتأخذ عبيدا بأنيابها :

يَلْقى عُبَيْداً ماشِياً مُتَفَضِّلاً ... متخلِّقاً قد مَلَّهُ طُولُ السُّرى .
في لَيْلَةٍ نَحْسٍ يَحارُ هُداتُها ... لا لابِساً خُفّاً يقيهِ ولا حِذا .
فَيحوصُه في كَعْبِه بِمُذَرَّبٍ ... ماضٍ إذا أنْحى على عَظْمٍ فَرى .

وما كان وصفه هذا الا لرغبة في نفسه نحتّها من الأبيات الشعرية ، وكأنما يتلذذ في وصف كل حركة للأفعى ، على غير ما إلفناه من شعراء

---

(١) نور القبس ، ٠٧٨

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

هذه الحقبة من اهتمام بوصف ما جدّ من الحضارة آنذاك كالقصور وبيوت اللهو والحانات والسّفن وبعض المسليّات كالشطرنج ..... وغيرها من مظاهر الحضارة الجديدة ، وقد تخصّص عدد من الشعراء في وصف مثل تلك الاشياء ولعلّ أبا نواس خير دليل على تخصصه في وصف الحانات والخمرة والغلمان .

أما خلف فقد ترك ضروب تلك الحضارة نازحا الى الصحراء وما تحويه ومن شعره في غير الحيّات ، ومما يقول في الحنش :

وَحَنشٍ كَأَنَّهُ رشاءُ أَسْوَدُ ما لِمَسِّهِ دواءُ(١)

وله في وصف العقرب مقطوعة يتمنّى فيها أن تاتي رجلا اسمه خطاب يقول :(٢)

يارَبَّنا رَبَّ الشَّمال والصَبا ومن سَعَى بالْبَيْتِ أو تَحَصَّبا .
أبعث لَهُ تَحْتَ الظَّلام عَقْرَبا مُصْفَرَّةً تنمي إليه خَبَبا .
تَسُلُّ مَحْجوباً مخيفا نَيْرَبا أكْلَفَ لو مَسَسْتَهُ لأَنْدَبا .
كَأَنَّما تَمَسُّ منه حِرَبا حَتّى إذا خَالَطَهُ فَضَرَبا .
أتاكَ منْهُ سائِلاً مُحَبَّبا فإنْ نَجا فابْعَث عليه القُرْطُبا .
فَمَرَّ يَفْري سَبْسَباً فَسَبْسَبا فَصَّعَدا دِماغَهُ وَصَوَّبا .
وأكلا من لحمه وشَربا جزاءَ خَطّابٍ بما تَحَوَّبا .

وواضح من الأمثلة المتفرقه أنه اسلوب واحد في القصد الى الوصف أو الدعوة على من يكرهه بأن ياتيه مثل الحيّة أو العقرب الذى يصف ، فهو في هذه المقطوعة يتمنّى أن تاتي خطاباً عقرب صفراء ينبئ عن شكلها كلفها وتاباها المعكوفان كانهما حراب موجهة ، فان لم تنفع تلك العقرب فابعث له سيفا حادا يقطعه ارباء .

---

(١) نور القبس : ٨٠.

(٢) المصدر نفسه : ٨٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وانظر اليه يصف ما هو أصغر من الحيّة والعقرب ، فها هو يصور لنا بُرغوثا بقوله :(١)

يا عَجَباً لِلدَّهْرِ ذي الإعجاب ... للأَحْدَبِ البُرغوثِ ذي الأَنياب .
يَلْسَعُ لَسْعَ العَقْرب الدَبّاب ... يَقْفِر بَيْنَ الجِلْد والثِّياب

وقال يدعو على رجل بالرتيلى(٢) وهي جنس من الهوام وقيل حشرة تسكن بطن الأرض :

أبعث له يارب ذات أرْجُلِ ... في فَمِها أَحْجَنُ مِثلُ المِنْجَلِ
دَهْماءُ مِثْلُ العنكبوتِ المُحْوِلِ ... تَأْخُذُه من تحته ومن عَلِ .

والملاحظ في هذه المقطعات الميل الى سهولة الالفاظ وتركيب الجملة والقصد إلى الغنائية ليسهل تداولها بين العامة ، لذا نجد تكرارا في الفاظها وصورها ، وهذا أمر طبيعيّ ، فان وصفه لتلك الزواحف والحشرات لايحتمل التجديد والتوسّع مثل غيره من موضوعات الوصف ففي مقطوعة اخرى عن الرتيلى نجده يقول :(٣)

ابعث له من الرُتَيلى سَقَماً ... مَذْبُوبَةً تبعَثُ فيه أَلَمَا
يَظَلُّ منه لَحْمُه مُقَسَّما ... دهماءَ مثلَ العنكبوت أَيِّما
لم تُبقِ بَعْلاً لا ولم تبق أيِّما ... جَزاءَ خطّاب بما تَأَثَّما

فنلاحظ التكرار في الأسلوب بل وباختيار المعنى والالفاظ الواحدة .

وقد امتد حبّه للطبيعة الى غير الحيات والحشرات الهائمة ، فوصف العصافير قائلا :(٤)

فَلَمّا أصابَتْ عصافيرُهُ ... ولاحت تباشيرُ أوراقِه .
غدا يَفْتري أَنْفاً عازِباً ... وَيَلْتَصُّ ناظِرَ أوراقِه .

---

(١) نور القبس : ٨٠.
(٢) المصدر نفسه : ٧٩.
(٣) المصدر نفسه : ٧٩.
(٤) الحيوان ، ٢/٢٢٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والبيتان غير تامّين في معناهما ، على أن الصورة المرسومة في البيت الثاني تنم عن جمال وإن كان اللفظ غريباً فالطّير يتتبع في كل صباح الأرض التي خلت من الناس ولم يأتها أحد قبله مبتعداً كي يتلذذ بأكل أوراق الشجر النضرة .

ويبدو لنا من المقطوعات التي مرّت بنا أن خلفا يملك العبارة الخفيفة في تركيبها ومعناها ، عبدا معجم الألفاظ القديمة التي تتمثل في مواضع اخرى في شعره ، ويبدو فيها طابع شخصيته المرحة اللاهيّة من خفة الموضوعات الموصوفة والاسلوب الواضح الصريح في طرحها ، وكأنما كان يقولها في بعض الأحيان بداهة دونما تحضير أو معاناة . فلم يظهر براعة في المحسنات البلاغية ، ولم يتكلف في اختيار اللفظ أو المعنى .

وجدانيات خلف :

ومما لاشك فيه أن شخصيّة خلف وان حملت في بعض الأحيان طابع المرح ، فانها شخصيّة انسانية تحسّ بمختلف هموم الحياة ، فقد أجمعت الأخبار على أن خلفاً الأحمر قد ترك في وقت لاحق من عمره – لاندريه – ملامح شخصيته التي ألفها أصحابه ومجتمعه ، ولاسيما في باب الوضع والتريد في الرواية .

يقول أبو علي القالي : "..... فلما تقرأ ونسك خرج الى أهل الكوفة فعرفهم الأشعار التي أدخلها في أشعار الناس".(١)

ويقول أبو الطيّب اللغوي : "... وكان به يضرب المثل في عمل الشعر ..... ، ثم نسك فكان يختم القرآن في كل يوم وليله ، وبذل له بعض الملوك مالا عظيما خطيرا على أن يتكلم في بيت شعر شكوّا فيه فأبى ذلك وقال قد مضى لي في هذا مالا احتاج الى ان أزيد فيه ". (٢)

(١) الأمالي للقالي ، ٠٤٧

(٢) مراتب النحويين ، ٠٤٧

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والحقيقة أننا لا ندري متى كان ذلك ، ولكن المصادر تشير الى أن نسكه جاء في آخر حياته دون تحديد ، ولكن ذلك لاينفي مطلقا أن يحمل صفات الانسان الوجدانية في المدة الأولى التي سبقت نسكه .

أمّا شعره في هذا الباب فقليل لايغني الدّارس لجلاء حقيقة نفسه وما كانت عليه ، ويبدو أن الذى وصلنا في هذا الباب قاله في أحيان نادرة مرّت بحياته كأن يمرض أو يحسّ بقرب منيّته .

ومما قاله لمّا أحس بقرب موته ما ساقه لنا البكرى في كتابه سمط اللآلي قوله :(١)

قَدْ عِشتُ في الدَّهر أَلوانا على طُرقٍ ... شَتّى وقاسيت فيها اللّين والفظعا .
كَلاَّ بلوتُ فلا النَّعْماءُ تبطرني ... ولاتَخَشَّعْتُ من لأوائها جزعا .
لايَمْلأ الهَوْل صَدْري قَبل مَوْقعِهِ ... ولا أَضيقُ به ذَرْعاً إذا وَقَعا .
لا يَبْرَحُ المَرْءُ يَستقري مَضاجِعَهُ ... حَتّى يَبيتَ بأقصاهنَّ مُضْطجِعا (٢)
ولَيْسَ يَبْرح يَسْتَصْفي مَشاربَهُ ... حَتّى يُجَرَّعَ من رَنْقِ البلى جُرَعا .
فامْنَع جُفونَكَ طُولَ اللّيل رَقْدَتَها ... وأَقْدَعْ حَشاكَ لذيذَ الطَّعْمِ والشِبَعا .
وأستشعِر البِرَّ والتقوى بِعُدَّتِها ... حَتّى تنالَ بِهِنَّ الفَوْزَ والرِفَعا .

وتظهر فيها كما نرى صورة التائب الى الله ، الذى يطلب منه الرحمة بعد أن عرف الحياة بمختلف أشكالها ، فهو قد شهدها طولاً وعرضاً عرف المرح واللهو والحياة الليّنة المنعمة ، كما عرف المعاناة والشقاء ، لكنّه يفهم حقيقة هذه الدنيا فهي لاتجعله بطراً جاحداً إذا ما أنعمت عليه ، ولايجزع ذليلا ان صَدّت عنه ، وهو كذلك مؤمن بقضاء الله لايُرهبه وقوعُ الأمر قبل حدوثه ، أمّا اذا وقع فصابر محتمل يقنع بما وقع ، فهو متيقن أنّ ليس بيده أمر نفسه .

---

(١) سمط اللآلي ، البكرى ، تحقيق عبد العزيز الميمني ، ٤١٢ .

(٢) ورد البيت في المصادر التي تحدثت عنه مرضه الذى مات فيه ، انظر : نور القبس ، ٨١ ، الأمالي للقالي ، ١ : ١٥٥ ، معجم الأدباء ، ١١ : ١٦٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وينتقل الى معنى جديد حيث يطلب الى الناس الزهد في حياتهم وأن يقنعوا بالقليل والا يملأوا حياتهم بهموم الدنيا ونومها الطويل ، فليس كالبّر والتقوى يقرّب الى الفوز والرفعة في الآخرة .

ويبدو أن خلفا عانى من المرض قبل موته ، فجادت قريحته بمثل ذلك ، فقد روى أبو علي القالي خبر ذلك حين قال: "..... حدثنا محمد بن عبد الوهاب الثقفي قال : دخلنا على خلف الأحمر نعوده في مرضه الذى مات فيه ، فقلنا له : كيف تجدك يا أبا محرز ؟ فانشأ يقول :

يا أيُّها اللّيلُ الطويلُ ذَنَبُه كأنّ دَيْناً لَك عِندي تَطْلُبُه
أَمّا لِهذا اللّيل صُبْحٌ يَقْرُبُه "(١)

ولعل سبب قلّة شعره في هذه المرحلة من عمره ما ذهب اليه أبو الطيب اللغوى من أنّه رفض قول الشعر المشكوك فيه ، وتخيّر لنفسه جانبا آخر في حياته يختلف عن ذلك الذى مضى .

المديح :

أما المديح فبابه مقفل عنده ، وهذا ما يجعلنا نؤكدّ ما ذهبنا اليه من أن خلفا لم يتصل بالسلطان وحاشيته ، فانه زاهد بهذا الاتصال غير مذكور في مجالسهم أو متردد على ولاة الأمر في مدينته أو غير مدينته ولو كان من الذين اتصلوا بالساسة لكان لاخباره شأن أكبر وأوسع من الذى نراه ، لانه لابد حينذاك أن يمدح فيسجّل ذلك المديح في دواوين الخلفاء ويحفظه الكتّاب والرواة ، لكننا لم نعثر على مقطوعة واحدة يمدح فيها خلف أحدا من اولئك الساسة .

بل إن شيئا في معنى المديح لم يصل إلينا سواء أكان لصديق

(١) الأمالي للقالي ، ١٥٤:١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أم لقريب ، وأظن أن دلالة هذا واضحة ومردّها إلى أنه لم يكن شاعرا مرتزقا أو متكسّبا بالشعر ، فهو قبل أن يقول الشعر عالم راوية ناقد معتز بهذا دونما ابانة عن شاعريته الخاصة .

الشعر المذهبي :

وكما كان انقطاعه عن قول الشعر مادحا ، فانه لم يطلنا له في الغزل ايضا أو الخمريات ، أما السياسة فان القصيدة التي أوردناها في ذكر آل البيت ولعلّها الوحيدة التي ألبست علينا موقفه من دولة الأمويين والعباسيين وقد ناقشناها مفصلاً في هذا الفصل .

أما القصيدة فانها تحمل في ثناياها موقف العلويين من الخلفاء الراشدين ومن تلاهم في صدّهم ورفضهم حق آل عليّ رضي الله عنه، ويبدو فيها عدد من معتقدات شيعة عليّ جلّية واضحة ، لذلك غلبنا أن تكون في باب السياسة لا في المديح ، لأنه انما يتحدث عن صحة موقف عليّ وآله وتكفير من سواهم ، ثم يذكر مناقب عليّ بن أبي طالب في النصف الثاني من القصيدة التي تقع في ست وأربعين بيتا .

واللافت للنظر في تلك القصيدة لغتها وتركيب جملها ، وسهولة معانيها حتى ليفهمها الانسان العادي ، فاللفظ سهل ليس فيه غريب ، كما أن الجمل مترابطة واضحة الفكرة لاتحتاج الى تأويل أو احتمال أكثر من تفسير ، حتى يظنّ الدارس أنها ليست لخلف الأحمر ، ويغلب أنها من الشعر المتأخر عن ذلك العصر ، ويدعم ذلك ما ذهبنا اليه في مناقشة تشيّع خلف ، اذ لايمكن ان تغفل المصادر كلها اثبات ميله السياسيّ وهو خلف الأحمر الراوية المشهور ، كما لاننسى أن خلفا عاش في وقت عصيب مرّ على الشيعة ، وقد ظهر في ذلك عدد من شعرائهم أمثال دعبل الخزاعي والنمّري وديك الجن والسيّد الحميري، فكيف تتفق القصيدة مع كل هذا ، أم أن خلفا كان يخفي تشيّعه عن كل الناس ، وعليه فاني أعتقد أن القصيدة موضوعة على خلف .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أما الرّواية التي وصلت الينا في خبر القصيدة ، فانها تحتاج الى وقفة نمحص فيها أمر رواتها وامكان قبول نصّها .

أمّا العتبي[١] فمحدث وأخباري من حضرمي الدولتين الأموية والعباسية ، واتصل بخلفاء الدولة العباسيّة وامرائها ، واكثر من نقل الأخبار عنهم ومن مجالسهم وهو شاعر أيضا ، بصري النشأة ، وقد توفي سنة ثمان وعشرين ومائتين .[٢] أي انه بقي بعد موت خلف ثمانيا واربعين سنة ، وهي سنين طويلة ، تجعل فارق العمر بن خلف وبينه كبيرا ، الأمر الذى يجعلنا نشك في الخبر من وجهين آخرين وهما :

ان أبا عبد الرحمن محمد بن عبيد الله العتبي كان مطعونا في خلقه ، فقد ذكر ابن خلكان :"..... وكان مستهترا بالشراب ، ويقول الشعر في عتبه ".[٣]

وقد مرّت بنا مقطوعة شعرية لخلف يهجو بها أحدهم بسبب التصحيف الذى وقع فيه ومطلعها :

لَنا صاحب مُوَلَعٌ بالخلاف كثير الخَطاءِ قليلُ الصَّوابِ

وقد ذكر الخالديان[٤] ان المقصود في الهجاء هو الفيض بن عبد الحميد الوزير الذى عرف عنه التصحيف ، وكان خلف يهجو ويمقت المصحفين من الوزراء وغيرهم لما عرف من أمر دقته وصحة علمه . وفي موضوع آخر قيل أنّ خلفا قالها في هجاء العتبي[٥] فإذا صحّ

---

(١) انظر : ترجمته ١. وفيات الأعيان ، ٣٩٨:٤ ، الفهرست ١٣٥. المعارف : ٢٣٤ ، الأنساب للسمعاني : ٣٨٣.

(٢) الفهرست : ١٣٢ ، وفيات الاعيان ٤ :٤٠٠.

(٣) وفيات الاعيان ،٣٩٨:٤ ، وعتبه امرأة كان يقول فيها الشعر متغزلا وقبل ان اسمه ارتبط بها.

(٤) شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف: ٢٣ — ٢٥.

(٥) معجم الأدباء ، ١٦ : ١٦١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الثاني فان رأى خلف في العتبي يتفح من المعاني المطروحة في قوله :

ولَيْسَ من العِلْمِ في كَفِّه إذا ذكروا العِلْم غَيْر التُّراب
أَضاليلُ جمعها شَوكَرّ وأُخرى مَوْلَعَةٌ لابن داب

وهذه المهاجاه تدعونا للشك في رواية العتبي الذى ذكرت المصادر انه كان يخطيء في بعض قوله[١]، وقد ذكره الجاحظ بمثل ذلك أيضا.[٢]

أما ابو العيبثاء الذى ورد ذكره في رواية الحموى[٣] فيقول : أن الأبيات الآنفة الذكر قد قالها خلف في هجائه ، وهذا غلط واضح ، اذ كانت ولادة أبي العنياء سنة ١٩١ هـ، برواية ابن خلكان والنديم ، مما يعني نفي لقائهما.

ومما تقدّم نجد لزاما علينا الشك في رواية القصيدة ونسبتها لخلف ، وقد سبق الحديث عن الجانب الأول للشك فيها في معرض حديثنا عن بناء القصيدة عند خلف وأكملنا الحديث بدراسة السند على ما أسلفنا هنا ، وبذلك تخرج القصيدة من ديوان شعر خلف حتى لانلبس الأمر في هذه الدراسة .

المعمار الفني لشعر خلف :

حقيقة واضحة : خلف الأحمر أحبّ الشعر ورواه ، ميّز غثّه من سمينه ، لكنه أحب كذلك قول الشعر ، فانشأ القصائد الطوال والمقطعات والأرجاز .

---

(١) وفيات الأعيان ، ٤:٤٠٠.

(٢) الحيوان ، ١ :١٤٣.

(٣) معجم الادباء ، ١٦ : ١٦١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقول الشعر عند خلف مطلب شان لايتعدّى معارفه الجمة الاّولى حتى لايتعارض وشخصيته العلمية التي تتمثل في الرواية والنقد واللغة ، الاّمر الذى يجعل الحكم ، على شعره أمرا غير متسق اذا قوبل بشخصه الاّول .

ولكنّ الحقيقة الاّساس في قوام شعره أنه — أى خلف الاّحمر — كان يصدر في شعره عن مجموعة من المعارف العربية التي تكوّنت لديه في سنيّ حياته ، وسنرى أثر تلك الثقافات جليّة في النماذج القليلة التي وصلتنا من شعره ، كما سنلحظ الخطوط المتعددة التي نهجها في شعره .

وقد قامت الدراسات النقدية الحديثة على تقسيم الشعر في القرن الثاني الهجرى الى مراحل ثلاث هي :-

- مرحلة المحاكاة : وهي المدة التي بقي فيها الشعراء على اتصال وثيق بالشعر الجاهلي ، ويمكن تسميتها بمرحلة البداوة ، وهي المدرسة التي أبقت على شكل القصيدة الجاهلية .
- المرحلة المتوسطه : وهي مرحلة لاحقة حاولت أن توازن بين فكرة محاكاة القديم ، وبين ما جدّ من الاّحوال التي تشكلت بفعل ظروف متعددة عمّت مدن الجزيرة العربية والعراق .
- مرحلة التجديد : وهذه فئة من الشعراء أخذت بكل أسباب الحضارة وأساليب اللهو والمجون ، كما غيّرت في شكل القصيدة قلبا وقالبا مما جعلها مميّزة لافتة للنظر.

والمراحل الثلاث تتوجّه الى أسباب مخصوصة ، وعوامل مدركة جعلت لكل مرحلة شكلها الذى يميّزها عن غيرها من المراحل، وقد فصّل استاذنا الدكتور حسين عطوان الحديث عنها في كتابه

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

"الشعراء من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية"(١)، متعرضا لأسباب كل مرحلة وذاكرا أهم شعرائها وعارضاً لنماذج من شعرهم تدل على توجههم الذى ذهبوه .

والسؤال الذى يطرح هنا: لأى مدرسة ينتمي خلف الأحمر ؟!

والجواب على ذلك لايمكن تحديده على نمط يمكن معه درس شعر خلف في ناحية واحدة ، لأن خلفا ليس بشاعر وحسب ، والشعر عنده كما ذكرنا مطلب ثان يشكله كما يشاء لما عرف عنه من براعة في ذلك ، ثم ان مواقفه النقدية وحافظته القوية تعطيه قدرة جديدة على محاكاة تلك القصائد التي يحفظها ، لكنه مع تلك المواقف والحافظة رجل يعيش ذات الظروف الحضارية التي تأثر بها الشعراء المجّددون في مرحلتيه التاليتين لمرحلة البداوة والمحاكاة السابقة الذكر.

ولهذا نقول : ان شعر خلف الأحمر لم يكن لينتمي الى هذا التقسيم الحادّ في مراحله الثلاث ، بل ان خلفاً لم يكن ليسعى للانتماء لأيها ،فليس يطلب مشاكلة الجاهليين في بناء قصائدهم لفظا وشكلا ، ولا متخليّا عن ذلك كله ، فقد يقيم قصيدته على الفاظ جزلة قوّية دونما حاجة الى المقدمة الطُللّيّة المطولة التي لا تكتمل الا بعناصر معينة تجعل من القصيدة الجاهلية كاملة الشكل ، ولم يكن ذلك ليصير عند خلف لولا توجهه الخاص في هذه المسألة فنجده تارة بدويا خشنا في ألفاظه ومعانيه وتراكيب جمله ، وأخرى يجرى فيها نفسه على سجيتها باستخدامه اللغة المعروفة والتركيب العادى القوى والشكل الذى لايحتمل البناء المحدد للقصيدة ، كما قد يلهو حينا ثالثا بقصائد عابثة واراجيز خفيفة لأغراض وموضوعات عدّة .

---

(١) انظر : ص ٤٣١ وما بعدها.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وتطبيق ذلك على شعره واضح كل الوضوح برغم القصائد والمقطفات القليلة التي وصلتنا ، فهي تمثل طرائق الشعراء المختلفة آنذاك ، مما يدل على معرفته بتوجهاتهم فكما روى الجاهلي والاسلامي والاموي فانه استمع الى معاصريه من الشعراء امثال مروان بن أبي حفصة وبشار بن برد وأبي نواس تلميذه النجيب .

وهكذا يتضح لنا أن خلفا شهد نمو وتطور الشعر في مراحله الثلاث وكان له رأي في كل مرحلة منها .

اما عن ميزات شعره ، فاننا نستطيع حصرها في عدد من العناصر التي تتشكل منها، فشكلت خصوصيّة لاتقترن بغيره من العلماء الشعراء.

الشاعر البدوي :

ليس القصد من هذا الوصف إطلاقه على خلف الاحمر ، فهو قبل أن يعترف عناصر البداوة آنذاك ، رجل فارسيّ له من فارسيته جذور حضاريّة جاء بها الى مدينة عربيّة اختلطت فيها عناصر متعددة من المجتمع الاسلامي آنذاك ، لكنه بخبرته ودرايته وبحثه وطلبه للمعرفة استطاع ان يخرج من هذا الطوق الى البادية متلمسا مجتمعها وأخبارها وأشعارها وطبيعتها.

وخير مثال على ذلك ، مجموعة المقطعات التي أوردناها في وصفه الحيّات والعقارب وبعض الحشرات المختلفة ، وصفا يمثل تلك البيئة الخشنة القاسية الموحشة ، ويزيد على معانيه ألفاظ وتراكيب تدل عليها ، فانظر الى قوله :

أفْعى رحوفُ العَيْن مِطراق البُكر ... داهيةٌ قد صَغُرت من الكِبَرْ .
صِلْ صَفاً ما ينطوى من القِصَر ... طويلةُ الإطراق من غير حَسَر .
مهروتةُ الشّدقين حولا النّظَر ... جاء بها الطّوفان أيام زَخر .
كأن صوت جِلدها إذا أستدر ... نَشيشُ جَمْرٍ عِند طاهٍ مُقْتَدِر .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فالصورة في البيتين الاخيرين نجدهما كثيرا في الشعر الجاهلي، فهم قد وصفوا الذئب حين يكون جائعا قد انهكه التعب بقولهم مهروت الشدقين ، وهو قريب من قول الشنفرى حين وصف الذئب الذى جال الصحراء دون أن يعثر على شيء يأكله :

مُهَلْهَلَةً شِيبُ الوُجوهِ كَأنّهَا قِداحٌ بِكَفَّيْ يَاسِرٍ مُتَقَلْقِلُ(١)

ونرى المعنى والوصف الذى قدمه خلف في البيتين الاخيرين يطابقان صورة الشنفرى مع اختلاف القصد في الطرح بين الاثنين، وقد تأثر — على مايبدو — في قول الشنفرى :

مُهَرَّتَةً فُوهٌ كَأنّ شُدوقَهَا شُقوقُ العِصِيّ كالِحاتٍ وبُسَّلُ(٢)

ومن أمثلة بداوته في الوصف واللفظ ما قاله ايضا يصف أفعى ويدعو بها على عبيد حتى تأتيه فلا تبقي له أملا في الحياة يقول :

أوْ حالِكاً أمّا النهار فكامِنٌ مُتَطَرِّقٌ فإذا رأى لَيْلا سَرى .
في عينِهِ قَبَلٌ وفي خَيشومِهِ فَطَسٌ وفي أنيابِهِ مِثْلُ المُدى .
يَلْقى عُبَيْداً ماشيا مُتَفَضِّلاً مُتَخَلِّقاً قد مَلَّهُ طُولُ السُّرى .
في ليلةٍ نَحْسٍ يَحارُ هُداتُها لا لابساً خُفّاً يَقِيهِ ولاحِذا .

وهو هنا متأثر بصور الشنفرى أيضا حين يقول :

ولَيْلَةٍ نَحْسٍ يَصْطَلي القَوْسُ رَبُّها وأقْطَعُهُ اللّائي بِها يَتَنَبَّلُ .

والملاحظ في قصيدته هذه أن خلفا قد قصد الى ذلك الوصف الخشن والتركيب وتأثر بأوصاف الشنفرى وجمله وألفاظه فصاغ قصيدته في بعض معانيها واستخدم كما رأينا ذات الالفاظ وتأثر بصوره التي تدل بوضوح على ذلك القصد .

---

(١) أعجب العجب في شرح لامية العرب . الزمخشرى : ٢٢ .

(٢) المصدر نفسه : ٢٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولم تقتصر قصائده البدوية على الوصف بل تعداه الى الهجاء، فان القصيدة التي أنشأها في هجاء اليزيدى تحفل بالصور البدوية والخيال البدوى حتى بدت كأنها في شكلها قصيدة جاهلية. غير أن عنصر التجديد في معانيها وصورها التي لم تكن لتخطر ببال البدوى جعلنا نتعرف ما تحويه من مظاهر الفحش واللهو الذى عمّ المجتمع في البصرة وقتئذ.

وأول ما يطالعنا من هذا التأثر مطلع القصيدة التي تكشف لنا ارتباط خلف بعمود الشعر العربي القديم وبالمقدمة الطللية، على انه استخدم المقدمة في هذه القصيدة بشكل مختلف يدل على ذكاء واقتدار. يقول:

إنّي ومَنْ وَسَجَ المَطيّ لـه ... حُدب الذُّرا أذقانُها رُجُفُ
يَطْرَحْنَ بالبَيْدِ السِّخالَ إذا ... حَثَّ النَّجاءُ الرَّكْبَ وازْدَهفوا
وإذا قَطَعْنَ مسافَ مَهْمَهةٍ ... قَذَفٍ تَعَرَّضَ دُونها شَرَفُ

وبعد هذا الحديث عن الرّكب والرواحل، وبعد أن يقسم بهذا الركب الذى سار الى الحجّ، يكرر قسمه بهم وهم يحجون بيت الله الحرام اذ يقول:

والمحرمين بصبوتهم زَجَلٌ ... بفناءِ كَعْبَته إذا هَتفوا
وافَتْ بِهم خُوصٌ مُحَزَّمةٌ ... مِثلَ القِسيّ ضَوامِرٌ شُزُفُ

ومع أن الموصوفين لايمثلون العصر الجاهلي الا أن الابيات تصفهم بالفاظ وجمل تدل على بداوة قاسية، وحياة خشنة فيها رواحل ومسير طويل، أما الحجّاج فان صورتهم تبدو على غير ما يألفه الانسان الحضرى.

وانظر الى خشية الشديد حين يصف اليزيدى وقد همّ باللواط:

لاتُخْطِئُ الوَجْعاءُ الته ... ولا تصدُّ إذا هم زحفوا

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وله جياد لايفرّ طها الاجـ ـلال والمضمار والعلـ ـف
جرد يهان لها السويق وآلب ـان اللقاح كأنها نـ ـزف

فهي معركة حقيقية ،يصوّب البطل الى هدفه فلا يخطئـ ـه ، ولا يأبه في وقتها لأي أمر آخر كالطعام أو غيره .

ومثال آخر يتمثل به خلف الأحمر ، وهو ذلك الشعر الـ ـذى قاله في مرضه الذى مات فيه ، ولعلك تدرك من معانيه وفكـ ـره ما كان من تأثر شديد بمعاني الشنفرى في لاميّة ، فعلـ ـى الرغم أنه يطلب في نهاية قصيدته العفو والصفح عما صـ ـدر منه ، ويدعو الى التمسك بالبرّ والتقوى الا أن المعنـ ـى الذى قصدناه واضح جليّ :

يقول :

قد عشت في الدهر .....(١)

أما قالب الشنفرى فمختلف لاختلاف القصد واختلاف المطمـ ـح الذى يقصده كل من الشنفرى وخلف ، فالأول فارس شجاع لايعـ ـرف الا الصحراء وحيواناتها وفرسه ورمحه ، أما خلف فابن مدينـ ـة يطبق تجربة الشنفرى على نفسه من تلون أشكال حياته ومطامحـ ـه فيها ، وهو ليس معلوكا يغزو ويغنم ويفر ويكرّ كما الشنفـ ـرى — وهو من هو في ميدان الغزو وهو الأشعث الأغبر الـ ـذى لايستره في صحرائه الا لباسه الخلق — يقول :

فاني لمولى الصبر اجتاب بزه على مثل قلب السمع والحزم أفعل

---

(١) سمط اللآلي : ٤١٢ ، وانظر الأبيات ص (١٤٨) من البحث .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وأُعدمُ أحياناً وأغنى وإنّما يَنالُ الغِنى ذو البُعْدَةِ المتبذل

ونرى خلفا يستخدم في قصيدته التي مرت البحر البسيط ليملأه بالفاظ رصينة قوية ومعان قد تمثلها الجاهليين في شعرهم ، فهو يتحدث عن فهمه للحياة وقناعته بما يأتيه وبما لايأتيه وقصر حياة المرء، ما يكاد يستصفي أيامه حتى يأتيه المرض فيقعده .

وهذا الذى ذكرناه يدل دلالة واضحة على تمرس خلف على الحياة البدوية ومعانيها ، فهو يمزج ما بين الشكل البدوى القديم للقصيدة وبين معانيه الحديثة وأوصافه الدقيقة التي تميل الى الخشونة والابتعاد عن ترف الحياة ، لان خلفاً — كما يقول — لم يكن ليعيش على نمط واحد من الغنى أو الفقر ، بل إن حاله قد تبدل كثيرا وقد عانى من ذلك دون آن يجزع أو يخاف .

الشاعر المجدّد :

توسعّت في حياته آفاق الحياة الاجتماعية ، ودخلت اليها الكثير من الأساليب الجديدة التي دفعت بحياة الناس الى نقلة حضارية عمّ فيها الغنى والفحش واللهو ..... وغير ذلك الكثير ، مما يشكل بحثا مستقلا في أسبابه وصفاته .

ولسنا ننكر على خلف امتزاجه بهذه البيئة الجديدة فتارة نجده في المسجد يتحلق للعلم وتارة في المنزل شاعر يستمع اليه وأخرى راوية في سوق المربد ..... وهكذا فهو ابن لبيئة البصرة التي عرفت أشكال التحديث الوافدة من المدن الأخرى وممن سكنها من الناس على مختلف أجناسهم واتجاهاتهم المذهبية .

ومع ذلك كله لم يكن خلف منغمسا في سبل اللهو على نحو يوحي لنا بأنه كغيره من الشعراء الذين عاصروه أو جاءوا بعده

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أمثال بشار بن برد وأبي نواس وهذا ما يدل عليه شعره ،اذ لم تصل الى حد الخروج عن المألوف وليس ادل على ذلك من اننا لم نجد له اى شعر في الغزل أو الخمر أو مجالس القيان والطرب ..... وغيرها من مظاهر الحياة الاجتماعية في تلك الحقبة لكنّه — وان لم يمارسها — لم يكن يغفل عن ذكر بعضها كظاهرة اللواط والكذب وهجاء بعض الخطباء أو الشعراء ، فقد أشار الى بعض ما انتجته تلك الحضارة من باب التهكم والسخرية واللهو المشروع .

وقد صبّ خلف تلك المعاني بقوالب مختلفة لم تكن تحمل طابعا واحدا ، ومن هنا جاء عنصر التجديد في شعره ، فقد استخدم في بعضها الالفاظ السهلة والمعان الخفيفة المليحة والوزن الموسيقي أحيانا أو المردّد ببساطة ، بل مال الى الشعبية غير المخلة بالوزن واللفظ كقوله يصف برغوثا:

يا عَجَباً للدَّهر ذى الإعجاب للأحدَبِ البرغوث ذى الأنياب ..
يَلْسَع لَسْع العَقْربِ الدَّبَّاب يَقفِزُ بَيْنَ الجِلد والثِّياب .

وقوله يدعو على رجل بالرتيلى :

وابعث له يا رب ذات أرجل في فَمِها أحجن مثل المِنْجَل .
دَهْماءُ مثل العنكبوت المُحوِلِ تأخذهُ من تحته ومن عَلِ .

وقولـه :

وحَيَّةٍ مَسكَنُه الرمال كأنَّه إذا أنثنى خِلخال

وعناصر التجديد في هذه الابيات واضحة ، فهي مما انتجته البيئة الحديثه ، مقطعات خفيفة الوزن واضحة المعنى فيها خفّة ودعابه .

أما في الهجاء فقد أبدع خلف ايّما ابداع ، واستخدم الصور والخيالات الحضارية في وصفه وتهكمه اللاذع الذى يدل على تأثره بتلك الحضارة ، فها هو يهجو رجلا أملط بقوله :

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أمُحْرِزُ ما نظرت إليك إلاّ ... ذكرت من النِّساء عَجوزَ لوطِ
أرى شَعْراً بِجَدِّكَ غيرَ حُلْوٍ ... شَبيهاً حينَ يُمشَط بالخُيُوطِ

فهو يشبه محرزا هذا بعجوز لوط ، وانّ الشَّعْر الذى يربيه على وجهه إنما يشبه الخيوط كأنما عجوز لم يعد الشَّعر في وجهه غزيرا ، بل متفرقا عن بعضه لقلته، فهو يستخدم فيها الالفاظ السهلة والموسيقى الداخلية ليسهل تداولها بين الناس .

الا أنه يستخدم في بعض القصائد معاني جديدة فيها ظرف وخبث في قالب قوى والفاظ مصقولة تدل على اقتدار وخيال خصب في جمل ليس فيها اى استخدام لاشكال المحسنات اللفظيّة ، بل تحوي على صور دقيقة تعتمد عامل الحركة والصور الحسيّة ، فهو في هجائه للبزيدى يقول :

أحدا كيحيى في الطعان اذا افتر ... ش القنا وتضعضع الحجف
في معرك تلقى الكمي به ... للوجه منبطحا وينحرف
واذا أكبّ القرن يتبعه ... طعنا دوين صلاة ينخسف

وقوله

ربد . اذا عبقت معابنه ... ذهب السّكون وأقبل العنف
في حقوه عرد تقدمه ... صلعاء في خرطومها قنف
جرداء تشحذ بالبراق اذا ... دعيت نزال وهبّ يرتدف
أوفى على قيد الذراع شد ... يد الجلز في يافوخه جوف
واذا يمسحه لعادته ... ودنا الطعان فمدعس لقف

فهي تشبه قصائد أبي نواس التي تكتظ بالاوصاف والمعاني، بل هي أشدّ من ذلك لما فيها من تصوير حيّ يدلّ على خيال خلف الواسع مع طول القصيدة التي لم يكن يميل اليها الشعراء المجدّدون فيما بعدلاسيّما في مثل المعنى الذى طرحه خلف . لذلك قلنا ان خلفا

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

قد جمع في هذه القصيدة منهجين مختلفين ، يتكيء الأول على اعتماد نهج القصيدة العربية والثاني على التجديد في المعاني والصور.

ويمكن القول ان شعر خلف لم يكن ليميّزه عن غيره سوى هذا الاتجاه الذى اتجهه من استخدام مختلف ضروب القول ، فقد رأيناه بدويا بكل ما تعنيه الكلمة خشنا في جملة والفاظه وصوره ورأيناه مجددا مولّدا لبعض المعاني والصور ومطوّرا لبعض معاني الشعر القديم حتى يتلاءم مع تكوينه الحضارى والفكرى .

والحقيقة آن شعر خلف لم يستوف حقه في الدرس ، على الرغم من قوته وخصبه ، ومردّ ذلك الى ضياع ديوان شعره ، وقلة تعرض الدارسين القدماء لشعره لما شاع عنه من آنه وضاع غير مستوف لشروط الشاعر.

وأستطيع مما مضى اجمال خصائص شعر خلف بعدد من العناصر التالية :-

— ان الصبغة المعرفية من حيث آن خلفاً عالمٌ بالشّعر وروايته واضحة في شعره حيث استخدم الأساليب المختلفة لبناء قصيدته ، وذلك بمحاكاة الشعر الجاهلي والأموى آو استلهام معانيهم وصياغتها على النهج الحضارى والفكرى الذى يعيشه.

— تأثر خلف ببيئته فطرق معانيها ، وآنشد لها مقطعات خفيفة ذات طابع تجديدى سهل لم يخرج عن حدود اللغة القوية المقبولة رغم شعبيّة معانيها.

— يملك خلف خيالا خصبا قويا استخدمه في بعض أشعاره بطريقة ذكية تدل على تصرف بالالفاظ حسب ما يشاء ، فتارة تكون قوية عميقة الدلالة وأخرى سهلة غير متكلفة يصحبها موسيقى تجعل من مقطعته ذائعة يرددها الناس لسهولة حفظها.

— لم يخرج في كل شعره عن حدود الشعر الذى عرفه المجتمع من قبله ، فلم يكن مولعا بالبديع ، كذلك لم يخرج عن قافية الشعر ولم يعددها في القصيدة الواحدة .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

— تميّز خلف في هذه الحقبة بانه شاعر اكثر من وصف الحيّات وقد أجمعت المصادر المختلفة على ذلك ، وهذا يدلّ على ان الذى وصلنا قليل من كثير قاله في الحيات . ولكن الذى يجعل خلفا مميّزا استخدامه تلك الحيّات والعقارب والبراغيث في الهجاء ولم يقصر حديثه عليها في الوصف ، وكان في هذا الموضع ضعيفا غير موفق ، وذلك بأن القصد عنده لم يكن مقنعا وكأنما استخدمها من باب التفسير وعدم التكرار.

— لم يكن خلف أحد الشعراء المداحين أو المتغزلين حتى يظهر براعته الخاصّة في ابراز مشاعره نحو ممدوحه أو من يتغزل به ، والشعر في هذين البابين له ميّزة خاصة تكشف شكل قصيدته وطريقة انشائها بوضوح ، على أن القصيدة التي مرت بنا وقد نسبها العتبي لخلف ، وهي التي يذكر فيها عليا رضي الله عنه الكرام ، تظهر نهجا في بناء القصيدة الا انني قد استبعدتها سابقا من ديوان شعره ولم أدرسها في هذا الموضع لما ضمت من نهج مختلف في الشكل والمضمون.

— لم يأت اتهام خلف بالوضع على الشنفرى وتأبط شرا جزافا ، فقد رأينا في بعض الأمثلة تأثر خلف بالشنفرى ، ومدى ارتباطه بمعانيه وتراكيب جمله ، ويبدو أن عشقه وتأثره بالفاظه وصوره حدّ المطابقة في اكثر من موضع جعل النّاس يؤكدون ما اتهمه بعض أصحابه به .

— ومع حبّه ومحاكاته للشعر الجاهلي ، فقد ظل خلف قريب الوصال مع شعراء عصره ، فاستمع إلى بشار بن برد ومروان بن ابي حفصه وإلى تلميذه أبي نواس وغيرهم ممن سيمرّ ذكرهم في الفصل الرابع إن شاء الله وهذا مايدل

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

على أن شخصية خلف قد أخذت طابعا عاما يتركز جانبها الأساسي على أنه ناقد عالم راوية مقتدر .

— وليس معنى محاكاته الشعر الجاهلي أنه لم يكن مهتما بضروب التجديد في شعر عصره ، فقد أنشأ المقطعات السهلة القصيرة وطرق مواضيع شعراء المجون باستخدام أساليب صريحة في اظهار الفحش والعبث .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

— ١ —

صورة النقد في عصره

لم يكن تدوين العلوم في القرن الثاني الهجرى قد اتسع كثيرا حتى يؤلّف في النقد كتاب منفصل يسجّل توجهات النقاد آنذاك، فقد تناثرت معظم آراء النقاد في كتب لاحقة مما يجعلها ناقصة لاتفطي جوانب البحث في نقد هذا القرن إذ لايمكن أن تجمع تلك الكتب التي تلت القرن الثاني الهجرى كلّ تلك الآراء .

وأول التآليف النقدية المستقلة كتاب ابن سلاّم الجمحيّ (طبقات فحول الشعراء)، الذى تنبه إلى ضرورة جمع تلك الآراء النقدية الّتي تمثل جانبين مختلفين ، الأول : وهو ما اتفق عليه أهل زمانه ومن سبقهم من ضروب النقد الادبي ، والثاني : ما خالفهم به ليسجّل بذلك تقدما على طريق الحركة النقدية ، وبذلك يكون — كغيره ممن تلاه — متأثرا بآراء من سبقه ، من النقاد ناظرا في بعض تلك الآراء لمواكبة حركة الشعر في عصره التي أخذت تتطور نتيجة عوامل كثيرة أدت إلى تباين في المواقف النقدية بين العلماء والشعراء المحدثين .

وابن سلام الذى دوّن توجهات النقد في عصره لم يكن ليجمعها في نسق واحد مما يدلّ على اختلافها وضعف نضجها نتيجة اعتمادها على السجيّة الفردية والذوق العام المتأثر بآراء المجتمع ، كذلك تأثير مجالس الأدب في تلك الأحكام ودور أولي الأمر والسلطان فيها كأن يضطر الناقد الى أن يذهب في حكمه مذهبا يناسب الخليفة أو الوالي .

ويبقى الاطار العام للأحكام النقدية في القرن الثاني الهجرى

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

متأثرا بأحكام النقاد والشعراء الموروثة، آخذا بحتمية التطور التي غيرت بعض مفاهيمهم في درس الشعر القديم وتغير مفاهيمهم التي تتصل بمهمة الشعر والشاعر .

وعليه، فقد اختلف نظر أهل الأدب واللغة الى الشعر، وقد أشار الدكتور احسان عبّاس (١)، الى ذلك الاختلاف بأن قسّم هؤلاء الى أهل نحو ورواة شعر ورواة أخبار ، فها هم أهل النحو يقبلون على الشعر الذى فيه اعراب ، ونفر يجمع الشعر الصعب الذى يكتظ بالغريب ، ورواة يجمعون الشعر القصصي حتى يستشهدوا به في قصصهم ، ورواة أحبّوا جمع الشعر المنتخب في ألفاظه ومعانيه وديباجته ، وهذه الأخيرة كما يقول الدكتور احسان عباس هي التي تصلح للنقد :" الا انّها لاتهتم بالشعر من حيث هو ، بل تتخير منه ما يقوّى قدرة أفرادها على البيان ، وتجعل من الشعر وسيلة الى اتقان الصياغة النثرية (٢)،وهذا يعني أن مفهوم الناقد والنقد اقتصر اتصاله على رواة الشعر الذين لم يجتمعوا في وحدة واحدة تشكل سبيلا لتسجيل مواقفهم .

وهذا ما جعل بعضهم يتقدم البعض الآخر ، إذ نبغ خلف والأصمعي في هذا المجال وتقدموا غيرهم من رواة الشعر ، فهم وإنْ اشتركوا في النظر العام لتوجهات النقد اليسيرة من أهل عصرهم ، فإنهم أدركوا بعض تلك المفاهيم المتقدمة في النقد . وقد سجل الدكتور احسان عبّاس بعضا من مفاهيم الأصمعي تلك(٣)، مثل قوله في معنى الفحولة وقضيّة الفصل بين الشعر والأخلاق والمفاضلة بين الشعراء وتفضيل البيت الواحد على غيره .

---

(١) تاريخ النقد الأدبي عند العرب، ٥٦ — ٥٧.

(٢) المرجع السابق ، ٥٧.

(٣) المرجع السابق ، ٤٩ ومابعدها.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وتكاد منزلة خلف النقدية تعادل منزلته في الرواية، بشهادة أقرانه، فها هو ذا يونس بن حبيب يقول لمروان بن أبي حفصة حين أراد عرض قصيدة له في مجلس يونس :" يا ابن أخي، ان ههنا خلفا ولايمكن أحدنا أن يسمع شعرا حتى يحضر، فاذا حضر فأسمعه ".(١)

ويقول الأصمعي : " ما بلغت الحلم حتى رويت اثني عشر ألف أرجوزة للأعراب، وكان خلف الأحمر أروى الناس للشعر وأعلمهم بجيده ".(٢)

أما الأخفش فيقول : " لم أدرك أحدا أعلم بالشعر من خلف الأحمر والأصمعي ".(٣)

كل ذلك يدل على المكانة التي حظي بها خلف، بل انه تعداها الى القول بانه يتقدم على الأصمعي في النقد، وتذكر المصادر أن خلفا قد علّم الأصمعي النقد، ومن ذلك قولهم : " وكان ـ أي الأصمعي ـ تعلم نقد الشعر من خلف الأحمر مولى الأشعريين ".(٤)

ويوثق هذا الاتجاه أبو زيد الأنصاري حين قدّم خلفا على سواه من علماء العصر، يقول : " أتيت بغداد حين قام المهدي، فوافاه العلماء من كل بلدة بأنواع العلوم . فلم أرَ رجلاً أفرس ببيت شعر من خلف ".(٥)

والفَراسَةُ التي يشير إليها أبو زيد في هذا النص تتصل

---

(١) العقد الفريد ، ٥:٣٠٧.

(٢) المصدر السابق ، ٥:٣٠٦.

(٣) معجم الأدباء ، ١١:٦٧.

(٤) مراتب النحويين ، ٤٦.

(٥) انباه الرواة ، ٢:٣٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

اتصالا وثيقاً بالنقد ، فهي جزء من صنعة الناقد التي تزيد من تمكّنه مما يجعله مدركا لأحكامه .

ويوثق تلك المنزلة كذلك ابن رشيق القيرواني ، يقول: " وأهل صناعة الشعر أبْصَرُ به من العُلماء بآلته من نحو وغريب ومَثَل وخبر، وما أشبه ذلك ، ولو كانوا دونهم بدرجات ، وكيف وإنّ قاربوهم أو كانوا منهم بسبب ، وقد كان أبو عمرو بن العلاء وأصحابه لايجرون مع خلف في حَلبةِ هذه الصّناعة أعني النقد ، ولايشقّون له غباراً لنفاذه فيها وحذقه بها ، واجادته لها ".(١) أي أن خلفا لم يقتصر على علمه بالشعر فهو راوية له وشاعر ركب ضروبه فأتقنها مما جعله أهلا لنقده .

وما كان خلف ليصل الى هذه المكانة المتقدمة في عصره الا بأدوات وسبل لايمكن للناقد أن يستغني عنها ، فقد شق غمار الشعر من أوسع أبوابه وهو الرواية ، تلك التي لم تكن عند خلف حفظ الأشعار وحسب ، بل هي دراية وفراسة وتمرس في صنعة القول فيه ومعرفة ضروبه وحسن مواضعه وقبح أخرى ، على أن ذلك لن يكتمل الا بجمع بقية علوم العربيّة الأخرى كالنحو واللغة والعروض عدا الملكة الخاصة والدربة المتمرسة على قول الشعر وسماعه .

وليس معنى ذلك أن خلفا قد خرج على مقاييس العصر النقدية ،فهو لايستطيع التخلّص من اجماع أهل الأدب أو عامة الدارسين للشعر حول رأي فيه وان اختلف خلف معهم ، اذ ان المعايير التي سيطرت على النقد آنذاك ذهبت مذاهب التأثر بالسابقين مع تطور بطيء في بعضها .

---

(١) العمدة ، ١:٧٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

— ٢ —

النقـــــد والنـاقـــــد

ما النّقد ؟ ومن النّاقـد ؟

سؤالان يكشفان عن فهم خلف لمعنى النقد، ويدلان علـــى قيمة النقد والدّور الذى يضطلع به صاحب الصناعة (الناقد) فـــي هذا العصر.

يقول ابن سلاّم " وقال قائل لخلف : اذا سمعت أنا بالشعـــر استحسنه ، فما أبالي ما قلت فيه أنت وأصحابك . قال له : اذا أخـــذت أنت درهما فاستحسنته ، فقال لك الصّراف انه ردىء ، فهل ينفعـــك استحسانك اياه ".(١)

ولم يكن خلف ليأخذ هذا المنحى في اجابته لولا ادراكـه وأهل زمانه من علماء الشعر ونقاده أن بيدهم صنعة لايمكن تجاهلهـــا على نحو ما ذكر السائل ،فالناقد مرحلة مهمة من مراحل قبـــول الشعر ، وهو الحكم على جودته كما الصرّاف الذى يميز الدّراهـــم حتى يخرج منها الفاسدة التي لاتقبل التداول ، أى أنه القـــرار الحسم في مسألة القبول والرفض .

إذن ، النقد صنعة تجعل صاحبها قادرا على سماع الشعـــر وقبول جيّده وردّ رديئه ، دون اشارة الى عناصر القبول أو الـــرّد، وكأنما قصد الى ابقاء المسألة معلقة ومرتبطة بحسّه الخاص ، وذوقـــه الفردى مـــا سبق لنا الحديث عن الأدوات دون تبرير ذلـــك، أى أن الناقد يستطيع الحكم على شعر شاعر بأحكام تمتزج بمـــا ورثه عن فحول الشعراء السابقين .

وتأتي أهمية النّقد عنده بَعْـد الشّعر ، أى أن خلفـــا يُدرك أنّ الشاعر ـ حين ينشد الشعر ـ لا يأبه بأقوال النقـــاد،

---

(١) طبقات فحول الشعراء ، ٠٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولايمكن وصفه بالمجّود إلاّ برأيهم واستحسانهم لهذا الشعر، وهذا رأى موضوعيّ يجعلنا ندرك أن خلفا كان يعلم منزلة الشاعر المجوّد الذى ما صار مجوّدا فاشتهر امره الا بعد ان آشار اليه العالمون بالشعر.

وتظل مسألة قبول الناقد للشعر مسألة تائهة تخضع للذوق العام والخاص المتصل بالناقد مما قد يؤثر على الشاعر في مواضع كثيرة كأن يكون حكمه بتضعيف موضع ما من قول شاعر فيذهب معمما بذلك على شعره كله وما سيأتي منه مستقبلا .

ومع كل ذلك ، فان خلفا لم يعمّم تلك المسألة على نحو مستهجن اذ لم يطلق أحكامه — كسابقيه — الخاصة بالقدم والحداثة أو صلة الأخلاق بالشعر ، فقد انتصر لشاعره الأقرب الى نفسه وهو الأعشى ، كما انتصر لصاحبه بشار بن برد وتلميذه أبي نواس .

ولا أغالي ان قلت أن خلفا لم يقصد في قوله السابق الى أن النقد صناعة وحسب ، بل أراد تأسيس حركة نقدية لايجاد حدّ واضح للناقد ، وتحسّس حاجة أهل الأدب والشعر اليه ، فهو وان اشار الى تفرد الناقد وتميزه ؛ انما رأى الناس يخوضون في الشعر كيفما اتفق مما ألزمه هذا التمييز ، حتى ذهب معنى النقد عند العرب الى أنه نقد الدينار على نحو ماذهب اليه خلف .

ومن مقاصد القول كذلك أن صناعة النقد لاتستقيم الا بأدوات معيّنة أشرنا الى بعضها فيما سبق ، وهي عناصر تتصل بثقافة الناقد عامة ومعرفة خاصة تتصل بالشعر ، وهذا ما جعل خلفا يقيم حوارا حول هذه القضية مع خلاّد بن يزيد الباهلي [1]، فقد سأل خلاّد خلفا : " بأى شيء ترد هذه الاشعار التي تروى ؟ قال له : هل (فيها ما)

---

(١) خلاد الباهلي : خلاّد الأرقط ، مات سنة ٢٢٠ هـ. وكان حسن العلم بالشعر ويرويه . ميزان الاعتدال ، ١:٣٠٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تعلم أنت أنه مصنوع لاخير فيه ؟ قال : نعم ، قال : أفتعلم في الناس من هو أعلم بالشعر منك ؟ قال : نعم ، قال : فلا تنكر أن يعلموا من ذلك أكثر مما تعلمه أنت ".(١)

فهذا قول يضيف الى قوله السابق معاني جديدة ، فهو يدل على أن خلفا قد فرّق بين رواة الشعر ونقاده ، فليس كل راوية ناقدا والأصل أن يكون العكس صحيحا ، فرواة الشعر كثر لايمكن أن يكونوا جميعا مدركين محاسن مواضعه أو ردئيها ، فخلف يجيب على سؤال خلّاد بسؤال آخر يكشف عن فهمه لأسباب الردّ عنده ، فمن الشعر ما هو مصنوع لا خير فيه ، ومعنى ذلك أنه يميل الى أن الشاعر انما يصدر عن بداهة آنية لاتكشف صنعة تقتل حلاوته ، لأن في السجيّة والبداهة جاذبية مستطيبة تفوق جاذبية الشعر المصنوع .

ويكمل مقولته الى طرح سؤال منطقي يدلّل على ادراكه أن النقاد طبقات وهذا ما يجعل الناس تستجمل مالا تستجمله الخاصة ، ومعناه أن الناقد الفذ يتقدم غيره ممن يتعاملون مع الشعر في تذوق الشعر والحكم عليه وبذلك يكون خلف قد أسس قاعدة للنقد ودور الناقد حتى صارت فيما بعد واحدة من سبل أهلها .

فهذا ابن سلّام يقرّ بأن الشّعر صناعة تحتاج إلى أدوات مخصوصة ،يقول :" وللشعر صناعة وثقافة يعرفها أهل العلم ، كسائر أصناف العلم والصناعات : منها ما تثقفه العين ومنها ما تثقفه الأذن ، ومنها ما تثقفه اليد ، ومنها ما يثقفه اللّسان .

---

(١) طبقات فحول الشعراء .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

من ذلك اللؤلؤ والياقوت ، لاتعرفه بصفة ولا وزن ،دون المعاينة ممن يبصره .....

ويقال للرجل والمرأة ، في القراءة والغناء : انه لنديّ الحلق ، طل الصوت ، طويل النفس ، مصيب للحن ، ويوصف الآخر بهذه الصفة ، وبينهما بون بعيد يعرف ذلك العلماء عند المعاينة والاستماع له ، بلا صفة ينتهي اليها، ولا علم يوقف عليه ، وان كثرة الدراسة لتعدى على علم به ، فكذلك الشعر يعلمه أهل العلم به ".(١)

وبذلك يتفق ابن سلاّم مع خلف على أن للنقد آدوات مخصوصة أهمها الدّربة في فهم الشعر ، والتجربة الخاصة في التعرف اليه ، ويزيد الأمر نبوغا ذلك الحسّ الخاص والذوق الرقيق وهذا ما يسمى بالموهبة ولا يكون ذلك كله الا اذا حفظ الناقد الشعر وعلم خصائصه التي تميّزه .

وقد دلّل خلف على تلك الأدوات بلفظة الفراسة ، لذا فاننا نجده ينصح كيان النحوى بقوله :" ويلك . الزم الأصمعي ودع أبا عبيدة ،فانه أفرس الرجلين ببيت شعر "(٢)، وأظن القصد في معنى الفراسة هنا عامّا وليس خاصا.

إذاً، فالنقد في حدّه العام صناعة يمكن للمرء أن يتقنها فيعلّمها ، على أنه يظل مقصرا إذا لم يكتمل فيه حسن الطبع والذوق الخاص .

---

(١) طبقات فحول الشعراء ، ٦ — ٠٧.

(٢) تاريخ بغداد ، ٠٤١٦:١٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

— ٣ —

المفاضلة بين الشعراء

وهي قضيّة نقديّة ورثها جيل القرن الثاني الهجرى عمن سبقهم ، فقد اهتم العرب بأمر المفاضلة بين الشعراء أو الموازنة بين أبيات مخصوصة في شعر شعرائهم فكانت سمة رئيسيّة لكثير من أحكامهم على الشعراء مما جعلها سطحيّة غير معللة تكشف عن وعي موضوعي لمقاصد الشعر ، اذ لايمكن للشاعر أن يصدر عن سمت واحد لايتغيّر ، فاذا ما أبدع في موضع ضعف عنه في آخر.

ولم تكن العرب لتذهب الى مبدأ المفاضلة بوصفها قضية نقدية بل هي مسألة أحبّها الناس فتبادلوها وزوّدوا فيها وذلك بسبب اتصالها بالذوق الفردّى الخاص وقد تتصل أحيانا باجماع الناس كأن يقال إن فلانا من الشعراء أجاد في قوله كذا.....

ويجيء خلف البينا يحمل من هذا التوجّه شيئا يختلف في بعضه عمّا سبقه فنجده مخالفا وموافقا في موضعين مختلفين ، ويبدو أن منطقه العام في هذه المسألة قد تقدم عصره ، اذ آخذ بنظرية التطوّر والحداثة ، ومن ذلك قول ابن سلام :" وشهدت خلفا ، فقيل له : من أشعر الناس ؟ فقال : ما ينتهي هذا الى واحد يجتمع عليه ، كما لا يجتمع على أشجع الناس وأخطب الناس وأجمل الناس . قلت : فأيهم أعجب اليك يا أبا محرز ؟ قال : الأعشى . قال : أظنه قال : كان أجمعهم ".(١)

والنص كما نرى يحمل لنا مواقف خلف من قضيّة المفاضلة ، ويضم — فيما أرى — ثلاث دلالات نقدية تكشف وعيه وتقدمه :

أولها : أن اجتماع الناس على أشعر الناس خطأ اذ لايصير هذا الأمر الى واحد بعينه .

---

(١) طبقات فحول الشعراء ، ٥٤ ، الأغاني ، ٨:٧٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ثانيها: قول خلف من أن الأعشى أعجب الشعراء اليه لايتعارض مع قوله الأول ، فهو لايصدر حكما على غيره بأن يحب الاعشى ، لذلك فهو يفرق بين الميل الشخصي والميل الجماعي ، وهذا ما جعله غير متناقض ، ثم انه يعلل للسائل أمر اعجابه بالأعشى بلفظة واحدة ذات دلالة كبيرة ، وهي قوله : كان أجمعهم .

وثالثها: أن خلفا لايمكنه التخلي عن قضية المفاضلة بين الشعراء، بل والمفاضلة بين البيت الواحد في الموضوع الواحد.

ودلالة الأمر الأول في هذا النص تكشف لنا حقيقة التفكير العقلاني المستقل عند خلف ، فأمر اجتماع الناس على أشعر الناس لا يمكنه أن تتحقق في أى زمان كان ، وأن القضية مرهونة بأسباب كثيرة تجعل مثل هذه الاحكام مغلوطة ، لأن اجتماعهم على أشعر الناس مثل اجتماعهم على أجمل الناس واخطبهم وأشجعهم ، وهذا لايمكن أن يتحقق ، فهو يدرك ويفهم حتميّة التطوّر والتجديد في المجتمعات ، مما يرتب تطورا وتغيّرا في المفاهيم والأذواق والأمزجة ، بل ان الناس لايتساوون في الزمن الواحد في الذوق والمفهوم .

وبذلك يكون خلف بتقريره هذا متقدّم الفهم ، عميق الوعي يتخطى مفاهيم أهل زمانه حول هذه القضية ، وقد رأينا النقاد فيما بعد يأخذون بهذا الرأى فلا يصدرون في أحكامهم عن المفاضلة الساذجة ولايكون حكمهم مطلقا ، على خلاف من سبقهم ، بل أفردوا النقد للقصيدة من خلال مجموعة من الأحكام لاترتبط بشخص الشاعر أو عموم شعره ، ولابمواضع تجويده في البيت الواحد من القصيدة أو في القصيدة كلها ، فلا يقدمونه على ذلك اطلاقا لان الشعر ظاهرة متطورة مثل غيرها من الظواهر في المجتمع .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومع هذه الحقائق الموضوعية ، فاننا نجد خلفا يتاثر بجوّ النقد في عصره ، فهو يفضّل الأعشى على غيره ، ويردّ ذلك الى أنه أجمع الشعراء ،وهو ما يحتمل دلالات كثيرة ، قد تتصل بمعنى أن الاعشى جمع المعاني الكثيرة في شعره ، أو انه حشد المعاني الكثيرة في البيت الواحد ، أو أن الشاعر قد جمع ضروب صنعته من بيان والفاظ وصور وحسن تصرّف ، وأيا كان قصده فان معنى الجمع أو الأجمع في الشعر صفة قوية تعطي الشعر تفوقا وبلاغة يرتضيها أهل العلم بالشعر ويكبرها العامة .

فذروة مطلبه يتمثل بتمكن الشاعر من جمع العناصر السابقة في شعره وهذا ما صدر عنه أيضا ، فقد ذكر الجاحظ أن خلفا قال : " لم أر أجمع من بيت امرئ القيس :

أفَادَ وجَادَ وسَادَ وزادَ وقادَ وذَادَ و عَادَ وأفْضَلْ.

ولا أجمع من قوله :

لَهُ أيْطَلا ظَبْيٍ وساقَا نعامَةٍ وإرخاءُ سِرحانٍ وتَقريبُ تتفلِ(١)

وتفسير ذلك أن خلفا كان يتصل بمقاييس أهل زمانه في المفاضلة بين الشعراء لكنه وبالرغم مما شاع بينهم من ذلك لم يكن يأخذ بها ، وان ذهب لمثل الذى مضى، لأنني اعتقد أن قوله : لم أر أجمع ... لايكون في هذا الذى ذهب الناس اليه وان دارت في فلكها العام، ومعنى أجمع تدلّ على نفسها.

واذا ما طبقنا قوله على بيتي أمرئ القيس نجده يعني جمع المعاني والألفاظ التي تعطي قول الشاعر زخما في رسم مراده ، فالشاعر يجمع الصفات المشهودة لعدد من الحيوانات ليسكبها في صفة حيوان واحد.

---

(١) الحيوان ، ٣:٥٤ ، البيان والتبيين ، ٤ ٥٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولم أجد في باب المفاضلة أمثلة دالة على رأى خلف سوى هذا الرأى السابق ، وهذا يدلّ على قناعات خلف الرافضة لمبدأ المفاضلة ، على أن ابن سلاّم أورد بعض تلك المفاضلات التي قصدها العلماء ، فكان يونس بن حبيب يفضل زهيرا ، وكان الخليل يفضل النابغة ، ويجمع آخرون على تقديم امرئ القيس ، ويجمع غيرهم على تقديم الأعشى .

وكان ابن سلاّم آخذا بالمفاضلة بعناصر حدّدها لنفسه كأن يأخذ بالاجماع السابق أو تحكيم الرأى الخاص ليشكل مذهبا غير معلل في ترتيب منازل الشعراء وطبقاتهم .

ولم نجد ما يدل على وقوع خلف في مثل ذلك حرصا منه على مناقضة ما ذهب اليه غيره ، ولم يكن تفضيله للأعشى الا انسياقا مع مقاييس عصره التي وقع فيها غيره من أمثال الأصمعي خضوعا منهم للعرف السائد في النظر للبيت الواحد أو القصيدة الواحدة .

— ٤ —

القِدَمُ والحداثة

أخذت قضية الصراع بين الشعر القديم والحديث حيّزا كبيرا ومهما في حركة الأدب والشعر في القرن الثاني الهجرى ، وبدأت تظهر حاجة العلماء الى تطوير مفاهيمهم حولها ، وحاجة الشعراء الى مواكبة التغييرات المختلفة في زمانهم .

ولما كان الناس مختلفين في علومهم ، صار لزاما أن يظل هذا الصراع قائما ، فهاهم رواة الشعر وأهل اللغة والنحو والاخباريون يتمسكون بقوة بما ورثوه من الشعر القديم ، فهم يمثلون هذا الموروث من الأدب ولايقدّمون عليه شيئا من انتاج زمانهم ، بل لايمكنهم عقد موازنة بين الطرفين ، فالقديم نموذجهم القوى الرصين الذى لا يصل

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

اليه المحدث مهما علا شأنه واشتهر أمره .

وأمثلة هذا التعصب كثيرة منثورة في مصادر الأدب العربي، وهي في مجملها تحيّز غير معلل، ولا حجة فيه سوى أن ذاك قديم وهو الأفضل والاخر حديث مرفوض وان حسن .

فها هو الأصمعي يستمع لاسحق الموصلي في قوله :

هَلْ إلى نَظْرَةٍ إليكَ سبيلُ ... فيروى الصدّى ،ويَشْفي الغليلُ .
إنّ ما قَلَّ مِنْك يَكْثُر عِنْدي ... وكثيرٌ ممّن تُحِبُّ القليلُ .

فقال : لمن تنشدني ؟ فقال : لبعض الأعراب ، فقال : والله هذا هو الديباج الخسرواني . قال اسحق : انهما لليتهما ، فردّ عليه الأصمعي قائلا : لاجرم والله . ان أثر الصنعة والتكلف بين عليهما."(١).

ويقول ابن الاعرابي : " انما أشعار هؤلاء المحدثين ـ مثل أبي نواس وغيره ـ مثل الريحان يشمّ يوما ويذوى فيرمى به ، وأشعار القدماء مثل المسك والعنبر فكلّما حركته ازداد طيبا".(٢)

ولم يكن ليظلّ حال فئة العلماء في هذا التوجّه على هذا النحو من الجمود المفالط لحتمية التطور ، فقد ظهر عدد منهم مخالفاً لهذا التوجّه ويعود الدّور الأكبر في هذا التغيير الى بعض الشعراء المبدعين ممن فرضوا أنفسهم على ساحة الأدب ، فأقبل عليهم النقاد يستمعون اليهم بوعي أكبر مما سبق ، آخذين بمنهج هؤلاء الشعراء حول ضرورة التجديد أو الحكم على الشاعر بما يستحق من غير التفات لزمانه .

---

(١) فحولة الشعراء ، ٤٨.

(٢) الموشح ، ٣٨٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فهذا المبرد يقول : " وليس لقدم العهد يفضل القائل، ولا لحدثان عهد يهتضم المصيب ، ولكن يعطى كل ما يستحق ".(١)

ويقول الجاحظ : " وقد رأيت أناسا (منهم) يبهرجون أشعار المولدين ويستسقطون من رواها ، ولم أر ذلك قط الا في راوية للشعر غير بصير بجوهر مايروى ، ولو كان له بصرٌ لعرف موضع الجيّد ممن كان وفي أى زمان كان ".(٢)

فالمبرد والجاحظ ممن قاربوا أهل القرن الثاني الهجرى زمانيا، يأخذون على أهل زمانهم مذهبهم في الانتصار للقديم وتقليل قيمة الحديث ، مما يدل على أن رواسب القضية بقيت حتى هذا الوقت على أنها لزمت رواة الشعر ممن يضعف بصرهم به ، فيخضعون لمفاهيم موروثة سادجة .

وما كان ابن قتيبة الا واحدا من الذين تصدّوا لمثل هؤلاء الرواة ، وقد أخذ على عاتقه تفصيل المسألة في محاولة للردّ على المتعصبين من العلماء . يقول : " ولا نظرت الى المتقدم منهم بعين الجلالة لتقدمه ، والى المتأخر منهم بعين الاحتقار لتأخره ، بل نظرت بعين العدل على الفريقين وأعطيت كلا حظه ، ووفرت عليه حقه فاني رأيت من علمائنا من يستجيد الشعر السخيف لتقدم قائله ويضعه في متخيره ، ويرذل الشعر الرصين ولا عيب له عنده الا أنه قيل في زمانه أو أنه رأى قائله ".(٣)

من ذلك نرى أن قضية الصراع بين القديم والحديث كان لها ما يسوغها وان كانت علتها ضعيفة ، فطرفيّ الصراع يمثلان منطلقين متباينين ، الأول متمسك بالقديم الذى يرونه نموذجا

---

(١) الكامل للمبرد ، ١:٢٩٠

(٢) الحيوان ، ٣:١٣٠٠

(٣) الشعر والشعراء ، ١٠ — ١١٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

رصينا قويا يمثل الأصالة التي ينتمون اليها بشكل حتمي،وأن هذا الحديث تطور له أخطاره التي قد تؤذى هذه الأصالة ، والثاني : طرف يؤمن بضرورة تحرّر الشاعر من محاكاة القديم على نحو ما يطلبه الرواة والعلماء من الفئة الأولى ، فهم وان كانوا محتاجين الى القديم يظلّون صورة لزمانهم الحاضر يؤثرون ويتأثرون به .

وخلف واحد من العلماء الرواة النقاد الذين شهدوا بداية هذا الصراع قبل أن يأخذ حدّ الكتابة فيه في القرن الثالث الهجري .

ولعل ما يستوقف الدارس عندما يستطلع رأى خلف الأحمر في الشعر المحدث هو ذلك التباين والتناقض فيه ، ويبدو أنّ قناعة خلف كانت تتجاوز فكرة الانتصار للقديم لقدمه وتضعيف المحدث لحداثته ، وسنرى أنه كان ينتصر لبعض الشعراء المحدثين كبشار بن برد . أما الموقف الثاني فيمثل النزعة السائدة عند علماء العصر ، فنجده يقلل من قيمة وقدر الشعر المحدث كموقفه من الشاعر ابن مناذر الذى سنراه بعد قليل ، وهكذا فان خلفا لايستطيع التخلص من تأثير الاجماع الذى كان عليه علماء العصر مخالفا بذلك قناعاته الموضوعية التي تكشف عنها بعض مواقفه من الشعراء المحدثين .

ونستطيع بسط مجموعة من الأمثلة لنكشف عن انتصاره للقديم ، وفيها ما هو معلل أحيانا أو غير معلل أحيانا أخرى، فقد روى المرزباني عن الاصمعي قال : " جاء رجل الى خلف الأحمر، فقال : اني قد قلت شعرا أحببت أن أعرضه عليك لتصدقني فيه. قال : هات . فأنشده :

رقد النوى حتى اذا انتبه الهوى بعث النوى بالبين والترحال
ما للنوى جدّ النوى قطع النوى بالوصل بين ميامن وشمال

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فقال له خلف : دع مولى ، واحذر الشاة ، فوالله لئن ظفرت بهذا البيت لتجعلنه بعرا ! على أني ما ظننت بك هذا كله ".(١)

كما روى أيضا قوله : " أنشد خلفا الأحمر رجل شعرا له ، فقال له : ما ترك الشيطان أحدا بهذا البلد الا وقد عرض عليه هذا الشعر فما وجد أحدا يقبله غيرك ".(٢)

ونلحظ في الموقفين السابقين أسلوب السخرية والتهكم على الشعراء المحدثين الذين يقصدونه لبيان رأيه ، ففي الموقف الأول يستمع الى أحدهم حتى اذا خلص من انشاده أخذ يذمّه بعبارة قاسية يعقبها بمديح مبطن معناه ان خلفاً لم يكن يظنّ هذا القدر من قول الشعر عند الشاعر ، وفي رفض خلف لهذين البيتين سبب واضح يدلّ عليه تكرار الكلمة الواحدة وضعف المعنى المقصود في البيتين ، وركاكة الجملة والمبالغة في استخدام الألفاظ بغير موضعها وفي ردّه الثاني نجد خلفا يرد بأسلوب تهكمي ساخر على شاعر آخر لم يذكره النص كما لم يذكر الشعر الذى انشده لكن خلف يقرّ بشيطان الشعر فيقول ان شيطان هذه الأبيات لم يجد سوى ذلك الشاعر يقبله منه ، ولا ندرى ان كان رد خلف هذا من قبيل تضعيف الشاعر لحداثته أم لأن الشعر الذى أنشده اياه ضعيف لاخير فيه .

ونحن نعلم أن خلفا زاد على علمه بالشعر أنه كان شاعرا ، وعبارته " ما ترك الشيطان ..... " تدل على ان الشعر لايقوم على

---

(١) الموشح :٥٥٧، وانظر : يتيمة الدهر ،١٤٠:١.

(٢) الموشح : ٥٥٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الصناعة ،بل ان قوة خارجية توحي بالشعر للشاعر ، وهذا معتقد اختلف فيه من قبله ومن بعده ، فمنهم من مال الى ان الشعر صناعة وان الشاعر يدرك صنعته وان المجوّد منهم من يحبّر قصيدته بشكل واع يدل على حسن استخدام للجملة واللفظة والصورة من جملة المعارف التي يعرفها الشاعر وقدرة متفوقة في التصرف بها مما يشكل دربة ودراية في أساليب القول ، ومنهم من مال الى البديهة والسجيّة معتمدا على التأثير الخارجي أولا اضافة الى الادّوات التي تعينه على طرح ما يريد وكأنما يكون الشاعر ما بين الوعي واللاوعي . وخلف يقرّ بالرأى الثاني فيستخدم ذلك للرد على الرجل الذي انشده شعرا.

ونظلّ في دائرة رفض خلف للمحدثين ، فقد ذكر المرزباني قوله : " ووجدت بخط ابن مهرويه ، قال : حدثني العباس بن ميمون، قال : سمعت الأصمعي يقول : حضرنا مأدبة وأبو محرز خلف الأحمر وابن مناذر [1] معنا، فقال له ابن مناذر : يا أبا محرز ، ان يكن امرؤ القيس والنابغة وزهير ماتوا فهذه أشعارهم مخلّدة ، فقس شعرى الى شعرهم . قال: فأخذ صفحة مملوءة مرقا فرمى بها عليه ."[2]. وقد زاد أبو الفرج في الخبر زيادة لاتغيّر في معناه وقصده ، فقد ذكر أن ابن مناذر بعد أن سمع خلفا يردّ عليه على هذا النحو خرج غاضبا وهجاه بعد ذلك .

وفي هذا الخبر يصل الغضب عند خلف حدّا كبيرا ،فلا يقتصر ردّه على ألفاظ تهكميّة ، بل يرمي بطبق مملوء مرقا في وجه ابن مناذر،

---

(١) محمد بن مناذر : انظر ترجمته ، طبقات ابن المعتز، ١١٩ ، الشعر والشعراء ، ٨٤٥ ، الأغاني ، ١٧:٩٠.

(٢) الموشح ، ٤٥٣ ، الاغاني ، ١٧ : ١١ – ١٢ ، معجم الأدباء ،١١:٦٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ليدل على تحقيره الشديد لفكرته التي لم تخرج عن حدود المنطق ، فهو مطلب صحيح يردّ عليه خلف بعصبيّة واضحة غير مستندة الى حجّة أو تعليل.

ولا أدرى ان كان تعصب خلف هذا له ما يسوّغه أم لا؟! ولو كان كذلك لوجدنا له ما يدل عليه ، لان عموم رفض الرواة لشعر المحدثين كان يستند الى خروج الشعراء المحدثين عن عمود الشعر الذى اتبعه القدماء ، أى ذلك الاطار العام وعلى رأسه الخروج على المقدمات الطللية ، وقد علق ابن قتيبة على ذلك بقوله : " سمعت بعض أهل الأدب يذكر أن مقصد القصيد انما ابتدأ فيها بذكر الديار والدّمن والاثار فبكى وشكا ، وخاطب الربع واستوقف الرفيق، ليجعل ذلك سببا لذكر أهلها الظاعنين عنها، اذ كان نازلة الوبر في الحلول والظعن ، على خلاف ما عليه نازلة المدر لانتقالهم عن ماء الى ماء ،وانتجاعهم الكلأ، وتتبعهم مساقط الغيث حيث كان ....."(١) متمما نهج القصيدة الجادة القديمة .

كما يقول ابن وكيع : " إنّ أشعار المولّدين إنّما تروى لعذوبة ألفاظها ورقتها وحلاوة معانيها وقرب مأخذها . ولو سلك المتأخرون مسلك المتقدمين في غلبة الغريب على اشعارهم ووصف المهامه والقفار، وذكر الوحوش والحشرات . ما رويت ، لإنّ المتقدمين أولى بهذه المعاني ".(٢)

فاذا صحّ مأخذهم هذا ، فان ذلك يعني تناقضاً في شخصية خلف الأحمر وازدواجيّة يكشف عنها شعر خلف ، فقد رأينا أن خلفا لم يلتزم عمود الشعر العربي القديم ، ولم يفتتح قصائده بذكر الديار والرحلة ، بل تجاوز ذلك كما فعل غيره من الشعراء المحدثين

---

(١) الشعر والشعراء : ١٤.

(٢) العمدة ، ١:٥٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ممن خرج على نهج القصيدة القديمة ، وهو ما يسلمنا الى ما ذهبنا اليه أول الفصل من أن خلفا لم يكن يقتنع بفكرة رفض المحدث لحداثته .

ولتدعيم ذلك نسوق عددا من النصوص التي تكشف عن اشتراك خلف والشعراء المحدثين زمنه في بعض القضايا التي تنقض مذهبه الأول.

فقد ذكر أبو الفرج قال : " أخبرنا أحمد بن عبدالعزيز الجوهري وحبيب بن نصر المهلبي قالا : حدثنا عمر بن شبه قال : حدثني خلاد الأرقط قال: جاءنا مروان بن أبي حفصة الى حلقة يونس فأخذ بيد خلف الأحمر فأقامه ، وأخذ خلف بيدى فقمنا الى دار أبي عمير ، فجلسنا في الدهليز فقال مروان لخلف : نشدتك الله يا أبا محرز ألا نصحتني في شعرى فان الناس يخدعون في أشعارهم وأنشده قوله :

طرقتك زائرة فحي خيالها بيضاء تخلط بالجمال دلالها

فقال له : أنت أشعر من الأعشى في قوله :

رحلت سمية غدوة أجمالها.

فقال له مروان : أتبلغ بي الأعشى هكذا ، ولا كل ذا.

قال ويحك ان الأعشى قال في قصيدته هذه :

فأصاب حبّه قلبه وطحالها

والطحال ما دخل قط في شيء الا أفسده ، وانت قصيدتك سليمة كلها ، فقال له مروان : اني اذا أردت أن أقول القصيدة رفعتها في حول أقولها في أربعة أشهر وأنتخلها في أربعة أشهر وأعرضها في أربعة أشهر ".(١)

---

(١) الاغاني ، ٩:٤١ ، وقد رواها ابن عبد ربه في العقد ٢:٢٠٧، مختلطة على هذا النحو : لما عرض مروان بن أبي حفص قصيدته التي مدح بها المهدى والتي أولها :
طرفتك زائرة فحيّ خيالها بيضاء تخلط بالحياء دلالها
عرضها على يونس بن حبيب النحوى ، فقال له : يا ابن أخي ، ان ههنا خلفا ولايمكن احدنا أن يسمع شعرا حتى يحضر ، فاذا حضر فأسمعه فجلسنا حتى أقبل خلف الأحمر ، فلما جلس جلست اليه ثم قلت له ما قلت ليونس . فقال : أنشد يا ابن أخي فأنشدته حتى أتيت على آخره . فقال لي : أنت والله كأعشى بكر ، بل أنت أشعر منه حيث يقول :
رحلت سمية غدوة أجمالها غضبي عليك فما تقول بدا لها

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويعقب الدكتور محمد زغلول سلام على هذا الخبر بقوله: " ويعتبر خلف من المهتمين بالشعر القديم ، الذين يفضلون أسلوبه على الشعر المحدث من مثل شعر معاصريه ، وان كان يميل الى مروان ابن ابي حفصة من دونهم ، ويفضل قصيدته التي أشرنا اليها على قصيدة الأعشى ، ولكن مروان لم يكن آخذا باتجاه الشعر الحديث مثل بشار بن برد ، انما كان قديما في شعره ينهج به مناهج العلماء "(١)

وقد وصف الدكتور حسين عطوان هذه القصيدة بأنها خير دليل يوضح طريقة مروان بن أبي حفصة البدوية ، ويقول : " فقد قدّم لها بوصف الطيف وصفا تأثر فيه تأثرا بارزا بالجاهليين، بل تفوق فيه عليهم ،لأنه استحضر كل معانيه ومقوماته بألفاظها وتراكيبها وتشبيهاتها المحفوظة ، وسردها سردا ".(٢)

كما استعرض الدكتور عطوان اجزاء القصيدة التي شكلت — على ما يبدو — ميل خلف الأحمر لتلك القصيدة ، التي طغى عليها اسلوب القدماء ، رغم أن مروان ختمها باسلوب مختلف عمّا جاءت عليه في أولها ووسطها ، وفي هذا يقول الدكتور عطوان: " واذا كان قد أسرف في التقليد في هذا القسم من قصيدته ، فانه

---

(١) تاريخ النقد الأدبي والبلاغة : ٠٩٣.

(٢) الشعراء من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية ، ٠٤٥٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

جنح الى التجديد في القسم الأخير منها ، اذ زاوج فيه بين مديحه للمهدى بالصفات العربية التي تتصل بنسبه وصرامته وعلو همته ، وبين الصفات الاسلامية التي تتصل بتقواه وعدله ونضاله عن الاسلام والمسلمين ، وأضاف اليها انتصارا لحق العباسيين في الخلافة مستظهرا فلسفتهم في ورثة الملك ، وصاغ مديحه في أسلوب ناصع مألوف لاغموض في معانيه ، ولاتعقيد في ألفاظه ومبانيه ".(١)

ومروان بن أبي حفصة شاعر ظل يتمسك بمبدأ المحاكاة للقديم ، أى أنه مقلد ، وهذا يعني تقصيره الحتمي باستثناء الشكل الخارجي للقصيدة واستخدامه الأساليب القديمة التي تكشف عن بداوة شعره ، فلا هو آخذ بالمحدث من حيث المضامين والشكل ولا لاحق بالقديم ، وقد كان الأصمعي يقول :" انه متكلف يشبه زهيرا والحطيئة ".(٢)

وبعد أن استعرض الدكتور عطوان أقوال بعض النقاد في شعر مروان يخلص الى القول إن مروان كان من طبقات متميزة ، بل من المدرسة المتوسطة ، اذ كان يأخذ بمذاهب المتقدمين ، ولايلحق بهم ، ويجارى المحدثين ، ولا يصل اليهم ".(٣)

وتعقيبا على ما تقدم ، نجد تعميما مغلوطا قد وقع فيه الدكتور زغلول سلام حين قال أن انتصار خلف لمروان في هذه القصيدة انما جاء نتيجة لمذهب مروان في محاكاته للقصيدة الجاهلية ، ولكن الناظر في كلام خلف على القصيدة لا يجد مثل ذلك .

---

(١) الشعراء من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية ، ٤٥٨.

(٢) طبقات الشعراء : ٤٥.

(٣) الأغاني ، ١٧: ١١ ، ١٢ ، معجم الأدباء ، ١١:٦٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فهو يقول له أولا : أنت أشعر من الأعشى في قوله :

رحلت سميّة غدوة اجمالها

وهذا الموقف كما يكشف عن نفسه يدل على ان خلفا فضّل مروان على الأعشى ، وهو موقف نادر في هذا الوقت ، فكيف بخلف وهو الناقد الذى يميل الى القديم بل ويفضل من هذا القديم الأعشى الذى قال عنه في موضع سابق أنه كان أجمع الشعراء ، كيف به يقول مثل هذا المعنى الدّال على أن شاعرا من أهل زمانه يفوق الأعشى ، لكننا حين نستكمل الخبر نجد المعنى المقبول الذى يتلخص بأن خلفا استحسن قصيدة مروان هذه ، ورأى أنه أجاد فيها أكثر من الأعشى لمجرد أن الاعشى قال في موضع من قصيدته :

..... فأصاب حبّه قلبه وطحالها

وتعليل ذلك عند خلف أن الطحال ما دخل في شيء قط الا أفسده ، وهي كما نرى قضية مزاجية فردية ، ليس فيها تعليل يتجاوز هذا الحدّ الساذج من التعليل ، على أن خلفا يرى أن قصيدة مروان سليمة كلّها .

وقد يكون مقبولا لو أن خلفا فضّل مروان على غيره من الشعراء من أهل زمانه ،لان الأعشى شاعر قديم يعرفه خلف ، وهذا يعني أن المفاضلة لا تغدو نظرة بسيطة في معنى واحد اخطأ فيه الأعشى كما يرى خلف ، وليس لأن مروان يحاكي القديم ، وان كان في هذه القصيدة آخذا بطريقة القدماء في بنائها ، مما يخرجنا من اشكالية انتصار خلف للقديم لقدمه ، فهو هنا ينتقد الأعشى لخطأ وقع فيه ،وهو استخدام اللفظ المسيء الى التشبيه السليم المقبول.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومما يدعم ذلك، موقفه الذى صدر عنه ازاء الشاعر ابن مناذر حين طلب اليه قياس شعره بشعر النابغة وامرىء القيس وزهير[١]، بل انظر الى خلف وهو ينتصر لأعشى همذان في خبر أبي الفرج الذى يقول : " أخبرني محمد بن الحسن بن دريد، قال : حدثنا أبو حاتم قال : سألت الأصمعي عن أعشى حمدان فقال: هو من الفحول وهو اسلامي كثير الشعر ، ثم قال لي : العجب من ابن دأب حين يزعم أن اعشى همذان قال :

مَنْ دَعا لي غزيلي أربَحَ اللّه تِجارَتَهْ .

ثم قال : سبحان الله . أمثل هذا يجوز على الأعشى أن يجزم اسم الله عزّ وجلّ ويرفع تجارته وهو نصب ثم قال لي خلف الأحمر : والله لقد طمع ابن دأب في الخلافة حين ظنّ أن هذا يقبل منه ، وأن له من المحل مثل أن يجوز مثل هذا ، ثم قال : ومع ذلك ايضا ان قوله : من دعا لي غزيلي لايجوز ، انما هو : من دعا لغزيلي ومن دعا لبعير طال ".[٢]

وخلف اذ ينتصر على هذا النحو فان القول بأن المبدأ الذى سار عليه النقاد في انتصارهم للقديم وهو عدم التزام الشعراء المحدثين بعمود الشعر مبدأ غير واضح فيما مضى من مواقف ، فهو هنا يدافع عن أعشى همذان لانه يستبعد أن يقع مثل قول ابن دأب من الأعشى ، وهو خطأ واضح لايحتاج الى زيادة ، فلا يشبه موقفه من ابن مناذر ، وهذا الذى سقناه يدل على خضوع خلف لمفهوم العصر من ارتقاء بالشعر القديم على المحدث الذى قد يشوبه الخلل من وجهين ، الأول وهو اسلوب بعض الشعراء المحاكين الذين لم يصلوا الى مستوى القديم ، والثاني المحدث الذى خطّ لنفسه نهجا

---

(١) الاغاني ١١:١٧، ١٢٠ ، معجم الأدباء ، ٦٨:١١.

(٢) الاغاني ١٥٨:٥ ، مراتب النحويين ١٠٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لم يألفه العلماء فكان رفضهم اياه نتيجة خروجه هذا.

ومع ذلك نجد خلفا يقرّ برأى شيخ من أهل الكوفة ، يقول : قال شيخ من أهل الكوفة : أما عجبت أن الشاعر قال : " أنبت قيصوما وجثجاثا " فاحتمل ،وقلت أنا أنبت اجاصا وتفاحا ـ فلم يحتمل ".(١)

وظنّي أن خلفا يقرّ للمحدثين بما ذهبوا اليه من اتخاذهم شكلا جديدا للشعر واسلوبا مختلفا في بناء القصيدة ، وليس أدل على ذلك من أنه نفسه نظم الشعر دون التزام بالذى أشار اليه الدكتور محمد سلام حين اعتبر خلفا من المنتصرين للقديم وعليه فضل مروان بن أبي حفصة في قصيدته التي مرّت من قبل ، لان مواقفه لم تكن على نسق واحد.

ولبيان ذلك فاننا نسوق بعضا من أخبار خلف الأحمر مع شاعر التجديد المتفوق بشار بن برد.

وقد كان اللقاء الأول بين خلف وبشار متميزا ، يحمل في معناه الرهبة والخوف التي تمثلت في خلف حين سمعه ينشد شعرا يهجو به أحد الشعراء الذين ذكروه بسوء عند الأمير محمد بن سليمان ، وقد أوردنا هذا الخبر في الفصل الثاني من هذه الرسالة ، ولا حاجة لايراده ههنا ثانية لما فيه من فحش وطول ، وخلاصة الموقف أن خلفا قد سمع ببشار وبعض شعره الذى لم يحمده ، وحين طلب رؤيته وسمع هجاءه على ذاك الرجل ارتعدت فرائصه واقشعر جلده ، وعظم في عينه جدا حتى قال : الحمد لله الذى ابعدني من شرك .(٢)

فلو أن انتصار خلف وهو الذى عاش في منتصف القرن الثاني الهجرى ، أى انه سبق الأصمعي وغيره ، مما

---

(١) الصناعتين : ١٤٨.

(٢) الاغاني ،٥:٤٥ ، معجم الأدباء ، ١١:٦٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يحتم عليه الانتصار للقديم أكثر مما انتصر اليه من جاء بعده ، لما كان موقفه من بشار بن برد غير مردود عليه ، لكنه عظم الرجل حين وجد قريحته الشعريّة وسجيته تجود بمثل الشعر الذى قاله [1] حتى صارت علاقته به جيّدة يرتاد مجلسه ويستمع اليه بل ويكتب عنه ، وهذا ما ساقه ابو الفرج عن الاصمعي " قال : كنت أشهد خلف بن أبي عمرو بن العلاء وخلف الاحمر ياتيان بشارا ، ويسلمان عليه بغاية التعظيم ثم يقولان : يا أبا معاذ : ما أحدثت . فيخبرهما وينشدهما ويسألانه ويكتبان عنه متواضعين له حتى ياتي وقت الظهر ، ثم ينصرفان عنه .

فأتياه يوما فقالا له : ما هذه القصيدة التي أحدثتها في سلم بن قتيبة قال : هي التي بلغتكما . قالا : بلغنا أنك اكثرت فيها من الغريب ، فقال : نعم بلغني أن سلما يتباصر بالغريب . فأحببت أن أورد عليه مالا يعرفه .

قالا : فأنشدناها فأنشدهما :

بَكِّرا صَاحِبَيَّ قَبْلَ الهَجِيرِ ... إنّ ذَاكَ النَّجاح في التَّبْكِيرِ

حتى فرغ منها ،فقال له خلف : لو قلت يا أبا معاذ مكان (ان ذاك النجاح) بكرا فالنجاح في التبكير . كان أحسن . فقال بشار: بنيتها اعرابيّة وحشية فقلت: ان ذاك النجاح كمايقول الاعراب البدويون، ولو قلت بكرا فالنجاح كان هذا من كلام المولدين ، ولايشبه ذلك الكلام ولايدخل في معنى القصيدة ، فقام خلف فقبل بين عينيه ، وقال له خلف بن أبي عمرو يمازحه : لو كان علاثة ولدك يا أبا معاذ لفعلت كما فعل أخي ، ولكنك مولى ، فمدّ بشار يده فضرب بها فخذ خلف وقال :

---

(١) انظر صفحة (٤٦) من الرسالة .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أرفق بعمرو اذا حرّكت نسبته فانه عربّي من قواريـر(١)

فالنص كما نرى شاهد على تعلق خلف ببشار وحبّه لشعره حتى انه كتب عنه بعض هذا الشعر، ولايمكن أن يكتب خلف شعر بشار الا اعجابا به وتقديما له دون انكار لفضل القديم وعلو مقامه عنده ، ثم ان علاقة خلف لم تقتصر وقتئذ على بشار ، بل نجده يتصل بأحد تلاميذه الذى عدّ نموذجا فريدا للخروج على نهج القصيدة العربية الا وهو ابو نواس ، فقد علّمه في بعض مراحله ، مما دعا أبا نواس لرثائه بقصيدتين يعجب بهما خلف أيّما اعجاب ، وهو مثال صريح يدلّل على ميل خلف الى الشعر المحدث .

وخلاصة القول في مسألة القدم والحداثة أن خلفا كان يرى النموذج الأصيل الراقي في الشعر القديم ، فهو أصل النبع الذى ينمو عليه الشعر المحدث ، كما يرى أن تقليد هذا الأصل أمر صعب لايصل بصاحبه حدّ ذلك الأصل ، ومع كلّ ذلك فانه لاينكر على شعراء عصره جهدهم وبراعتهم سواء ممن حاكوا القديم أو من جددوا وأحدثوا شكلا وقلبا للقصيدة العربية ، بل انه اشترك معهم في هذا النسق فتارة نجده محاكيا لنهج القصيدة العربية ، وتارة ينشيء مقطعات خاصة فيها من الحداثة الكثير، غير ملتزم بمآخذ العلماء على شعراء العصر.

— ٥ —

اصلاح الشعر

مرّ بنا نصّ يشير الى تدخل الناقد في تركيب جملة الشاعر، فخلف يشير على بشار بتبديل قوله :" ان ذاك النجاح في التبكير" بقوله :" بكرا فالنجاح في التبكير "، لكنه يرجع عن رأيه حين يستمع رأى بشار بقوله الأول ، وهذا موقف مقبول لايدخل في باب

---

(١) الاغاني ،٣: ٤٤ — ٤٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الاصلاح والتغيير لان الشخصين الناقد والشاعر شاهدان على القـــول ، فاذا ما اتفقا على التغيير من أجل التحسين ، فان الناس تأخـــذ بما آلت اليه القصيدة أخيرا.

لكن الموقف الثاني الذى يدل " على تدخل الناقد فـــي الشعر القديم ، أى شعر من مات من الشعراء ، جديد لم يألفه الناس مـــن قبل ، وقد فعل ذلك خلف حين عرض عليه الاصمعي شعر جرير ، يقـــول: " قرأت على خلف شعر جرير فلما بلغت قوله :

وَيَوْمٍ كأيّهام القَطـــاةِ مُخَبَّب ... إليّ هواهُ غالب لي باطلُـــهْ .
رَزقنا به الصيّدَ الغرير ولم نكن ... كَمَنْ نَبْلُهُ مَحروفةٌ وحبائِلُـه .
فيالَكَ يوماً خَيْرُهُ قبل شـــرّه ... تَغَيَّبَ واشيهِ وأقْصَرَ عاذِلُـه .

فقال : ويله ! وما ينفعه خير يؤول الى شر ؟ فقلت لـــه : هكذا قرأته على أبي عمرو. فقال لي : صدقت ، وكذا قاله جريـــر ، وكان قليل التنقيح مشرّد الألفاظ ، وما كان أبو عمرو ليقرئك الا كما سمع . فقلت : فكيف كان يجب أن يقول ؟ قال : الأجود له لو قـــال :

فيالَكَ يوماً خيرُه دون شـــره .

فاروه هكذا ، فقد كانت الرواة قديما تصلح من أشعار القدماء. فقلت : والله لا أرويه بعد هذا الا هكذا ".(١)

وهذا حق باطل ، منحه خلف لنفسه ، فالأصل أن يظلّ الكلام على حاله ، وأن يبقى كما ورد من مصدره ، وخلف يقرّ بأن القول قد جاء على نحـــو ما رواه الأصمعي ، لكنه يصرّ كذلك على ان في قول جرير خطأ ، وكـــان عليه أن يقول كذا بدلا من قوله كذا ويزيدفي نقده أن يأمر الأصمعـــي بروايتـــه على النحو الذى أصلحه به ، وهذا تدخل مرفوض ، لأن دور الناقد لايصل حدّ التزوير والتغيير في النص ، وحقه أن يشيـــر

---

(١) الموشح: ١٩٨ — ١٩٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الى خطأ الشاعر وحسب ، لكنه يرى أن جريرا كان قليل التنقيح مشرّد الألفاظ السبب الذى جعله يبيح لنفسه ذلك .(١)

وباب آخر من أبواب التعديل على الشعر لايدخل في معنى الاصلاح ، بل يدخل في باب تصحيح الرواية ، وقد عرفه الرواة قديما ، وامثلته كثيرة ، فقد نجد البيت الواحد يروى بأكثر من وجه ، وذلك لأن مصادرهم مختلفة منها ما يكون سماعيّا ممّن رواه على اختلاف مراتب الرواة ،أو أن يأخذه عن الصحف المدوّنة آنذاك ، لذلك سميّ باب التصحيف وقد ساق الدكتور ناصر الدين الأسد أمثلة كثيرة على ذلك في كتابه مصادر الشعر الجاهلي .(٢)

وكان حظ خلف في هذا كثيراً ، فقد مدح بالاحتراس من التصحيف ، كما ذكر ذلك تلميذه ابو نواس ، الأمر الذى أهلّه لتصحيح ما يقع من خطأ في الرواية وفيما يلي بعض الأخبار الدالّة على تصحيح خلف للشعر وقد ساق أبو احمد العسكرى منها :

" صحف الفيض بن عبد الحميد ،وقد ولي الوزارة ، وهو الذى قيل فيه :

كأنّ وفودَ الفيضِ حين تحمّلوا إلى الفَيضِ وافوْا عنده ليلةَ القدرِ

في حلقة يونس فأنشد بيت ذى الأصبع :

غديرَ الحيّ من عدْوا نَ كانوا حيّةَ الأرضِ .

فقال الفيض : كانوا جنّة الأرض (بالجيم والنون) فقال خلف الأحمر يهجوه :

لنا صاحبٌ مُولَعٌ بالخلاف كثيرُ الخطاءِ قليلُ الصّوابِ(٣)

---

(١) انظر : مصادر الشعر الجاهلي ، ٢٤٢.

(٢) المصدر السابق ، ١٧٥ — ١٧٨.

(٣) شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف : ٢٢ ، وقد أوردنا بقية الابيات التي هجا بها خلف الفيض في الفصل الثالث ،ص ( ).

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كما " يقول :". سمعت خلفا الأحمر يقول : أخذت على المفضل الضبي في يوم واحد ثلاث تصحيفات ، أنشد للا عشى :

ساعة اكبر النهار كما شـ د محيل لبونة اعتاما

فقال : (محيل) بالحاء غير المعجمة ، وانما هي (مخيل) بالخاء المعجمة ، وقد ذكر هذا يعقوب من عمله شعر الأعشى، وقال : وهو تصحيف ، وانما هو (مخيل) بالخاء المعجمة ، رأى خالا من السحاب فخشي على بهمه أن تفرّق للمطر أو يضرّ بها فشدّها ، وأكبر النهار ضحى النهار ، يقول : كان صبرهم لنا ساعة بهذا المقدار لأنه يقول بعد هذا البيت :

ثُمَّ دَلَّوا عند الحفيظةِ والصَّبْرِ كما تَطْحَرُ الحبوبُ الجهاما (١)

قال: والبيت الثاني الذى صحف فيه قول المخبل السعدى :

وإذا ألَمَّ خَيالَها طَرِقَتْ عيني فماءُ دُموعِها سَجْمُ .

وانما هو : طرفت ، بالفاء ، فقال خلف : فعرّفته فرجع عنه."(٢)

" وروى بيت امرئ القيس :

نَمَسَّ بأعرافِ الجِيادِ أكُفَّنَا إذا نَحْنُ قُمْنا عن شِواءٍ مُهَضَّبِ

بالسين غير معجمة ،وانما هو :(نمش) والمشن : مسح اليد بشيء خشن يقشر الدّسم ، ويقال للمنديل مشوش ".(٣)

" وقال القالي أيضا في قول الأعشى :

تَرُوحُ على آل المُحَلَّقِ جَفْنَةٌ كجابيةِ الشَّيْخِ العِراقيِّ تَفْهَقُ .

وكان أبو محرز (يقصد خلف الأحمر) يرويه (كجابية السيخ)، ويقول : " الشّيخ " تصحيف ، والسّيخُ : الماء الذى يسيح على وجه

---

(١) التصحيف والتحريف : ١٦٧.

(٢) المصدر السابق ، ١٦٨.

(٣) المصدر نفسه : ١٦٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الأرض ، والجابية : الحوض الذى يجبى فيه الماء اى يجمع وجمعها جواب ، قال الله عزّ وجل : وجفان كالجواب ".(١)

والحقيقة أن التصحيف في الرواية شكل من أشكال النقد الأدبي ، فتصحيح الرواية يحتاج الى تفسير ، وقد رأينا خلفا الأحمر-حين يصحح- يشير الى سبب ذلك ، وهذا أمر ليس باليسير فهو محتاج الى أدوات كثيرة على العالم ان يلمّ بها معتمدا الحفظ السليم كقاعدة لذلك التصحيح ، على أن تعديله الكلمة مرهون أيضا بالخطأ والصواب .

وصورة أخرى من التغيير الذى كان يحدثه خلف في الشعر، وهي صورة تنم عن تلاعب مكشوف لايهدف تغيير الرواية ، بل يأتي من باب كشف قدراته على تبديل كلمة بكلمة او تغيير قافية بقافية وذلك بتبديل الكلمة الأخيرة في بيت الشعر بكلمة اخرى مختلفة الآخر ، وقد روى ابو علي القالي من ذلك قال :" حدثني أبو بكر عن أبي حاتم عن الأصمعي قال : قال يوما خلف لأصحابه :

ما تقولون في بيت النابغة الجعدى :

كَأنَّ مقطَّ شَرا سيفه ... إلى طَرَفِ القُنب فالمَنقَب .

لو كان موضع (فالمنقب) فالقهبلس ، كيف يكون قوله :

لَطَمْنَ بِتُرسٍ شديدِ الصِّفا ... قٍ مِنْ خَشَبِ الجَوْزِ لَمْ يُثقَبِ .

قالوا : لانعلم، فقال : والأبنس .

وقال لهم مرة أخرى : ماتقولون في بيت النمر بن تولب :

ألمّ بِصُحْبَتي وهم هُجُودُ ... خَيالٌ طارقٌ مِنْ أمِّ حِصْنِ .

لو كان موضع " من أم حصن " من أم حفص كيف كان يكون قوله :

لَها ما تَشْتَهي عَسَلٌ مُصَفّى ... إذا شاءت وحُوّارى بِسَمْنِ .

---

(١) المزهر ٢: ٣٥٦ ، الأمالي ٢: ٢٩٦ ، نزهة الألبا : ٥٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

قالوا: لانعلم، فقال وحوّاري بلمص، وهو الفالوذ "(١)

وهكذا نرى خلفا يبيح لنفسه حق التدخل في بيت الشعر والتعديه اذا رأى ذلك مناسبا، أو ان الشاعر أخطأ في جملة أو لفظة، ولم يكن خلف يجوز لنفسه مثل ذلك الا حين أدرك أن لديه دربة خاصة وذوق متميز في فهم الشعر، وقدرة على نظم الشعر تضاهي غيره من الشعراء وقد تزيد، وقد سمي هذا الباب فيما بعد بنقد اللفظ والمعنى، وقد خاض به النقاد كثيرا، فابن قتيبة يقسّم الشعر الى أربعة اضرب:

ضرب حسن اللفظ وجيّد المعنى.
ضرب حسن اللفظ متأخر المعنى.
ضرب حسن المعنى متأخر اللفظ.
ضرب متأخر اللفظ والمعنى.(٢)

ولم يكن خلف آخذا بمثل هذا التقسيم المتقدم، الا انه يعرف مواضع اللفظ الحسن والمعنى الحسن، ويميّز ما هو دون ذلك،

وهذا الجاحظ يأخذ بنظرة تغليب أهمية اللفظ على المعنى فمقولته المشهورة: والمعاني مطروحة في الطريق يعرفها العجمي والعربي والبدوى والحضرى، وانما الشأن في اقامة الوزن وتخيّر اللفظ وسهولته وكثرة الماء وصحة المخرج وجودة السبك، فانما الشعر صناعة وضرب من الصيغ وجنس من التصوير".(٣) وبذلك تكون المرحلة التي أداها خلف مرحلة تأسيس لهذه النظرية وان لم تظهر على نحو ما أظهرها العلماء من بعده.

— ٦ —

احكام عامة أخرى

ومنها انكار خلف للغريب في الشعر، وقد أخذ هذا الموقف

---

(١) الأمالي ١:١٥٧، وقد وردت الثانية في كتاب انباه الرواة ١:٣٤٨.

(٢) الشعر والشعراء، ١٤.

(٣) الحيوان ٣:١٣١ — ١٣٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

على الكميت والطرماح ، يقول المرزباني : " وأخبرني عبد الله بن يحيى العسكرى ، قال : حدثني أحمد بن بشر عن المازني قال: حدثني الأصمعي ، عن خلف ،قال : سمعت رؤبة بن العجاج يقول: لقيت الكميت والطرماح فسألاني عن الغريب ، ثمّ سمعته في شعرهما بعد ".(١)

وله رأى في الصدق والكذب في الشعر ، وان لم يشر صراحة الى الشعر لكنه ينتصر لمبدأ عدم التزام الصدق في الكلام فقد سئل عن عمرو بن معدى كرب أكان يكذب ؟ فقال: كان يكذب في المقال ويصدق في الفعال ".(٢)

ولا يمكننا التوسّع في هذه المسألة ، فهي مجردة قد تتصل بالشعر وقد لاتتصل ، وليس لدينا ما يدعمّها أو يشبهها مما يمكننا من القاء الضوء عليها.

وبعد ، فان الحديث عن خلف الأحمر الناقد لم يزد عن كونه نموذجا لحال رواة الشعر في القرن الثاني الهجرى ، ولم نلمح تميّزا جديدا عنده ، فهو راوية متقن للشعر أكثر منه ناقدا، لذلك لم نجده يخرج عن مفاهيم عصره النقدية ، وظل متأثرا بما يدور من آراء حول الشعر والشعراء وهي نتيجة حتمية بسبب تأثير التراث الشعرى المحفوظ عنده .

لكننا نستطيع القول بأن خلفاً أرسى فكرة لم يعرفها الناس من قبل ، وهي أن النقد صناعة لايعرفها الا اصحابها المتمرسون فيها وأن دور الناقد هام جداً للشاعر لايستطيع الاستغناء عنه وليس كلّ العارفين بالشعر نقادا ، فالناقد المتفوق هو الذى يملك أدواته المختلفة بشكل يحسن معها تمييز جيد الشعر من رديئه ، وان الفراسة هي المحور الأساس في هذه العملية .

---

(١) الموشح : ٣٠٣.

(٢) الكامل ،٢:٢٠٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولا يمكننا أن نطلب من خلف أكثر مما رأينا له في النقد ، لأن حال النقد لم يتجاوز وقتئذ حدود الاشارات والتلميحات السطحيّة غير الدّالة على برهان أو علّة ، حتى تنبّه العلماء بعدها الى ضرورة تأريخ النقد وارساء بعض حدوده ونظرياته التي ظلّت بطيئة السيّر حتى أوائل القرن الرابع الهجرى لمّا وجدت الأسباب الدافعة لها الأمر الذى دفع النقاد الى توسيع نظرياتهم والتفصيل فيها او اضافة الجديد لمواكبة تطوّر الشعر العربي .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

— ١ —

العلوم اللغويّة في عصره

امتاز القرن الثاني الهجرى بجهود كبيرة في مجال حفظ العربيّة ، بالعنايه الدقيقة والحرص الشديد على هذه اللغة ، فقام نفر من العلماء بتقعيد العلوم المتصلة باللغة والنحو .

وقد عرفنا أن قصد هذه الفئة كان له اسباب خطيرة دعتهم الى المحافظة على اللغة العربية من الضياع والضعف ، فبعد أن دخل الاسلام أمم وشعوب غير عربّية ، دخلت الى اللسان العربي ظواهر لم تكن فيه كاللحن ودخول العاميّة سواء عند غير العرب الوافدين من بلاد غير عربيّة ، أو من أولئك العرب الذين اختلطوا بغير العرب ، أو تربوا في بيئة مدنية خالطت حضارة العرب المتجددة .

ولكل ذلك اكتظت البصرة والكوفة بدرس اللغة ، وأخذ العلماء بالاهتمام باللغة ورواية الشعر ، فكوّن العلماء حلقات المساجد التي أخذت جزءا كبيرا من طرائق الاهتمام باللغة والنحو . واشتهر في هاتين المدينتين علماء كان لهم الفضل في تأسيس هذه العلوم .

وتجمع المصادر على أن الاهتمام بالنحو بدأ في وقت سابق بدأه أبو الأسود الدؤلي بطلب من أمير المؤمنين علي بن أبي طالب بعدما سمع اللحن ، ثم قام الدؤلي بتعليم النحو لابنه عطاء ، وأخذ عنه كذلك يحيى بن يعمر (ت ١٣٩هـ) وميمون الأقرن ، وعنبسة المهرى ، وأخذ عن هؤلاء عبد الله بن اسحاق (ت ١١٧هـ) وأبو عمرو بن العلاء ،(ت ١٦٥ هـ) ، كما أخذ عن هؤلاء عيسى بن عمر الثقفي (ت ١٤٩هـ) ويونس ابن حبيب الضبي (ت ١٨٢هـ) وابو الخطاب الأخفش والخليل بن أحمد الفراهيدى (ت ١٦٠هـ) والمفضّل الضبّي .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وخلف الأحمر واحد من أولئك العلماء الذين أخذوا عن الفئة الثانية من علماء اللغة والنحو ، على أنه اشترك معهم في صفة المعلّم بعد مدة من التعلم ، فقد تمازجت طبقات النحاة مما لايمكن تبيّن معالمها بشكل قاطع ، وهذا حال خلف الذى لم تصنفه المصادر في طبقة معينة ، ومردّ ذلك غياب الدقة التاريخية في ذكر سنوات الولادة التي تتصل بعلماء الطبقة الأولى والثانية . فنحن لاندرى على وجه الدقة السنة التي ولد بها خلف .

والأمر الثاني يكمن في إغفال المصادر التي عنيت بطبقات النحاة واللغويين لموقع خلف ، ويبدو أنّ دوره في هذين العلمين كان ضعيفا ، الأمر الذى جعل السيرافي يغفل الترجمة له في كتابه أخبار النحويين البصريين .

ثم إن طبقة خلف من العلماء لم تكن تحمل ذات المكانة في مختلف العلوم ، وهذا أمر طبيعي ، فقد غلب على بعضهم توجهّه للشعر والرواية ، كما غلب على غيرهم اهتمامهم باللغة والغريب ..... أو النحو .

فقد غلبت صفة النحوى على يونس بن حبيب وصفه اللغوى على أبي عمرو بن العلاء والرواية على حماد الكوفي .

صِلَةُ خلف باللغة والنحو :

غلبت عليه صفة الراوية الناقد ، مع أنّه كان شاعرا واخباريا ولغويا ، وهذا وضع لاينقصُ بعضه ، فعلوم العربية كلّ لايتجزأ ، يحتاج بعضه بعضا ، حتى لايصير العالم بالعربية عالما الا بها، فإذا عرفها مال إلى حيث يطلب لنفسه ، ويصير إلى تزيّد وتوثيق هذ المطلب ، وعليه فان خلفا طلب علوم العربيّة في أول عمره ، ثم أُخِذَ يتوجّه إلى الرواية والنقد حتى صار معروفا بهما .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولم يكن ليصل إلى مرتبة بعض أقرانه في اللغة والنحو أمثال عيسى بن عمر الثقفي أو الأصمعي أو أبي زيد الأنصاري وغيرهم ممن اهتموا بدرس اللغة والنحو وكانوا شيوخ حلقات يعلمون الناس ، ويقبلون على جمع الألفاظ ويهتمون بتركيب الجملة العربية .لكن خلفا الاحمر لم يكن من شيوخ حلقات اللغة والنحو ، وسنرى أن ذلك يعود الى أسباب مخصوصة جعلته يعزف عن التخصص في هذين العلمين .

وكغيره من أبناء البصرة جلس خلف الى شيوخ العربية في عصره ، فقد ذكر أبو الطيب اللغوي[1]، أن خلفا كان أخذ النحو عن عيسى بن عمر ، كما أخذ اللغة عن أبي عمرو بن العلاء ، وهما عالمان موثقان درس عليهما كثير من علماء البصرة والكوفة ممن عرفوا في النصف الثاني من القرن الثاني الهجرى .

أمّا عيسى بن عمر[2] فعالم بالنّحو ، وله قراءة مشهورة ، وقيل أنّه صنف كتابين في النحو ، أولهما (الجامع) والثاني (الاكمال) ولم يصلا الينا .

أما أبو عمرو بن العلاء فواحد من أشهر علماء اللغة والقراءات وقيل :" كان سيّد الناس وأعلمهم بالعربية والشعر ومذاهب العرب "[3] وقد أفاد منه خلف والأصمعي وأبو عبيدة وأبو زيد الأنصاري وغيرهم.

ولم يقتصر علم خلف على شيخيه السابقين ، فقد نشأ في البصرة التي احتوت علماء في اللغة والنحو ، كان لهم دور كبير في تعليم الناشئة من المتعلمين ، وكذلك العلماء الذين رغبوا في الاستزادة ، فقد روي أن خلفا جلس في حلقة أبي زيد الانصاري

---

(١) مراتب النحويين ، ٨٠ . وانظر : نور القبس ، ٥٠.

(٢) انظر : مراتب النحويين ، ٤٣ ، نزهة الألبا ، ٢٨.

(٣) مراتب النحويين ، ٣٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يأخذ عنه النحو، يقول السيرافي :" وذكر أبو العباس قال : حدثني أبو بكر القرشي - شيخ من أهل البصرة - مولى لقريش . قال : سمعت قوما يذكرون أبا زيد في حلقة الأصمعي ، فساعدهم على ذلك ، ثم قال الأصمعي : رأيت خلفا الأحمر في حلقة أبي زيد "(١)، وقد عرف أبو زيد بتوجهه الى النحو ، حتى سمّي : أبو زيد النحوى .(٢)

فخلف يجلس للدرس على أبي زيد مع أنه كان يصغره سنا ، مما يدلّ على جلوس العلماء الى حلقات غيرهم علّهم يفيدون منها ، فهذا عيسى بن عمر الثقفي يجيء مجلس أبي عمرو بن العلاء يجادله في قول سمعه عنه يجيزه ، فيختلفان ثم يرسلان بخلف واليزيدى ليثبت كل واحد منهما مذهبه في الجملة بتحكيم الجلة بعض البدو والأعراب في المدينة .

ودليل ذلك أن خلفا انكب على درس اللغة والنحو في حلقات علماء البصرة ، سواء أكانوا شيوخا أم أقرانا .

لكن شغفه بالمزيد جعله يخرج الى البادية لتلقي أصول اللغة والاخبار ورواية الأشعار، فقد روى ابن سلام أنه كان يختلط ببني سعد ويأخذ عنهم ، يقول :" أخبرني خلف أنه سمع أهل البادية من بني سعد ، يروون بيت النابغة للزبرقان ابن بدر :

فَلَسْتُ بِمُسْتَبِقٍ أَخًا لا تَلُمُّهُ ... إلى شَعَثٍ أيُّ الرِّجالِ المَهَذَّبُ(٣)

ويقول : ويروى أن عمر بن الخطاب قال : أى شعرائكم يقول : فلست بمستبق ... قالوا : النابغة . قال : هو أشعرهم (وبنو سعد بن زيد بن مناة تدّعي هذا البيت لرجل من بني مالك بن سعد يقال له نتقه ، انشدناه له خلابس العطاردى .

---

(١) أخبار النحويين البصريين ، ٦٨.

(٢) المصدر نفسه ، ٦٨.

(٣) طبقات فحول الشعراء ، ٤٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وأخبرني خلف الأحمر أنه سمع من أعراب بني سعد لهذا الرجل"(١). وواضح من هذين النصّين أنه اختلط ببني سعد وأعرابهم وأخذ عنهم الشعر ، الأمر الذى يؤكد افادته منهم في اللغة والنحو والغريب والأخبار.

وقد عرف عنه اتقان حفظ لغات العرب ، ومن ذلك تعليق الخطيب البغدادى على الشاهد :

لَعنَّ اللّه يمكنني عليها جهاراً من زهيرٍ أو أُسيدِ

يقول : " وزعم خلف الأحمر أنها لغة لبني العنبر ".(٢)

كما خرج خلف ـ على قلة ذلك ـ الى الكوفة وبغداد ، وزار فيها مجالس العلم وحلقاته ، والتقى بعضا منهم معلّما ومتعلّما، فقد روى ابن قتيبة عن سهل عن الأصمعي أن خلفا قال : رأيت الكميت بالكوفة في مسجد ، يعلّم الصبيان ".(٣)

مكانته في اللغة والنحو:

ولمّا لم يختص فيهما ولم يغلب عليه علمه بهما ، فقد ضمّت ترجمات المصادر لمكانته بهما.

يقول أبو الطيب اللغوى : " وما ازدحم العلم والشعر في صدر أحد ازدحامهما في صدر خلف الا حمر وأبي بكر بن دريد ".(٤)

ويقول أبو علي القالي :" كان أبو محرز أعلمَ النّاس بالشعر واللغة ".(٥)

---

(١) طبقات فحول الشعراء ، ٤٧٠

(٢) خزانة الأدب ، ١٠ : ٤٣٩.

(٣) الشعر والشعراء ، ٢ : ٤٨٥.

(٤) مراتب النحويين ، ١٣٦.

(٥) الأمالي ، ١ : ١٥٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وهذا ابن قتيبة يقول :"..... وكان عالما بالغريب والنحو والنسب والأخبار".(١)

ويقول ابن المعتز :" وكان عالما بالنحو والغريب والنسب وأيام النّاس .... ولم يكن في نظرائه من أهل العلم والأدب اكثر شعرا منه ".(٢)

ويقول القفطي :" خلف الأحمر ..... وهو أحد رواة الغريب واللغة والشعر .....".(٣)

مما سبق من نصوص نستطيع القول إنّ الصفة الغالبة على خلف كانت الرواية ونقد الشعر، ويأتي ذكر علمه باللغة والنحو اضافة تكتمل بها شخصيته العلميّة .

والحقيقة انني استغربت موقف هذه النصوص حين وجدت كلاما للأصمعي يشيد بعلم خلف ولاسيما علمه باللّغة ، مما يدفع المرء الى البحث في أسباب ضياع معالم علمه بهما ، فقد قال الأصمعي :" كأنما جعل علم لغة أَبْنَيْ نزار ، ومن كان من بني قحطان على لغة أَبْنَيْ نزار ، بين جوانح الأحمر بمعانيها".(٤)

ولا يحتاج النصّ الى مزيد من التوضيح، فهو دليل ساطع على الكم اللغوي الذي جمع في صدر خلف .

والأمر الثاني أنّ النصوص السابقة لقول الأصمعي الّذي مضى أهملت حلقة خلف التي كان يديرها في مسجد البصرة ، فقد ذكر اليزيدي أن أبا عبيدة كان يجلس في مسجد البصرة إلى ساريةٍ ، وكنت

---

(١) الشعر والشعراء ، ٢:٦٧٢.

(٢) طبقات الشعراء ، ١٤٧.

(٣) انباه الرواة ، ١:٣٤٨.

(٤) طبقات الزبيدي ، ١٧٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أنا وخلف الأحمر نجلس جميعا الى أخرى .(١)

بل ان بيته كان ملتقى لعلماء اللغة والنحو أمثال الكسائي واليزيدى(٢)، وكان أبو عبيدة يردد قوله : خلف الأحمر معلم الأصمعي ومعلم أهل البصرة(٣)، كما سخر أبو محمد اليزيدى من قول كان يردّده خلف وهو أنّه - أى خلف - علّم الكسائي النحو ، فقال اليزيدى :

زَعَمَ الأحْمَرُ المَقيتُ لدينا ... والّذى أمُّهُ تَقِرُّ بِمَقتِه .
أنّه عَلَّمَ الكِسائِيَّ نَحْواً ... فَلَئِنْ كان ذا كذاكَ فباسْتِه(٤)

ويبدو أن الكسائي جاء الى البصرة طلبا للعلم ، وكان كبيرا، ولقي الخليل بن أحمد فأخذ عنه ، ثم جلس الى يونس بن حبيب ، أما جلوسه الى خلف فلم أجده الا في اشارات اليزيدى السابقة ، ويبدو أن للأمر قصة سابقة ، يقول خلف : " أولمت وليمة فدعوت الكسائي واليزيدى ، فقال اليزيدى للكسائي : يا أبا الحسن . أمور تبلغنا وحكايات تتصل بنا ننكر بعضها. فقال الكسائي : امثلي يخاطب بهذا، وهل من العالم من العربيّة الا فضل بصاقي هذا - ثم بصق - فسكت اليزيدى ".(٥)

ومن يدقق النظر في الموضعين السابقين يلمح مبالغة وتحاملا من جانب اليزيدى ، فالكسائي رأس النحو في الكوفة ، وليس ثمة شاهد على تعليم خلف للكسائي ، كما أن علاقة الكسائي باليزيدى لم تكن حسنة(٦)، وهو ما يظهره فعله معه في بيت الأحمر ، وهزئه من زعم الأحمر حين قال بأنه علم الكسائي النحو .

---

(١) الأغاني ، ١٨:٧٩.

(٢) انباه الرواة ، ٢:٢٦٤.

(٣) نزهة الألبا ، ٥٣.

(٤) الأغاني ، ٢٠:٢٠٠ - ٢٠١ ، معجم الأدباء ، ١١:٦٩.

(٥) انباه الرواة ، ٢:٢٦٤.

(٦) انظر : نزهة الألبا ، ٦٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

من كل ما سبق يمكن القول بأنّ مكانة خلف لغويا شهدت تميزًا وتقديما نظريا ، وقد قلت ذلك لضعف الشواهد على ما سبق من إشارات الأصمعي وأبي عبيدة واليزيدى ، فإذا تتبعنا آثاره في اللغة والنحو لم نجد ما يكفي لاقامة الدليل على قولهم ، إذ لا تعدو آثاره عن كونها إشارات قليلة ومواضع مختصرة تنتشر هنا وهناك .

وليس معنى ذلك أن قلة تلك الآثار دليل على ضعف مكانته وقلّة علمه ، بل هي كغيرها من الأخبار السابقة لم يكن لها حظ في الوصول إلينا مثل ديوان شعره ، فقد أشارت المصادر إلى عنوانين في النحو نسبا لخلف : (مقدمة في النحو) وكتاب (العدد). وسيأتي الحديث عنهما في موضع لاحق .

وإذا ابتعدنا قليلا عن أخباره مع علماء جيله ، وجدنا صورة أخرى ، وهي اختلاط خلف بالأعراب ممن سكنوا البصرة ، فقد ذكر الأصمعي أن عيسى بن عمر الثقفي جاء إلى مجلس أبي عمرو بن العلاء . فقال: " يا أبا عمرو : ما شيء بلغني عنك تجيزه؟ قال : وما هو ؟ . قال: بلغني عنك أنك تجيز : " لَيْسَ الطيبُ إلاّ المسكُ "، (بالرفع) . فقال أبو عمرو: نمت وأدلج الناس . ليس في الأرض حجازيٌ إلاّ وهو ينصب . وليس في الأرض تميميّ إلاّ وهو يرفع .

ثم قال أبو عمرو : قم يا يحيى — يعني اليزيدى — وأنت يا خلف — يعني خلفا الأحمر ، فاذهبا إلى أبي المهديّة فانه لايرفع ، واذهبا الى المنتجع ولقناه النصب فانه لاينصب .

قال : فذهبا أبا المهدّى ، وإذا هو يصلّي وكان به عارض ، واذا هو يقول : اخسآنان عني ، ثم قضى صلاته والتفت إلينا وقال : ماخطبكما .

قلنا : جئناك نسألك عن شيء .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

قال : هاتيا ، فقلنا : كيف تقول : لَيْسَ الطِّيبُ إلاّ المسك ؟

فقال : أتأمراني بالكذب على كِبَر سني ، فأين الجادي ؟ وأين عكا وأين نية الإبل الصادرة ؟ فقال له خلف الأحمر : ليس الشرابَ إلاّ العسلُ ،فقال : فما يصنع سودان هجر مالهم شراب غير هذا التَّمْر ، قال اليزيدي : فلمّا رأيت ذلك منه قلت له : ليس ملاكُ الأمرِ إلاّ طاعةُ اللّه والعملُ بها.

فقال : هذا كلام لادخل فيه : ليس ملاك الأمر إلاّ طاعةُ الله ، فقال : اليزيدي : ليس ملاك الأمر الا طاعة اللّه والعمل بها. فقال : ليس هذا لحني ولا لحن قومي .

فكتبنا ما سمعنا منه ، ثم أتينا المنتجع ، فأتينا رجلا يعقل، فقال له خلف : " لَيْسَ الطِّيبُ الاّ المِسْكَ ".

فلقناه النصب وجهدنا فيه ، فلم ينصب وأبى إلاّ الرّفع ".(١)

وقد ذهب النحويون في قول : (لَيْسَ الطّيب إلاّ المسك) إلى انها تحتمل وجهين :-

الأول : أن تكون لَيْسَ عاملة فتكون الطيب اسم ليس والمسك خبرها وهم من قالوا بالنصب ، وتكون إلاّ : أداة استثناء.

الثاني : اعتبار ليس غير عاملة فتكون الطيب مبتدأ والمسك خبراً وهم من قالوا بالرفع باعتبار إلاّ أداة حصر ، وليس :نافية .

وكما نرى فان خلفا يشارك شيوخه في الاحتكام للأعراب أمثال المنتجع وأبي المهدية ، الذين كانوا مصدرا من مصادر اللغة ، وأخذ عنهما كثير من الناس.(٢)

---

(١) الأمالي ، ٣:٣٩٠

(٢) انظر : الخصائص ، ٣:٣٠٥ ، النقائض ، ١:٤٨٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وكان للأعراب دور في تطور درس اللغة ، وقد فضّل الدكتور الشلقاني في هذا الدور(١)، الذى أثرّ في جمع ألفاظها ولاسيّما غريبها ، وتلقى خلف عن بعضهم فقعدهم وأفاد منهم .

وقد مرّ بنا من قبل لقاؤه أبا ضمضم الكلابي(٢)، أحد أعراب البصرة الذين حفظوا الشعر واللغة ، وقد تزيّد الأعراب في اللغة فمالوا الى التقعرّ والغريب حتى صار هدفهم فيما بعد التعمية على الناس كي يظلّوا يقصدونهم ومحتاجين اليهم. ومن آرائه في الأعراب .

ما رواه الأصمعي عنه قوله : سنة الأعراب أنهم اذا حدّثوا الرجل لغريب وهشوا اليه ومازحوه أيقن بالقرى ، واذا أعرضوا عنه عرف الحرمان ".(٣)

رأيه في درس النحو :

وهناك ملحظ غريب تبدّى لنا من بعض المآخذ التي لزمت خلفا في درس النحو ، ويبدو أن ميله الى الرواية والنقد جعلته يحمل على المتخصصين في النحو ، فها هو يقول لأبي زيد الانصارى وكان لايعدو النحو : قد ألححت على النحو لم تعده ، ولَقَلَّ ما يَنْبَرِلُ منفردٌ به ، فعليك بالشعر والأخبار".(٤)

وهي نظرة تتفق مع زمانهم الذى شاع فيه مبدأ شمولية العالم اذ لم يختصر معارفه على واحد منها ، ويرى خلف أن على العالم الالمام بمختلف العلوم المتصلة بالعربيّة ، وأن من يُلِحُّ على

---

(١) انظر : رواية اللغة ، الشلقاني ، ٧٠ - ٨١.

(٢) أنظر : ص ٦٠ ، من البحث .

(٣) آمالي ، المرتضى ، ٣٩٣.

(٤) البيان والتبيين ، ٢١٨:٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

النحو وحده لايمكن أن ينفرّد فيه ،فالنحو مسائل جامدة لاينبغ فيها عارفها ، اذ لامجال للا بداع فيها ، وعليه فان على العالم تجاوز النحو الى بقية أبواب العربية كالشعر والأخبار فانهما أوسع وأشمل يظهر بهما العالم كفايته .

ويبدو أن الأمر تعدّى توجيه أبي زيد ، فقد هاجم تقعّر النحويين لما رأى خلافاتهم وتعقيد مسائلهم ، فقد ذكر الجاحظ أن خلفا ذم المتقعرين في اللغة . يقول :

وَفَرْقَعْنَ بِتَقْعِيبِهِ كَفَّ قَعْةِ الرَّعْدِ بَيْنَ السَّحَابِ(١)

وقد ساق الجاحظ بيت خلف لذمّ اللحن والقصد الى التقعر .

ويبدو أن موقفه من المتقعرين في اللغة اوقعه في مواقف جعلته يذهب بعيدا عنهم ، فقد قال لأعرابي : ألقي عليك بيتا؟ قال : على نفسك فالقه !(٢)

كما ذكر ابن قتيبة أن خلفا كان يقول :" كنت أرى أنه ليس في الدّنيا رقية الا رقية الحيّات ، فاذا رقية الخبر أسهل ".(٣)

يعني ما يتكلّفه النّاس من الكلام لِطلب الحيلة .

وعليه ، فان التخصص والالحاح على النحو أمر مرفوض ، فهو يرى أن تعرّف الشعر والأخبار أولى ، ثم انه يكره المتقعرين في اللغة ، وهو ما جعله يعزف عن الالحاح فيه .

ويبدو أن تهمة الوضع التي لازمت خلفا في رواية الشعر لم تفارقه في اللغة والنحو ، ومن ذلك ما ذكره البغدادي في الخزانة . قال :" قال الحريري في درّة الغوّاص : " روى خلف الأحمر أنهم صاغوا هذا البناء الى عشار ، وأنشد عليه ما عزى أنه مصنوع منه .

---

(١) البيان والتبيين ، ٢:٢٢١، التقعيب : التقعير في الكلام .

(٢) المصدر نفسه ، ٢:٢٢١.

(٣) عيون الأخبار ، ٣:١٢٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

قُلْ لِعَمْرٍو يا ابْنَ هِنْدٍ ... لو رأيتَ اليومَ شَنَّنا .
لرأتْ عَيْناكَ منهم ... كُلَّ ما كُنْتَ تَمَنَّى .
إذ أتتنا فَيْلَقٌ شَهْ ... باءُ من هَنَّا وَهَنَّا .
وأتت دَوْسَرُ والمَلْـ ... حاءُ سيراً مُطْمَئِنّا .
ومشى القومُ إلى القَوْ ... مِ آحاداً واثْنى .
وثُلاثاً ورُباعاً ... وخُماساً فاطَّعَنّا .
وسُداساً وسُباعاً ... وثُماناً فاجْتَلَدْنا .
وتُساعاً وعُشاراً ... فأصَبْنا وأُصِبْنا .
لاترى إلاَّ كَمِيّاً ... قاتِلاً منهم ومِنّا .

ثم قال : ودلائل الوضع في هذه الأبيات ظاهرة . وكان خلف الأحمر متهما بالوضع ".(١)

— ٢ —

آثاره في اللغة والنحو

سبق الحديث في الفصلين السابقين عن كتابين خلفهما خلف ولم يصلا الينا، وهما (ديوان شعر) وكتاب (جبال العرب وما قيل فيها من الشعر).

وهذان الكتابان انما يتصلان بالشعر والرواية ، أما آثاره في اللغة والنحو فموضع درس يمكن الوقوف عليه من النصين التاليين :-

الأول : ما رواه القفطي في ترجمته لسلمة بن عاصم أبو محمد النحوي يقول : " قال ادريس بن عبد الكريم : قال لي سلمة بن عاصم : أريد أن أسمع كتاب العدد من خلف . فقلت لخلف ، فقال : فليجيء ، فلما دخل رفعه لأن يجلس في الصدّر ، فأبى وقال: لا أجلس الا بين يديك ، وقال : هذا حقّ التعلّم ، فقال له خلف : جاءني أحمد بن حنبل يسمع حديث أبي عوانة ، فاجتهدت

---

(١) خزانة الأدب ، ١:١٧٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أن أرفعه ، فأبى وقال : لا أجلس الا بين يديك ، أمرنا ان نتواضع لمن نتعلم منه ".(١)

والخبر كما نرى يدل على أن الكتاب المقصود لخلف ، والشاهد أن سلمة بن عاصم قد طلب الى ادريس أن يستأذن خلفا في سماع هذا الكتاب ، على أني وجدت محمداً أبا الفضل ابراهيم — محقق انباه الرواة — يشير في هامش النص الى أن وفاة سلمة كانت سنة ٢٧٠ هـ وقيل سنة ٣١٠ هـ(٢)، وهو ما يدل بوضوح على أن النصّ موضوع لاصحة فيه ، فكيف لخلف الذى توفي سنة ١٨٠ هـ ، أن يلتقى سلمة .

بل كيف لكتاب في النحو أن يترك دون ذكر من أهل زمانه أو من ترجم له فيما بعد ، وهو مايدفعنا للشك في هذه الرواية .

والنص كما نرى يدل على أن صاحب الرواية وهو ادريس بن عبد الكريم — مجهول الهوية لم أعثر له على خبر — قصد تعظيم خلف ، وأبان عن منزلته في النحو ، وساق لنا في الخبر لقاء خلف بأحمد بن حنبل الذى قدم على خلف ليتعلم منه ، وهو ما لم أجده في موضع آخر من المصادر التي عرضت لها.

والثاني : وهو كتاب مطبوع كتب عليه : مقدمة في النحو. تأليف خلف الأحمر . قام بتحقيقه عز الدين التنوخي وطبع في دمشق سنة ١٣٨١هـ /١٩٦١م عن مطبوعات مديرية احياء التراث القديم .(٣)

ويبدو أن هذه المقدمة كانت مخطوطة في مديرية احياء التراث قام المحقق بتصويرها إذ إنّها النسخة الوحيدة في خزائن الكتب ، وهو

---

(١) انباه الرواة ، ٢:٥٦.

(٢) انظر : حاشية المحقق ، انباه الرواة ، ٢:٥٦.

(٣) مقدمة في النحو . الغلاف .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ما دعاه لاقامة الدليل على نسبتها لخلف ، وقد استعان على ذلك بعرضها على عدد من اساتذة العربّية أمثال أحمد حسن الزيات والشيخ محمد علي النجار والشيخ محمد يحيى الدين عبد الحميد والدكتور محمد الفحّام .(١)

ثم أورد المحقق بعض الاشارات التي تدل على قدم المخطوطة ، فصفحة العنوان تصّرح بأن المقدمة لخلف الاحمر، وأن مسائل المقدمة كانت تبتدأ بقول : قال خلف الاحمر ، وأن هذا الاسلوب قد تكرر في مصنفات المتقدمين ، كما كان يبتدئ بعد البسملة في فاتحة الكتاب بقوله : ربّ يسّر وأعن بلطفك "(٢)، وهو أسلوب اتبعه سيبويه وابن النديم ، كذلك فانه غلب على المتقدمين حين يستشهدون بالآيات القرآنية قولهم: (قال عزّ وجلّ)(٣)، كما جاء في هذه المقدمة والكتاب لسيبويه على غير ما جاء عند المتأخرين مثل قولهم : (قال الله تعالى) أو (وفي كتابه تعالى).

ثم أخذ المحقق بالحديث عن نصوص المقدمة ، وقال :" أنها بصرية المصطلح والنحو ،ولاينفي هذا أن يكون بعض ألفاظها مما يستعمله الكوفيّون ، فان شيوخ البصرة والكوفة في عصر خلف الاحمر قد استقوا جميعا من منهل القرن الاول ، فخلف الاحمر والكسائي قد أخذا عن يونس بن حبيب ".(٤)

أى أن تداخل مسميّات الابواب عند نحاة البلدين كان مألوفا فبعض البصريين يسمون الجرّ خفضا مثل بعض الكوفيين .(٥)

ويظلّ دفع شبهة نفي المقدمة لخلف قاصرا يحتمل الظنّ في

---

(١) مقدمة في النحو ، ٥ .

(٢) المصدر نفسه ، ٢٩.

(٣) المصدر نفسه ، ٧.

(٤) مقدمة في النحو ، ٨ ، وانظر عون التوزي ، المصطلح النحوي ، ٣٧.

(٥) انظر ذلك ، المصطلح النحوي ، ٩٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أغلب الجوانب الشكلية التي أوردها المحقق ، فآثار قدم المقدمة التي أشار اليها لاتدل على ماذهب اليه ، وربّ قائل يقول : أنّ كل تلك الاشارات انما من صنع كاتبها الذى ظنّ أنها لخلف فابتدأ بجملها بقول : قال خلف الأحمر ، خاصة أن كاتبها متأخر لم نعثر له على ترجمة وافية نستعين بها." وهو محمد بن ابراهيم بن فرج، أحد رجال القرن التاسع الهجرى ، وكان بارعا في العربية والدين .(١)

ويبدو أنّ كاتبها قام بنسبتها لخلف حتى يشتهر امرها.

أمّا عن جملته التي ابتدأ بها بعد البسملة ، وهي قوله :" ربّ يسّر وأعن بلطفك " فلا تدل على القدم ، فهي صيغ للحمد يستعملها المتأخرون والمتقدمون دون تمييز ، وكذلك قوله :" قال عزّ وجل ".

أمّا الجانب الثاني من الأسباب التي جعلت المحقق يقوم بدفع شبهة النسبة فتتعلق بمتن المقدمة ، وهي ما يحتاج الى افاضة وتوسّع في درس أبواب المقدمة حتى نتبين اتجاهات المصطلح النحوى فيها ، وهو ما سنأتي عليه بعد استعراض أقوال المحقق في تقديم المقدمة .

فقد قدّم على المقدمة حديثا مختصرا عن حياة خلف في جوانبها المختلفة ، فأشار الى خلط المصادر التي تناولت حياة خلف من خلال وجود أسماء وألقاب تشبه اسم خلف ولعل أشهر هؤلاء عليّ بن المبارك الأحمر ، النحوى الكوفي ، فقد اشتهر أمره في النحو وتلمذ على يد الكسائي ، وكان رفيقا للفراء ، وقد حضر الى البصرة وناكف سيبويه في مواضع من أبواب النحو، على أن سيبويه كان يكبره سنا.

والخلط بين علي بن المبارك وخلف الأحمر كثير ، حتى صار تخليصه صعبا ، وفي اللغة والنحو خاصة ، وقد أورد محقق المقدمة

---

(١) الضوء اللامع لأهل القرن التاسع ، شمس الدين السخاوى ،٦:٢٧٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أمثلة تدل على ذلك الخلط ، كأن يذكر المؤلف لقب الأحمر فلا يدرى أهو عليّ أم خلف ، فقد جاء في شرح الكافية للاستراباذى :" وقال خلف من الكوفيين : ان عامله كونه مفعولا ".(١) وجاء في همع الهوامع : " ان العامل في المفعول معنى المفعولية : أى كونه مفعولا كما قال في الفاعل : ان عامله كونه فاعلا وعليه خلف ".(٢)

كما وقع في هذا الخلط أصحاب معاجم اللغة ، وعلى رأسهم ابن منظور صاحب اللسان ، وقد جمعت المادة التي اتصلت بخلف فوجدت عددا من المواضع يقول فيها .... الأحمر أو وقال الأحمر ....أو قوله : ابن أحمر ، أما الموضع الذى ورد عن ابن أحمر فقد أهملته لأنه يتصل بعليّ بن المبارك اما قوله الأحمر فانه يعميّ الخبر فيحتمل ردّه الى أى منهما ، على أنه كان يشير في مواضع اخرى بقوله : خلف الأحمر .

وقد خلط ابن هشام بين خلف وعلي ، يقول :" فلمّا حضر سيبويه تقدّم اليه الفراء وخلف ، فسأله خلف عن مسألة ، فأجاب عنها ، فقال له : أخطأت ، فقال له سيبويه : هذا سوء أدب ".(٣)

وهذا وهم وقع فيه ابن هشام حين ذكر المسألة عن خلف ، لأن خلفا بصرىّ ولايمكن أن يناكف سيبويه على نحو ما تقدم ،وأن المقصود عليّ بن المبارك النحوى صاحب الفراء .

ودليل ذلك روايات المسألة في المصادر المختلفة والتي ساقها الاستاذ التنوخي في مقدمته على المقدمة وهي :

رواية أحمد بن يحيى (ثعلب) ومحمد بن يزيد الشمالي (المبرد)، ونصها : " وحضر سيبويه وحده ، وحضر الكسائي ومعه الفراء والأحمر وغيرهما من أصحابه ".

---

(١) شرح الكافية ، ١:١٢٨.

(٢) همع الهوامع ،

(٣) مغني اللبيب ، ١:٨٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

رواية المازني عن الأخفش أنبغ تلاميذ سيبويه :" فلمّا كان ذلك اليوم غدا سيبويه الى دار الرشيد فوجد الفراء والأحمر وهشام بن معاوية ومحمد بن سفيان ".

رواية الفراء أنبغ تلاميذ الكسائي ونصها:" فلمّا حضر تقدّمت أنا والأحمر ....."

ولم يظهر في الروايات الثلاث أنّ الخبر يتصل بخلف اذ لم يذكر أسم خلف الا في رواية ابن هشام .

ولا أنكر أنني وقعت في حيرة بعد ما رأيت موقف المحقق من مسألة نسبة الكتاب ، وتوجّب عليّ طرح الأمر على اساتذتي الأفاضل ، الذين قدمّوا أضواء جيّدة وجديدة كانت خير عون لي في تجميع العناصر التي جعلت المسألة في جانب أطمئن اليه .

كما علمت بأن الدكتور محمود حسني يقوم باعداد بحث حول هذه المقدّمة ، وقد أكدّ لي أنّ المقدمة ليست لخلف ، والميل أنها للأحمر الكوفي فالنحو البصرى أعلى مستوى من المسائل التي وردت في المقدمة . كما أشار الى أن مثل هذا التأليف وهو في تيسير درس النحو ـ كما يدلّ على ذلك اسمه ـ لم يكن قد ظهر في هذه الفترة المبكرة ، بل جاء متأخرا لمّا صارت الحاجة اليه أقوى وأعمّ، ودليل ذلك كتاب سيبويه وأن اتفق الكتاب والمقدمة في مسميات المسائل ، الا أن الكتاب أعمق وأشمل .

موقف من المقدمّة :

ولمّا كان الأمر كذلك حاولت فيما يلي ذكر نتائج المسألة عندى دون ترجيح صارم لنسبتها لأحد بعينه .

أولها: إغفال المصادر التاريخية والأدبية والنحوية هذا الكتاب ، فلم أجد فيما راجعت من المصادر المختلفة ذكرا لهذه المقدمة ،

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وهذا أمر يتناقض مع المنطق ، فإنّ المصادر قد أشارت إلى الكتب التي ألّفها خلف الأحمر مثل ديوان شعره وكتاب جبال العرب وما قيل فيها من الشعر.

ثانيها : لم يشتهر أمر خلف الأحمر مؤلفاً في النحو أو معلماً له ، بل ذكرت جلّ المصادر أنّ الرجل علم من أعلام الرواية والنقد ، وأنّ الّذي اشتهر في النحو أيامه هو علي بن المبارك الأحمر الكوفي .

ثالثها : كيف لخلف أن يخطيء في شعر وهو البارع المتقدم في الرواية فقد ورد في المقدمة في باب تفسير النصب : " وما طَرْح الخافض كقولك : ليس خارجا زيد ، ليس قاعدا محمد ، والمدح قال الشاعر :

لايَبْعَدَنَّ قومي الذين هُمُ سُمُّ العُداةِ وآفةُ الجَزرِ"(١)

وقد أورد المحقق أن الشعر لشاعرة وليس لشاعر وهي الخرنق بنت بدر بن هفان ترثي زوجها بشر بن عمرو وبنيها ، وقد وردت الابيات في الكتاب وعزاها سيبويه لخرنق بنت قيس ، ونحن نتفق مع المحقق في هذا الخطأ الذى يعجب قبوله ممن راوية للشعر مثل خلف .

بل إنّ مؤلف المقدمة لم يكن يورد اسم الشاعر الذى يستشهد بشعره الا في مواضع قليلة جدا ، والأكثر أن يقول : قال الشاعر ، وهذا ما يجعلنا نثبت أن مؤلفها ضعيف الرواية قليل التمكن من الشعر والشعراء.(٢)

---

(١) المقدمة ، ٥٧ — ٥٨.

(٢) انظر : الخبر ، المقدمة ، ٩٨ — ٩٩، وكذلك تعليق المحقق .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

رابعها: ان التوجه الذى اختطه اساتذتي في تمحيص الكتاب يدلّ على أن التأليف في مثل هذا التيسير متأخر، اى أنه لم يعرف في هذا الوقت من التاريخ وقد ملت الى هذا القول لأنه يتفق مع معطيات درس النحو الذى اقترن بتأليف الكتاب لسيبويه، ولايمكن أن تتم النقلة بين ماجاء في الكتاب من تفريع وصعوبة وبين مقدمة في النحو بمثل هذه السرعة وعلى يد رجل لم يعرف عنه مثل ذلك، بل ان أقرب تلاميذه ممن ترجموا له لم يذكر له مثل هذا المنحى في التأليف وأقصد ابن سلّام.

والظنّ أن هذه المقدمة متأخرة وضعها أحد المعلمين ممن امتهنوا التدريس وقد خلط فيها بين خلف الأحمر وعليّ الأحمر وظلّت مكتوبة ومغمورة بين مئات المخطوطات التي جمعت في القسطنطينية حين صورتها مديرية احياء التراث القديم بدمشق وقدمت نسخة منها للاستاذ التنوخي كي يتولى تحقيقها، فغلّب نسبتها لخلف من وجوه عدّة تعتمد الحدس الخاص والنظرة الظنية والقياس الذى لم تتوافر فيه الحجة الدامغة، وقال بأن نسبتها ستظل مرتبطة بخلف حتى تظهر أخت لها في مدافن مجاميع الخزائن لاثبات نسبتها.

خامسا: وكما أسلفنا فان كاتب المقدمة وهو محمد بن ابراهيم بن فرج[1]

---

(١) محمد بن ابراهيم بن فرج الشمس أبو الخير البياني الحموى الشافعي، ويعرف بابن فريجان بضم الفاء ثم مهملة مفتوحة وجيم ونون مصغرة، ولد بحماة ونشأ بها، فتفقه بالزين الخرزى، وبأبي الثناء محمود بن خطيب الدهشة، ولازمه حتى سمع عليه الصحيح، وكتب شرحه للمنهاج المسمّى لباب القوت، وسمع من بلديه الشمس بن الأشقر وانتفع بتربيته وشيخنا وآخرين، وبرع وصار من فضلاء بلده مع فهم في العربية وديانة وخير، لقيه العزّ بن فهد فكتب عنه ومات بعده بيسير في الطاعون سنة ٨٧٤هـ، ودفن قريبا من الشيخ عبدالله بن الفرات صاحب الأحوال والكرامات رحمه الله.
الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، ٦: ٢٧٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أحد رجال القرن التاسع الهجرى ، والزمن الممتد بين تأليف الكتاب وكتابته طويل جدا ، لا نعلم فيها عن أمر هذه المقدمة شيئا ، فكان لابدّ من الشك في سلامتها من التحريف والتزيّد أو نسبتها الى علم متقدم مثل خلف الأحمر ، ولم تسعفنا ترجمة كاتبها كثيرا ، فهو رجل معلّم برع في العربية مما يعني أنه كتب هذه المقدمة بهدف التعليم ، وربما نسبها لخلف كي يشتهر أمرها ، وهذا وجه من الاحتمال نسوقه علّه يساعد في كشف الحقيقة .

ومع كلّ ذلك ، أجدني ميّالا لابقاء مسألة نسبة الكتاب مفتوحة حتى يتسنى للباحثين اثبات القول فيها على أن الرأى عندى يميل إلى أنها لغير خلف .

— ٣ —

خلف واللغة

تناثرت مثل هذه المسائل في مصادر اللغة والنحو المختلفة ، ولم يجمعها باب واحد ، يمكن الحصول منه على أحكام تمكننا من معرفة قدر خلف في علم اللغة[1] أو النحو.

ولعلّ الكمّ الأكبر من هذه المسائل جاء في باب معاني الألفاظ الذى حوته المعاجم اللغوية ، وقد يسرّت فهارس لسان العرب التي صدرت حديثا استقصاء مادة اللغة والشعر التي اتصلت بخلف الأحمر ، التي تشكل ملحقا للرسالة علّه يفيد في ابراز توجهاته في اللغة .

وهذا عرض لبعض المسائل اللغوية والنحوية من غير لسان العرب .

---

(١) انظر ، العسكرى ، ديوان المعاني ، ١:٧٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

اصطلاح ألفاظ الشعر :

كان خلف يأخذ على الرواة أغلاطا في الشعر ، فيصلحها ومن هذه الأخطاء ما يتصل باللغة :

" قال خلف الأحمر : أخذت على المفضل الضبي ، وقد أنشد لامرىء القيس :

نَمَشّ بأعراف الجياد أكُفّنَا إذا نَحْنُ قمنا عن شواءٍ مُضَهَّبِ

فقلت : انما هو نَمَشّ لان المشّ مسح اليد بالشيء الخشن ومنه سمي منديل القمر مشوشا ".(١)

وقال القالي أيضا في قول الأعشى :

تَروحُ على آل المُحَلّقِ جفنة كجابية الشيخِ العِراقيِّ تفهَقُ

وكان أبو محرز (يقصد خلف الأحمر) يرويه (كجابية السّيح). ويقول : " الشيخ " تصحيف ، والسّيح : الماء الذي يسيح على وجه الأرض ".(٢)

وقد مدح خلف في التدقيق والقدرة على الحفظ دون الأخذ عن الصحف .

رواية معاني الألفاظ :

وقد أخذ ذلك عن علماء معاصرين له ، فهذا الأصمعي يروى لنا أن خلفا قال : سمعت رؤبة يقول ما في القرآن أعرب من قوله : (فاصدع بما تؤمر) .

ويقول خلف : سمعت رؤبة يقرأ :(فأمّا الزَبَدُ فَيَذهَبُ جُفالاً)

---

(١) التصحيف والتحريف ، ١٦٧ ، نزهة الألبا ، ٥٢.

(٢) أمالي القالي ، ٢٩٦:٢ ، المزهر ، ٣٥٦:٢ ، والجابية : الحوض الكبير يجمع فيه الماء ، تفهق تمتلىء .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

قال : قلت : جفاء ، قال : لا انمّا تجفله الريح أي تقلعه ".(١)

ومن باب المناكفات والاحتجاج بمعرفته ما رواه القيرواني قال : " حضر أبو عبيدة وخلف الأحمر مجلس الفضل بن الربيع فسألهما عن قول عمر لابن محذورة حين أذن : كدت تشق (مربطاك). فقال أبو عبيدة بالفتح والمدّ(٢)، وقال خلف : هو بغير مدّ ، مقصور، فجاء الأصمعي فقال مثل قول أبي عبيدة ، فقال الأحمر : لا ، فقال الأصمعي : بلى . فلم يزل يحتج عليه حتى قهره ".(٣)

وقد ورد النص في اللسان . قال : " ومنه قول عمر ، رضي الله عنه ، للمؤذن أبي محذورة ، رضي الله عنه ، حين سمع أذانه ورفع صوته : لقد خشيت أن تنشق مريطاؤك .

والمريطاء : جلدة رقيقة بين السّرة والعانة .

وذكر ابن فارس في معجم مقاييس اللغة أنها تعني : مابين الصدر الى العانة من البطن . ويجوز فيها المدّ والقصر .(٤)

وبذلك يكون محقق كتاب الممتع قد أخطأ في تحقيق الكلمة اذ توهم أنها من ربط (مربطاك) على أنها من مادة مرط .

بيان المعاني :

وهو شرح معنى الكلمة كقوله في معنى باباً ،يقول : بابا الرجل : أسرع ، وقد تبابانا اذا أسرعنا ، والبؤبؤ : السيّد الظريف، والبؤبؤ : الأصل قال :

في بؤبؤ المَجْدِ وبَحبوحِ الكَرَمْ(٥)

---

(١) أخبار النحويين البصريين ، ١٢٠.

(٢) أي (مربطاءك) .

(٣) الممتع في صنعة الشعر ، تحقيق عباس عبد الساتر ، ١١٢ — ١١٣.

(٤) لسان العرب ، مادة ، مرط ، وكذلك معجم مقاييس اللغة مادة وط.

(٥) معجم مقاييس اللغة ، ١٩٤:١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وفي معنى (بور) وهي الأرض التي تجمّ لتزرع من قابل

وكذلك البوار قال أبو عبيد عن الأحمر : نزلت بوار على الناس :

أي بلاء وأنشد :

قتلت فكان تظالما وتباغيا ان التظالم في الصديق بوار[1]

ومن ذلك بيان تصريف الكلمة ودلالتها ، ومنه قوله :" يقال :

صدرت عن البلاد صدرا ، وهو الاسم ، فان أردت المصدر جزمت الدّال وأنشد :

وليلةٍ قد جعلتُ الصُّبحَ موعدها صَدْرَ المَطيّةِ حتى تعرف السّدفا .

صدر المطيّة مصدر.[2]

وفي شرح بيت زهير :

جعلنَ القنانَ عن يمينٍ وحزنه وكم بالقنانِ من مُحِلٍ ومُحرِمِ .

وفي معنى محرم :

قال : وأنشدني خلف :

قتلوا كِسرى بليلٍ مُحرماً فتولّى لم يُمتّع بلَفَنْ .

بمعنى له عليهم ذمة وعهد.[3]

بعض ظرفه مع اللغة :

وصورة أخرى نجدها تتمثل في بعض المداعبات في استخدام الألفاظ لبيان قدرته على ذلك :

" قال يوما لأصحابه : ما تقولون في بيت النابغة الجدى [4]

كأنّ مَقطّ شراسيفه إلى طَرَفِ القَنَبِ فالمنقَبِ .

لو كان موضع (فالمنقب) فالقهبلس [5]، كيف كان يكون قوله :

---

(١) معجم مقاييس اللغة ، ١:٣١٧. وانظر ١:٢٩٤.

(٢) المصدر نفسه ، ٣:٣٢٧.

(٣) ثعلب ، شرح ديوان زهير بن أبي سلمى ، ١١.

(٤) ديوان النابغة الجعدى ، ٢٢.

(٥) القهبلس : ذكر الرجل وقد يستعار لغيره.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لُطِمَنَ بِتُرْسٍ شديدِ الصِّفَاقِ من خَشَبِ الجَوْزِ لَمْ يُثْقَبِ .

قالوا: لانعلم .

فقال : والا بنس .(١)

ومنها أن خلفا خرج على اصحابه يوما فأنشدهم قول النمر ابن تولب :(٢)

ألمّ بِصُحْبَتي وَهْمٍ هجودُ خيالٌ طارِقٌ مِنْ أُمِّ حِصْنِ .

وقال : لو كان مكان " أم حصن "، أم حفص ".

كيف يكون قوله :

لها ما تَشْتَهي عسلٌ مُصَفًّى وإن شاءت فَخُوّارِي بِسَمْنِ .

فقالوا : لاندري ، فقال :

وان شاءت فخوّارى بلمص ".(٣)

ومن هذين الضربين نعرف قدرة خلف الخاصّة على تغيير الكلمات الأواخر في بيت الشعر واستبدالها بكلمات أخرى ، تكون مختلفة القافية وهي طريقة تكشف عن محاولات لتحريف المعاني أو التلاعب فيها

— ٤ —

أثر خلف في لسان العرب

لقد قام ابن منظور صاحب اللسان بمهمة جليلة حين جمع علوم أعلام العربية مما لم يرد في المصادر الأخرى ، الأمر الذى ساعد في كشف صور جديدة لهم .

---

(١) أمالي القالي ،١٥٥:١ ،والشراسيف : أطراف اضلاع الصدر التي تشرف على البطن . وانظر : ديوان النابغة الجعدى ، ٢٢.

(٢) شعر النمر بن تولب .

(٣) أمالي القالي، ١٥٥:١، انباه الرواة، ٣٥٨:١، واللمص : الفالوذج الجوّارى : الخبز الأبيض .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فقد جمع لنا نصوصا وأخبارا لخلف الأحمر لم نعثر عليها في المصادر الأخرى ، ومنها ما اتصل بالألفاظ واللغة ومنها ما اتصل برواية الشعر فقمت بجمع واحصاء هذه المادة التي كونت ملحقا للرسالة رتبته على حروف الهجاء .

ولاشك أن ورود خلف بهذا الكمّ أمر يدل على اهتمام ابن منظور بعلم خلف وتوثيقه له بوصفه مصدرا يتكأ عليه في شرح معاني الألفاظ أو التدليل على معان أخرى بشعر أو قول أو أن يأتي برأي غريب لم يعرفه ابن منظور فيما روى . أو شعر لم يروه غير خلف .

والحقيقة أنّ موقع خلف في اللسان جاء متوسطا لحشد من العلماء الذين اعتمد عليهم ابن منظور ، فقد سبقه كثير من هؤلاء كما سبق كثير منهم أيضا ، فممن سبقه ابن الأثير (المبارك ابن محمد) والأزهري وابو اسحق الزجاج والأصمعي وعبد الله بن برّي وابو زيد الانصاري وغيرهم الكثير اذ لسنا بصدد احصاء عدد من تقدمه من العلماء الذين اعتمد عليهم ابن منظور .

وفيما يلي نماذج من آثاره المختلفة في اللسان :

(١) رواية شعر في معنى كلمة .

" وباء الرجل بصاحبه : اذا قتل به ، يقال : باءت عرار بكحل وهما بقرتان قتلت احداهما بالأخرى ، ويقال : بؤ به: أي كن ممن يقتل به ، وأنشد الأحمر لرجل قتل قاتل أخيه ، فقال : فقلت له : بؤ بامرئ مثله :

فقلت له بؤ بامرئ مثله واذا كنت قنعانا لمن يطلب الدّما (١)

ومنه :" قال أبو زيد : بنات الأوبر كمأة صغار مزغبة على لون التراب وانشد الأحمر :

---

(١) اللسان ، مادة بوأ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولقد جنيتك أكمـؤا وعساقـلا ولقد نهيتك عن بنات الأوبر(١)

— ٥ —

فـي معانـي الألفـاظ

ومنه : " واجبات الأرض : أى كثرت جباتها ، وفي الصحاح : أى كثرت كمأتها . وهي أرض مجباة ، قال الأحمر : الجباة هي التي الى الحمرة ، والكمأة هي التي الى الغبرة والسواد ، والفقعة : البيض ونبات اوبر الصغار .(٢)

وفي معنى لبب يقول الأحمر : " معظم الرمل : العقنقل، فاذا نقص قيل : كثيب ، فاذا انقص قيل : عوكل ، فاذا نقص قيل : سقط ،فاذا نقص قيل عداب، فاذا نقص قيل : لبب . التهذيب واللبب من الرمل ما كان قريبا من حبل الرمل .(٣)

فهو يذكر لنا أسماء الرّمل باحجامه المختلفة وهي مراتب أسماء الاشياء ومضاعفاتهاوقد عرفت آنذاك وانتشرت بين الناس فألفت فيها الكتب كما فعل الثعالبي حين ألف كتابه فقه اللغة وضمّ من ذلك الكثير.

ومن ذلك البيان لمعاني المفردات قوله : الحميت : الزّق المشعر الذى يجعل فيه السّمن والعسل والزيت .(٤)

بيان المعاني بشعر له :

ومنه ما ورد في مادة سبل ، يقال : وبنو سبالة : قبيلة ، واسبيل : موضع ، قيل هو اسم بلد ، قال خلف الأحمر :

---

(١) اللسان ، مادة وبر.

(٢) اللسان ، مادة جبأ.

(٣) اللسان ، مادة لبب .

(٤) اللسان ، مادة حمت .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لا أرضَ إلّا إسْبيـــــــــلُ وكُلُّ أرضٍ تَضليـــــلُ(١)

وفي معنى طبق

يقال : جاء باحدى بنات طبق وأصلها من الحيّات ، وذكـــــر الثعالبي أن طبقا حيّة صفراء ، ولما نعي المنصور الى خلف الأحمـــر أنشد يقول :

قد طَرَقَت بِبِكْرِها أُمُّ طبَـــــقْ فَدَمّروها وَهْمةً ضَخْم العُنُـــق
مَوْتُ الإمـــام فِلْقَةٌ مِنَ الفِلَـــق(٢)

كما وردت لخلف بعض شروح الألفاظ الفارسية .

القفشليّة : المغرفة . فارسيّ معرّب ، وحكي عن الأحمر :أنها اعجمية اصلهـــا كبحلار ، كما يقول أبو عبيدة : قلت لخلف : ما الطّلاوة؟ قال : الخرّهيّـــة بالفارسيّـــة .(٣)

ويمكن القول من خلال استعراض ما نقله ابن منظور عن خلف أنّـــه موثوق الرواية في اللغة لما يساند روايته من شواهد رواها علماء آخريـــن ثم أن مساءلة خلف في أمور اللغة وشواهدها دليل على تقدمّه في معرفـــة معاني الفاظ العربّية واستخداماتها وتصريف ألفاظها.

وقد نقلت لنا بعض مصادر اللغة جوانب من أخباره هذه ، الا أنهـــا لاتمثل شيئا من حجم الروايات التي ساقها ابن منظور في معجمه اللسان .

والمتتبع لآثار خلف الأحمر في اللغة والنحو يجد صعوبة بالغـــة في تجميع هذه المادة واخراجها في نسق واحد يمثل أبوابا فيهما ، وذلـــك لاننا لم نعثر له على تأليف فيها سوى كتاب " مقدمة في النحـــو" الذى تناولناه من جوانبه المختلفة والذى يتصل في أبواب النحـــو الرئيسية والتي لاتغني دارس النحو في أكثر من التعرّف الـــى الخطوط العامة في بناء الجملة في العربية .

---

(١) اللسان ، مادة سبل .

(٢) اللسان ، مادة طبق . وقد رواها الفرّاء بقوله : قال الراجـــز:
قد عضلت بيضها بِنْت طبـــق فدمّروها خبرا ضخم العنـــق.
الفرّاء ، المنقوص والممدود ، ٢١٨.

(٣) ابن دريد ، جمهرة اللغة ٣:١١٧٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وظنّي أنّ معارف خلف الأحمر في اللغة والنحو جاءت ركيزة ساعدته في جمع الشعر وأعانته على روايته ونقده، فلم تكن بالعلم الرئيسي الذى يميّزه، وان كان يتقن كثيرا منه، فلا يمكن أن ننكر عليه علمه بالنحو وان لم نقطع بنسبة "مقدمة في النحو"، اليه، اذ لايعقل لراوية مبدع موثق حافظ مكثر كخلف أن يلحن أو يخطىء في رواية، وهو الذى عدّ من المنقحين الموثقيّن لايأخذون برواية الصحف كما أشار اليه الحسن بن هانيء من خلال مديحه له وتوثيقه لروايته.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

خاتمـــــــــــة

وبعـــــد ،

فاني حاولتُ جَهدي للإحاطة بخلف الأحمر الإنسان العالم ، وأرى لزاماً عليَّ خَتْم هذا البحث بأهمّ النتائج التي صارت إليه وهي :

أنّ خَلفاً لم يُدرس دراسةً وافيةً في أيٍّ من جوانب حياته العلميّة ، وما هي سوى إشارات عامّة لا تدلّ على الصورة الكاملة التي ينبغي علينـــا معرفتها عن خلف .

وعليه فإنّ خلفاً الأحمر رجلٌ فرغاني نشأ في البصرة وأخذ علومَـهُ عن شيوخها وحلقات مساجدها ، وكان من أولئك الذينَ لم تَتوفّـــر لهم أسباب الشّهرةِ إذ قيل أنّـه كان ضنيناً بأدبه ولم يكن مـــن العلماء المرتادين لمجالس السّاسة ، ولعلّ هذا أهم سبب في ضيـــاع كثير من أخباره .

وكان – على مايبدو – صاحب شخصيّةٍ قوية يرهبها النّاسُ والشّعراء خاصّة ، فقد كان يُمثّل دور العالِم العارف بالشّعْر فيحتكم إليه الشّعـــراءُ ويأخذونَ برأيه ، ومع ذلك فقد كان ميّالا إلى اللّهو والعبث وهو مـــا كشفت عنه بعض مناكفاته مع أقرانه من العلماء والشعراء أمثـــال اليزيدي ومحمد بن مناذر الشّاعر وأبي عبيدة " معمر بن المثنى ".

كما حظي بمنزلة متقدمة بين علماء عصره ، وشهد له أقرانـــه بذلك حتى قيل إنه معلّم الأصمعيّ وأهل البصرة ، وقال أبو زيد : لـــم أر أعلم بالشّعر منه ،وقال ابن سلاّم : كان أفرس النّاس ببيت شعـــر، وكنا لانبالي إذا سمعنا منه شعراً أو خبراً أن لانسمعه من غيره .

فهو الراوية الأول للشعر وهو الناقد الأول كذلك ، مما دفـــع بالأصمعيّ إلى القول : ذهبت بشاشة الشعر بعد خلف .

ولمّا كان حمّاد الكوفي أستاذه في الرواية ، فقد لحقـــت بـه تهم وصفتـه بالوضّاع وهي صفة أطلقها النّاس على أستاذه مـــن

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

قبل ، وكان تخليص هذا الأمر صعبا ، إذ تداخلت فيه أخبارٌ متناقضة منها ما يدّعي صدق روايته وهو ماذهب إليه تلميذه إبن سلام الجُمَحيّ ومنها ما تناقض فيما بينه كأخبار الأصمعي المنتشرة في المصادر، فتارة نجده يوثق صاحبه ويقدّمه على نَفْسِه ، وتارةً يطعن في روايته ويَتّهِمُهُ بالتّزيُّدِ على الشّعراءِ ، وقد تبع الأصمعيَّ عددٌ من العلماءِ اللاحقين ممن بالغوا في وصف المسألة فذكروا القصائد الفرّ وجعلوها مُشْتَبِهةً لايُعْرَفُ صاحِبُها ، وأهمّ هذه القصائد لاميّة العرب للشنفرى ولامية تأبط شرّا المشهورة :

إنّ بالشّعْبِ الّذي دُونَ سَلْـــعٍ لَقَتيلاً دَمُهُ ما يُفَـــلُّ .

وكذلك قصيدةُ النّابغة الذّبيانيّ :

خَيْلٌ صِيامٌ وخَيْلٌ غَيْرُ صائِمَـــةٍ تَحْتَ القَتَامِ وأُخْرى تَعْلِكُ اللُّجُمَا .

وعليه فَقد قرأتُ كتاب الدكتور ناصر الدين الأسد الذى ردّ في بعضه على ادّعاءات عددٍ من المستشرقين والعرب الّذين أخذوا بالنصوص السابقة مما جعلهم يذهبون إلى الطعْن في صِحّة الشّعر الجاهليّ أمثال بروكلمان وطه حُسين الّذى عاد عن موقفه بعد فترة من إصدار كتابه "في الشعر الجاهلي".

والمَلْحظ الرئيسيُّ في رواية خلف للشعر أنّ المَصادر لم تحتفظ بأدلةٍ تَكشِفُ عن حقيقةِ التّهمة الموجّهة إليه ، فإن النّاظِر في القصائد الثلاث التي أشرنا إليها سابقاً يجد قصصها تدلّ على تحامل ومبالغة تصل حدّ وجوب إلصاق التّهمة بخلف ، ولهم في ذلك أسبابٌ يَتّصِلُ بَعْضُها بِصراعِ الكُوفةِ والبَصْرةِ الأدبي، وشعر خلف المحاكي للشّعر الجاهليّ القديم .

ولعلّ القراءة المتأنية لشعر خلف - مما ثبتت نسبته اليه - تدلُّ دون شكٍّ على اللّبْس الّذى وقع فيه متهموه ، فإن شعر خلفٍ لم يظهر على نَمطٍ واحدٍ يُمكِنُ وَصْفُهُ على نَحْوٍ مُعيّنٍ ، فهو يَصْدُرُ - فيما يَصْدُرُ -

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

عن بَدَوِيَّةٍ مُشاكِلَةٍ لذلك الشّعر الجاهليّ القَديم سواءٌ من حيث بناءُ قصيدته الخارجيّ أو اُستخدامه للألفاظ والصّور المحاكية لصور الشّنفرى وغيره من الشّعراء الجاهليين ، على أنه صَدَر عن بيئته المتطوّرة فأنشأ المقطعات الخفيفة ذات الألفاظ السهلة والعَروضِ الموسيقيّ الخفيف .

كلّ ذلك جعلهم موقنين بأنّ لخلف قدرةً على وَضْع الشّعر على القُدماء كما أنّ الصِراع العِلْميّ بين الكوفة والبصرة دفع بعلماء الشانية إلى اتّهام خلفٍ بالتزيّد والوَضْع لأن خلفاً روى لأهل الكوفة شعراً ، فكانوا يقصدونه بعد موت راويتهم الأول حَمّادٍ الكوفيّ، وكأنّما قَصدوا الطّعن بِرواةِ الكُوفة مُستخدمينَ خَلفاً وسيلةً لهذا التضعيف .

وعليه فقد وجدنا بعضاً من الشّعر المنسوبِ لِخلف موضوعٌ عليه أيضاً وهو ما كشفت عنه أساليب ذلك الشعر ، مثل القصيدة التي رويت له في مدح عليّ وآله وتظهر الحداثة في معانيها وألفاظها وجُملها ، مِمّا لم نَعْهدْهُ في شِعره ، وكذلك القصيدة التي يوصي فيها ولده بأن يُقْبلَ على العِلْم.

أمّا عن مميزات شعره فانّها تكشف عن الجانب الذى ذكرناه ، وهو مايدّل على براعته في المحاكاة والتجديد معا آخذا بفعل بشار في هذا المجال فقد كتب قصائد محاكية يدلّل بها على مقدرة فذّة ، وكذا خلف الذى وجدنا له أشعاراً قويّة البناء ، صعبة الألفاظ تميل إلى البداوة إلى حدّ المُشابَهةِ في الصُّور والأوصاف .

والظاهرة الرئيسية في شعره تتمثل فيميله الى وصف الحيّات وبعض أنواع الحشرات والهوامّ ، ولـه فـي ذلك الكثيرُ من المُقطعات التي تَبْرزُ فيها دِقّةُ الوَصف والمعرفة الشاملة بأحوال تلك الحيّاتِ والحشرات مما دفعه لاستخدامها في الهجاء .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولم تكن منزلته في النقد أقل منها في الرواية ، بل هي عِدْلٌ لها وإن لم تَتَفوقها، فقد عُرف عنه علمه بالشِّعر مما جعله يتقدم علماءَ زمانه ، وقد قيل إنّه علّم الأصمعيّ النَقْد.

ولعلّ فضله في النّقد يرجعُ إلى تَقْعيد بداءَات هذا العِلْم، إذ كان يَرى أن للناقِدِ دَوْراً أساسي في حَرَكة الشّعر لايُمْكنُ الاستغناءُ عنها وأن النقاد طبقات ، ويُرْجِعُ ذلك إلى ثقافة النّاقد التي تميّزها أمورٌ عدّة منها رواية الأشعار وحُسْنَ التّصرف بها والعِلْمُ بالشِّعر وصناعته إضافةً إلى المَلَكةِ الخاصّةِ والفَراسةِ التي تساندُ تلك العلوم.

وكان يرى أن النقد صناعة لها أدواتها ، فلا يصيرُ الناقد ناقداً إلا بها، وقد أقرّ بذلك أقرانُه وشيوخُه أمثال يونس بن حبيب وأبي زيد وأبي عبيدة .

ومع كل هذه الموضوعيّة التي قَعّدها، إلا أنّه لا يَنْفَكُّ مُلتزماً نَظراتِ عَصْرِه التي تَمَثلت في الإنتصارِ للشعر القديم ، وتَرْكِ الشّعر المُحْدَثِ دونَ عِلّةٍ فيه سوى أنّه قيلَ في عصرهم .

على أنه اضطرب في هذا الأمر ،فتارةً يهاجم الشاعر إبن مناذر حين يطلب إليه قياس شعره بشعر الجاهليين ، وتارةً يستمع لشعر بشار ويمدحه بل ويتولى تنشئة أبي نواس الذي عُدّ رأساً من رؤوس حركة التجديد في الشّعر العربي ، وأخرى يُفضّل فيها قصيدةً مروان بن أبي حفصه على قصيدةٍ للأعشى لسببٍ سطحيّ لايُمكن الاعتدادُ به ، وبذلك يكونُ موقفه النّظري مسايرا لموقف علماء العصر الذين رفضوا الشعرالمحدث وظلّ القديم أصيلا ومعيارا للجودة وقوة السَّبْك، فالمحدثين عيالٌ عليه لايصلونَه وإن قَلّدوه .

وقد شاع في هذا العصر مبدأٌ آخرَ يَتمثّل في المفاضلةِ بين الشّعراءِ أو المفاضلة بين أبياتٍ من القصيدة يتفوق فيها الشّاعر أو المفاضلة بين بيت أو أبيات قالها الشعراء في

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

موضوع ما ، وكان لخلف موقف مضاد لهذا الإتجاه إذ لم نجد له مثيل هذا المنحى ، بل كان يأخذ بمبدأ عدم الإجتماع على أشعر الناس ، وكان يقول : لايصير ذلك إلى أحدهم كما لايجتمع على أجمل الناس .

ويبدو أنه كان يقدم الأعشى على غيره ، وحجته أنه أجمع الشعراء وهي كلمة تدل على عدة معان ، إذ يمكن أن يتصل الجمع بالمعاني أو الصور أو الألفاظ ... أو غيرها .

وأخيراً فقد أقدم خلف على إصلاح الشعر لغيره ، وكان يقول : كان القدماء يصلحون أشعار الشعراء ، وهو تدخل مرفوض حتى وإن كان قصده دفع الغلط عن الشعر ، لكنه يدل على قدرة الناقد على معرفة مواطن الضعف عند الشاعر ، فكيف إذا كان الناقد شاعراً وراوية مثل خلف .

ولما كان توجهه للشعر والنقد كبيرا ، صار لزاما عليه درس اللغة والنحو لتكون قاعدته إلى ضبط روايته ، فتعلم اللغة والنحو على يد شيوخ عصره أمثال يونس بن حبيب وأبي عمرو بن العلاء واختلط بالبدو والأعراب ممن سكنوا البصرة أو وفدوا إليها حتى صار قطبا من أقطاب اللغة والنحو .

على انه لم يكن من شيوخ العلم فيهما ، بل كان ميالاً إلى شمولية العالم بالعربية فيقول لأبي زيد الأنصاري : قد احتجت على النحو لم تعده ، ولقل ما ينبل منفرد به ، فعليك بالشعر والأخبار .

وكان يكره المتقعرين في اللغة ويذمهم بشعره ، كما هاجم المصحفين الذين لايحسنون القراءة .

فهو إذا يكره اقتصار العالم على النحو ، فالنحو لايعدو كونه مسائل جامدة لامجال للإبداع فيها ، على غير الحال مع الشعر والأخبار .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومع كل ذلك فقد اعتمد عليه أصحابُ المعاجم حين وثّقوه وأخذوا عنه شروح معاني الألفاظ أو الإستدلال بشعره على بعضها ونخص منهم ابن منظور .

كما نُسِبَ إليه كتابان في النّحو وهما كتابُ "العَدد" ومقدمة في النحو" وقد أثبتنا من خلال النُّصوص التي اتصلت بهذين الكتابين أنّهما نُسبا إليه خطأً وذلك لوجود عالمٍ كُوفيّ اشتهر بالنّحو وهُوَ عليّ بن المبارك الأحمرِ الّذي خَلَط به كثيرٌ ممّن كتبوا عن الأحمرين في اللغة والنّحو .

وبعد ،

فإني أرجوْ اللّهَ أن يَكونَ في جَهْدي الّذي بَذَلْتُ إبانةً عن صورةِ خلفِ الأحمَر في جوانبها المُختلفةِ والّتي تُمَثّل واحدة من صُوَرِ علماءِ القرن الثاني الهجري بفضلهم العميم في مسيرة الأدب العربي الذي نمدر عنه ، وتمتد المسيرة به .

واللـــه الموفـــق ،،

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ملحـــــــــــــــق

الألفـاظ التي أختـص خلـف بروايتهـا في لسان العرب

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الأبـــي

وعنز أَبْواءُ في تُيوس أُبْوٍ وأَعْنُزٍ أُبْوٍ: وذلك ان يَشُمَّ التَّيْسُ من المِعْزى الأَهْلِيَّة بَوْلَ الأَرْوية في مواطنها فيأخذه من ذلك داءٌ في رأسه ونفاخ فيرَمَ رأسُه ويقتله الدَّاءُ ، فلا يكاد يقدر على أكل لحمه من مرارته ، وربما إيبَتِ الضأن من ذلك ، غير أنه قلّما يكون ذلك في الضأن ، وقال ابن أحمر لراعي غنم له أصابها الأَبْاء :

فَقُلْتُ لِكَنَّانٍ : تَدَكَّلْ فإنّه أُبِيَّ ، لاأُظنُّ الضأنَ مِنْه نَواجيا .
فَمَالَك من أَرْوَى تَعاديت بالعَمَى ولاقَيْتِ كَلَّابًا مُطِلًّا ورامِيا .

لا أظن الضأن منه نواجيا أى من شدّته ، وذلك أن الضأن لايضرّها الأَبْاء ان يقتلها . تيس أب وأبى وعنز أبية وأبواء ، وقد ابي أبى . أبو زياد الكلابي .

والأحمر : قد اخذ الغنم الأَبِيّ ، مقصور ، وهو أن تشرب أبوال . الأَروى فيصيبها منه داء ، قال أبو منصور: قوله تشرب أبوال . الأَروى خطأ ، انما هو تشمّ كما قلنا.

(*)

مأدبـــة

قال أبو عبيد : وتأويل الحديث أنه شبّه القرآن بصنيع صنعه الله للناس لهم فيه خير ومنافع ثم دعاهم اليه ، ومن قال مَأْدَبَة : جعلهُ مَفْعَلَةً من الأَدبِ وكان الأحمر يجعلهما لغتين مَأْدُبَة ومَأْدَبَة بمعنى واحد.

(* *)

الأسـر

الأحمر : اذا احتبس الرجل بوله قيل : أخذه الأَسْرُ ، واذا احتبس الغائط فهو الحُصْرُ.

(* * *)

(*) مادة أبي .
(* *) مادة أدب .
(* * *) مادة أسر .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مُؤاصِرِيّ

الأحمر : هو جاري مكاسري ومؤاصري أي كِسْرُ بيته الى جنب كِسْر ببيتي ، وأَصارُ بيتي إلى جَنْب إصار بَيْتِه ، وهو الطُّنُبُ . وحيّ متآصرون أي متجاورون .

(*)

في معنى: حيسَ

قال الكسائي والأحمر وغيرهما يذهبون الى أن الرواية العاطفونَ فيقول : جعل الهاء صلةً وهو وسط الكلام ، وهذا ليس يُوجد الا على السَّكْت . قال: فحدّثت به الأُمويَّ فأنكره ، قال أبو عبيد : وهو عندي على ماقال الأموي ولاحجة لمن أحتج بالكتاب في قوله :ولاتَ حينَ مناصْ ، لأن التاء منفصلة من حين لانهم كتبوا مثلها منفصلا أيضا مما لاينبغي ان يفصل كقوله : يا ويلتنا مال هذا الكتاب واللام منفصلة من هذا .

(* *)

بَرَرْتُ

ويقال : قد تَبَرَّرْتَ في أمرنا أي تَحَرَّجْتَ ، قال أبو ذؤيب :

فقالت تَبَرَّرْتَ في جَنبِنا وما كنتَ فينا حَديثاً بِبِرّْ .

أي تحرّجت في سَبْيِنَا وقُربِنا . الأحمر : بَرَرْتُ قَسَمي وبررت والدي ، وغيره لايقول هذا .

(* * *)

بَقَّةَ

وبقة : اسم امرأة ، وأنشد الأحمر :

يَوْمُ أَديمِ بَقَّةَ الشَّريمِ أفضلُ من يومِ احلقي وقُومي

(*) مادة أصر .
(* *) مادة أين .
(* *) مادة برر .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أراد بقوله احلقي وقومي في الشِّدَة . وَرَقَّصَتْ إمرأة طفلها فقالت : حَزَقَّة حزقه تَرَقَّ عينَ بَقَّة ، قيل ، بَقَّة اسم حصن ، أرادت إصعديـن بقة أي اعلها ، وقيل : انها شبّهت طفلها بالبقة لصغر جثته ، وقوله :

ألم تسمعا بالبَقَّتيـن المُناديا

أراد بَقَّة الحِصْن ومكانا آخر قال معها كما قال :

وَمَهْمَهَيْـن قَذَفَيْن مَرْتَيْـنْ
قَطَعْتُهُ بالسَّمْتِ لا بالسَّمْتَيْـنْ .

(*)

الباقـلاء

الباقلاء والباقليّ وقال الأحمر : واحدةُ الباقلاءِ باقـلاء ، قال ابن سيدة : فاذا كان ذلك فالواحد والجمع فيه سواء ، قال : وأرى الأحمر حكى مثل ذلك في الباقلّى .

(* *)

بقينـا

وقال الأحمر في بقينا : انتظرنا وتبصرنا ، يقال منه : بَقَيْتُ الرَّجلَ أُبْقيه بَقْياً أي انتظرته ورَقَبْتُه ، وأنشد الأحمر :

فهُنَّ يَعْلُكْنَ حدائداتِهـا
جُنْحَ النَّواصي نحو ألويـاتُهـا
كالطيّر تَبقي متدا وماتُهـا

يعني تنظر اليها .

(* * *)

(*) مادة بقق .
(* *) مادة بقل .
(* * *) مادة بقي .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بَلَـــــهْ

قال أبو عبيد : قال الأحمر وغيره بَلَهْ معناه كيف ما اطّعتم عليه ، وقال الفراء: كُفَّ ودَعْ ما اطّلعتم عليه .

(*)

البَهْلول

البهلول : الحَيِيّ الكريم ، ويقال : امرأةٌ بهلول .

الأحمر : هو الضَلالُ بن بُهْلَل غير مصروف ، بالباء كأنه المُهْبَل المُنْهَمل مثل ابن تُهْلَل ، معناه الباطل ، وقيل : هو مأخوذ من الإبهـــال وهو الإهْمال .

(* *)

بَوْ بِـــــهِ

وباء الرجل بصاحبه : اذا قُتل به . يقال : باءَت عرارِ بكَحْـل، وهما بقرتان قتلت احداهما بالأخرى ، ويقال : بؤبه أى كن ممـــــن يقتل به وأنشد الأحمر لرجل قتل قاتل أخيه ، فقال : له بؤ بأمرى مثله .

فقلت له بؤ بأمرىء مثلـــه واذا كنت قنعانا لما يطلب الدّما

(* * *)

بيّـــــاك

حيّاك الله وبيّاك ، قيل : حيّاك ملّكك ، وقيل : أبقاك ، ويقـــــال: اعتمدك بالملك ، وقيل أصلحك ، وقيل قرّبك ، الأخيرة حكاها الأصمعـــــــي عن الأحمر . وقال أبو مالك أيضا بيّاك قرّبك ، وأنشد :

بيّالهم ، اذا نزلوا ، الطعّامـــا الكبـد والملحاء والسّنامـــا

وقال الأصمعي : معنى حيّاك الله وبيّاك اى أضحكك .

(* * * *)

(*) مادة بله . (* * * *) مادة بيي .

(* *) مادة بهل .

(* * *) مادة بوأ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تاويـــــه

وقال أبو عبيد عن الأحمر: تاويّة ، قال · وكذلك أخواتهـــا ، والتاء من حروف الزيادات وهي تزداد في المستقبل اذا خاطبت ، تقـــول، انت تفعل ، وتدخل في أمر المواجهة للغابر كقوله تعالى : " فبذلـــك فلتفرحوا ، قال الشاعر:

قلت لبوّاب لديه دارهـا: تيذن فاني حمؤها وجارهـا

أراد : لتيذن ، فحذف اللام وكسر التاء على لغة من يقـــول انت تعلم ، وتدخلها أيضا في أمر ما لم يسمّ فاعله فتقول من زهـــي الرجل : لتزه يارجل ولتعن بحاجتي ·

(*)

تلنّـــة

ويقال ما هذه الدار بدار تلنّة وتلنة أى اقامة ولبـــث الأحمر : تلن في معنى الآن ، وأنشد لجميل بن معمر فقال :

نَوِّلِي قَبْلَ نأيِ داري ،جُمانـــا وصلينا ، كما زَعَمْت ، تَلَانـــا
انّ خَيْرَ المُواصلينَ ، صفَـــاء مَنْ يُوافي خليلهُ حَيْثُ كانـــا

وقد ذكره في فصل الهمزة · وفي حديث ابن عمر وسؤاله عـــن عثمـــان وفراره يوم احد وغيبته عن بدر وبيعة الرضوان وذكر عـــذره وقوله : اذهب بهذا تلان معك ، يريد الآن وقد تقدم ذكره ·

(* *)

ثخـن الشّـيء

ثخن الشيء ثخونة وثخانة وثخنا ، فهو ثخين : كثف وغلـــظ وصلب وحكى اللحياني عن الأحمر : تخن وثخن · وثوب ثخين : جيّـــد النسج والسّدى كثير اللحمة · ورجل ثخين : حليم رزين ثقيل فـــي مجلسه · ورجل ثخين السّلاح أى شاك · والثخنة والثخن : الثقلة قال العجاج :

حتى يعـجّ ثخنا من عجعجـــا

وقد أثخنه وأثقله ·

(* * *)

(*) مادة تا (* *) مادة تلن · (* * *) مادة ثخن ·

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الجبـاة

وأجبأت الأرض : أي كثرت جباتها ، وفي الصحاح : أي كثـــرت كماتها ، وهي ارض مجباة . قال الأحمر : الجباة هي التي الى الحمـرة ، والكماة هي التي الى الغبرة والسّواد ، والفقعة : البيض ، وبنـــات أوبر : الصغار.

(*)

الجبّـورة

والجبّار : المتكبر الذى لايرى لأحد عليه حقا. يقال : جبّـار بين الجبرية والجبرية ، بكسر الجيم والباء ، والجبرية والجبـــروة والجبروت والجبروت والجبّورة والجبّورة ، مثل الفرّوجة ، والجبريـــاء والتجبار: هو بمعنى الكبر ، وأنشد الأحمر لمفلّس بن لقيط الأسـدي يعاتب رجلا كان واليا على أوضاخ :

فانك ان عاديتني غضب الحصـى عليك ، وذو الجبّورة المتغطرف

يقول : ان عاديتني غضب عليك الخليقة وما هو في العدد كالحصى . والمتغطرف : المتكبر . ويروى المتغترف ، بالتاء ، وهو بمعناه .

(**)

الجحـال

جحل : صرع الرجل صاحبه .

والجحال : السّم القاتل ، قال الجوهري : وأنشد الأحمر:

جرّعه الذيفـان والجحـالا

(***)

(*) مادة جبأ.

(**) مادة جبر.

(***) مادة جحل .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الجفير

والجفير : جعبة من جلود لاخشب فيها أو من خشب لاجلد فيها . والجفير أيضا : جعبة من جلود مشقوقة في جنبها ، يفعل ذلك بها ليدخلها الريح فلا يأتكل الريش . الأحمر : الجفير والجعبة الكنانة .

(*)

الجنثيّ

وقال الجوهرى : يعني به السيّوف أو الدّروع . والجنثيّ والجنثيّ ، بالكسر والضم : من أجود الحديد ، الأصمعي عن خلف قال: سمعت العرب تنشد بيت لبيد :

أحكم الجنثيّ ،من عوراتها كلّ جرباء ، اذ أكره صل

(**)

الجواء والجياء

والجثاوة والجياء والجياءة : وعاء توضع فيه القدر ، وقيل هي كلّ ما وضعت فيه خصفة أوغيره ، وقال الأحمر : هي الجواء والجياء وفي حديث عليّ : لأن أطلبي بجواء قدر أحبّ اليّ من أطليّ زعفران. وقال : وجمع الجثاء(١) أجئية ، وجمع الجواء أجوية .

(١) قوله " قال وجمع الخ " يعني ابن الأثير ونصه وجمعها " اى الجواء" أجوية وقيل هي الجثاء مهموز وجمعها أجئية ويقال لها الجيا بلا همز . وبها مشها جواء القدر سوادها.

(***)

(*) مادة جفر .
(**) مادة جنث .
(***) مادة جيأ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

في معنى : حاحـــا

أبو زيد : حاحيت بالمعزى حيحاء ومحاحاة صحت ، قال : وقـــال الأحمر ساسأ ت بالحمار.

(*)

حلفـــــــــت

ويقولون : محلوفة بالله ما قال ذلك ، ينصبون على اضمـــــار يحلف بالله محلوفة أى قسما ، والمحلوفة هو القسم . الأزهرى عـــــن الأحمر : حلفت محلوفا مصدر.

(* *)

الحميـــــــت

قال الأحمر : الحميت الزق المشعر الذى يجعل فيه السمـــــن والعسل والزيت .

(* * *)

أخشـــــــب

وقيل الخشب الذى في السّيف أن يفع عليه سنانا عريضا أملس فيدلكه به ، فان كان فيه شقوق ، أو شعث ، أو حدب ذهب به وأملس .

قال الأحمر: قال لي أعرابي : قلت لصيقل : هل فرغت من سيفـــي ؟ قال : نعم الا أنـي لم أخشبه .

(* * * *)

(*) مادة حـا.
(* *) مادة حلف .
(* * *) مادة حمـت .
(* * * *) مادة خشـب .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

خير

وقال أبو العباس : انما جاز هذا لأن الاختيار يدل على التبعيض ولذلك حذفت من ، قال أعرابي : قلت لخلف الأحمر : ما خير اللبّن[1] للمريض ! بمحضر من أبي زيد ، فقال له خلف : ما أحسنها من كلمة لو لم تدنسّها باسماعها للناس ، وكان ضنيناً ، فرجع أبو زيد الى أصحابه فقال لهم اذا أقبل خلف الأحمر فقولوا بأجمعكم : ما خير اللبّن للمريض ؟ ففعلوا ذلك عند اقباله فعلم أنه من فعل أبي زيد.

(١) قوله " ماخير اللبن الخ " أي بنصب الراء والنون ، فهو تعجب كما في القاموس .

(*)

دد

وقال الأحمر : فيه ثلاث لغات ، يقال للهو دد مثل يد ، ودداً مثل قفا وعصا ، وددن مثل حزن ، وأنشد لعدىّ :

أيها القلب تعللّ بددن ... انّ همّي في سماع وأذن

(* *)

المدارأة

وأما المدارأة في حسن الخلق والمعاشرة فان ابن الأحمر يقول فيه : انه يهمز ولايهمز . يقال : دارأته مدارأة وداريته اذا اتقيته ولاينته .

(* * *)

الدّرص

الأحمر : من أمثالهم في الحجّة اذا أضلها العالم : ضلّ الدّريص

(*) مادة خير .
(* *) مادة ددن .
(* * *) مادة درأ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

نفقه أي حجره وهو تصغير الدّرص وهو ولد اليربوع ، يضرب مثـــــــلا لمن يعبا بأمره .

(*)

يدمـــــــل

قال الأحمر في حديث سعـد بن أبي وقاص : أنّه كان يدمـــــــل أرضه بالعرّة ، قال الأحمر : يدمل أرضه أي يصلحها ويحسن معالجتهـــــــا بها وهي السّرجين ، ومنه قيل للجرح قد اندمل اذا تماثل وصلـــــح ، ودمل بين القوم يدمل دملا : أصلح بينهم .

(* *)

متداومـــات

والتداوم : مثل التدويم ، وأنشد الأحمر في نعت الخيل :

فهن يعلكن حدائداتهـــــــــا
جنح النواصي نحو ألوياتهـــــا
كالطيـر تبقي متداوماتهـــــــا

قوله تبقى أي تنظر اليها أنت وترقبها ، وقوله متداومـــــات أي مدوّمات دائرات عائفات على شيء . وقال بعضهم : تدويم الكلـــــــب امعانه في الهرب ، وقد تقدم .

(* * *)

دهامـــــــق

والدّهمقة : لين الطعام وطيبه ورقته ، وكذلك كل شيء ليّـــــن ، قال الليث : وأنشدني خلف الأحمر في نعت أرض :

جـــون روابي تربه دهامـــــق

يعني تربة ليّنة .

(* * * *)

(*) مادة درص .
(* *) مادة دمل .
(* * *) مادة دوم .
(* * * *) مادة دهمق .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ديّختـــه

قال الأزهري : ديّخته وذيّخته ، بالدال والذال : ذللتـــــــه ، مديّخ أي مذلّل ، وحكاه أبو عبيد عن الأحمر بالذال المعجمة ، فأنكـــره شمر .

(*)

الدّيـــــن

ودنتـــه : أعطيته الدين . ودنته : استقرضت منه . ودان فـــلان يدين دينا : إستقرض وصار عليه دين فهو دائن ، وأنشد الأحمـــــــر للعجيـر السّلولي :

ندين ويقضي الله عنّـا ،وقد نرى مصارع قوم ،لايدينون، ضيقـا

(* *)

ذبيـــــح

وقال تعالى : انّ رحمة الله قريب من المحسنين .

والذبيح : هو الذي يصلح أن يذبح للنسك ، قال ابن الأحمر:

تهدى اليه ذراع البكر تكرمـة امّا ذبيحا ، وامّا كان حلاّ ما

(* * *)

ذبابـــــة

والذّباب الأسود الذي يكون في البيوت ، يسقط في الاناء والطعام، الواحد ذبابة ، ولاتقل ذبّبانة . والذباب أيضا : النحل ولايقال ذبابة فـــي شيء من ذلك ، الا أن أبا عبيدة روى عن الأحمر ذبابة ، هكذا وقع في كتـــاب المصنف ، رواية أبي علي .

(* * * *)

(*) مادة ديخ .
(* *) مادة دين .
(* * *) مادة ذبح .
(* * * *) مادة ذيب .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الرّشـــــدى

ومنهم من جعل رشد يرشد ورشد يرشد بمعنى واحد في الغـــيّ والظلال والارشاد : الهداية والدلالة . والرّشدى من الرشد ، وانشد الاحمر:

لانزل كـــذا ابـــــدا ناعمين فـــي الرّشـــدى

(*)

الرّعلـــــــة

استرعلت الغنم : تتابعت في السّير والمرعى فتقدم بعضهـــا بعضا ، ورعل الشيء رعلا : وسّع شقه ، وروى الاحمر : من السّمات فـــي قطع الجلد الرّعلة ، وهو أن يشق من الاذن شيء ثمّ يترك معلقـــــا ، واسم ذلك المعلق الرّعل .

(* *)

روافـــــــد

والرّفادة : دعامة السرج والرحل وغيرهما ، وقد رفده . ابو زيد: رفدت على البعير أرفد رفدا اذا جعلت له رفادة ،قال الازهرى :هي مثل رفادة السرج. والروافد خشب السقف ، وأنشد الاحمر:

روافده أكرم الرافـــدات بخ لك بخّ لبحر خضـــم

(* * *)

البعيـر الازجـــم

وبعير أزجم : لايرغو ،وقيل : هو الذى لايفصح بالهدير ، وقد يقـــال بالسين. الاحمر: بعير أزيم وأسجم وهو الذى لايرغو.

(* * * *)

(*) مادة رشـد .
(* *) مادة رعـل .
(* * *) مادة رفـــد .
(* * * *) مادة زجـــم .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أزغلـــــت

زغلت البهمة أمها تزغلها زغلا : مهرتها فرضعتهـــــــا

الأحمر : أزغلت المرأة ولدها ، فهي مزغل اذا أرضعته .

(*)

زكـــــت

زكت الاناء زكتا وزكّته : كلاهما ملأه . وزكته الرّبـــــو يزكته : ملأ جوفه .

الأحمر : زكت السقاء والقربة تزكيتا ،والسقاء مزكوت ومزكـــت .

(* *)

التزنيـــــم

والتزّنيم : اسم تلك السّمة اسم كالتنبيت . الأحمر : مـــــن السّمات في قطع الجلد الرّعلة ، وهو أن يشق من الأذن شيء ثـــــم يترك معلقا ، ومنها الزنمة ، وهو أن تبين تلك القطعة من الأذن ، والمفضاة مثلها .

(* * *)

زهنـــــع

الأحمر : يقال زهنعت المرأة وزتتها اذا زيّنتها ونحو ذلـــك، وانشد الأحمر :

بني تميم زهنعوا فتاتكـــم ان فتاه الحيّ بالتزتـــــت

(* * * *)

(*) مادة زغل .

(* *) مادة زكت .

(* * *) مادة زنم .

(* * * *) مادة زهنع .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الأزيـــــم

وبعير أزيم : لايرغو . والأزيم : جبل بالمدينة . الأحمـــر: بعير أزيم وأسجم ، وهو الذى لايرغو .

(*)

اسبيـــــل

وبنو سبالة : قبيلة ، واسبيـل : موضع ، قيل هو اسم بلـد ، قال خلف الأحمر :

لا أرض الا اسبيـــــــل وكل أرض تضليـــــل

(* *)

السابيـــاء

وقال الأصمعي والأحمر : السابياء هو الذى يخرج على رأس الـولد اذا ولد، وقيل السّابياء المشيمة التي تخرج مع الولد.

(* * *)

ســرآت

وسرأت الجرادة تسرأ سرءا ، فهي سروء : باضت ، والجمـــع سروء وسرّأ ، الأخيرة نادرة ،لأن فعولا لايكسر على فعّل . وقال ابـــو عبيد : قال الأحمر: سرأت الجرادة : ألقت بيضها ، وأسرأت : حـــان ذلك منها، ورزّت الجرادة والرّز أن تدخل ذنبها في الأرض فتلقـــي سرأها ، وسروها : بيضها.

(* * * *)

سحســـح

والسّحسحه والسحسح : عرصة الدار وعرصة المحلة .

الأحمر: اذهب فلا أرينك بسحســـي وسحاى وحراى وحراتي وعقوتي وعقاتي .

(* * * * *)

(*) مادة زيـم .

(**) مادة سبـــل .

(* * *) مادة سبـــى .

(* * * *) مادة سرأ . (* * * * *) مادة سحـــح .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

السّـــرداب

قال ابن أحمر هي السّرداب .(١)

(١) قوله " هي السّرداب " هكذا في الأصل وليس بعده شيء وعبـ ـــاره القاموس وشرحه (السرداب بالكسـر خباء تحت الأرض للصيـــــف) كالزرداب والأول عن الأحمر والثاني ببيانه وهو معرب الـــــى آخر عباراته .

(*)

ساعـــد القيـــن

السّعد : اليمن ، وهو نقيض النّحس ، والسّعودة خلاف النحوسـة ، والسعادة خلاف الشقاوة . يقال: يوم سعد ويوم نحس . وفي المثل : فـــــي الباطل دهرين سعد القين ، ومعناهما عندهم الباطل ، قال الأزهـــــرى: لا أدرى ما أصله ، قال ابن سيدة : كأنه قال بطل سعد القين ، فدهريـــــن اسم لبطل وسعد مرتفع به وجمعه سعود . وفي حديث خلف : أنه سمـــــــع أعرابيا يقول دهدرّين ساعد القين ، يريد سعد القين ففيره وجعلـــــه ساعدا.

(**)

الســـــواد

قال الأصمعي : السّواد، بكسر السين ، السّرار ،يقال منه : ساودتـه مساودة وسوادا اذا سارررته ، قال : ولم نعرفها برفع السين ســـــــوادا، قال أبو عبيدة : ويجوز الرفع وهو بمنزلة جوار وجوار ،فالجوار الاسم والجـوار المصدر . قال : وقال الأحمر : هو من ادناء سوادك من سواده وهو الشخـــص

(*) مادة سردب .

(**) مادة سعـــد .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أى شخصك من شخصه ، قال أبو عبيد : فهذا من السرار لأن السرار لايكـــون الا من ادناء السواد ، وأنشد الأحمر :

من يكن في السّواد والدّر والاء رام زيرا ، فانني غير زير

(*)

الأســـــودان

قال الأصمعي والاحمر : الأسودان الماء والتمر ، وانما الأســـود التمر دون الماء وهو الغالب على تمر المدينة ، فأضيف الماء اليـــه ونعتا جميعا بنعت واحد اتباعا ، والعرب تفعل ذلك في الشيئين يصطحبـــان يسمّيان معا بالاسم الأشهر منهما كما قالوا العمران لأبي بكر وعمـــــر ، والقمران للشمس والقمر.

(* *)

المســـــــاد

الأحمر : المساد من السّرّاق أصغر من الحميـــت .

(* * *)

الشجـــاع

وفي الحديث : أنه ، صلى الله عليه وسلم ، قال يجيء كنز أحدهـــم يوم القيامة شجاعا أقرع ، وأنشد الأحمر:

قد سالم الحيّات منه القدمـــا الأفعوان والشجاع الشجعمـــا

(* * * *)

قولهم : ياشيء

قال : ومعناها التأسّف على الشيء يفوت . وقال اللحياني : معنـــاه

(*) مادة سود .
(* *) مادة سود .
(* * *) مادة سيـــد .
(* * * *) مادة شجع .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ياعجبي وما : في موضع رفع الأحمر : يافيء مالي ،ياشيء مالي،وياهيء مالي معناه كله الأسف والتلهف والحزن .

(*)

قولهم ياشي

أبو عبيد عن الأحمر : يافيّ مالي وياشيّ مالي وياهيّ مالي ، معناه كله الأسف والتلهف والحزن .

(* *)

أشياء

وأنه يصغر على أشياء ، وأنه يجمع على اشاوى ، وأصله أشيايئ قلبت الهمزة ياء ، فاجتمعت ثلاث ياءات ، فحذفت الوسطى وقلبت الأخيرة ألفا ، وأبدلت من الأولى واوا، كما قالوا: أتيته أتوة .

وحكى الأصمعي : أنه سمع رجلا من أفصح العرب يقول لخلف الأحمر: ان عندك لأشاوى ، مثل الصحارى ، ويجمع أيضا على أشايا وأشياوات .

(* * *)

الصاءة

وقال الأحمر : هو الصّاءة ، بوزن الصاعة[1]، ماء شخين يخرج مع الولد.

(١) قوله :" وقال الأحمر الصاءة بوزن الصاعة الخ" هكذا هو الأصل، وعبارة التهذيب : أبو عبيد عن الأحمر الصآة بوزن الصعاه ماء شخين يخرج مع الولد . ثعلب عن ابن الاعرابي : الصاءة بوزن الصاعة الخ .

(* * * *)

(*) مادة شيأ .
(* *) مادة شيا .
(* * *) مادة شيا .
(* * * *) مادة صأى .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أصبـــــــر

الأحمر : أقاد السلطان فلانا وأقصّه وأصبره بمعنى واحـــد اذا قتله بقود وأباءه مثله . وفي الحديث: أن النبي صلى الله عليـــه وسلم ، طعـــن انسانا بقضيب مداعبة فقال له : أصبرني ، قال : اصطبـــر، أي أقدني من نفسك ، قال : استقد . يقال : صبر فلان من خصمـــــــه واصطبر أي انتصّ منه . وأصبره الحاكم أي أقصّه من خصمه .

(*)

الصلتـــــان

الأحمر والفرّاء : الصلتان ، والفلتان ، والبزوان ، والصّميـــان؛ كل هذا من التقلب ، والوثب ونحوه .

(* *)

الصهابيّـــــا

قال : يريد الصهابّيا ، من الصهبة ، وقال خلف الأحمر : أنشدنـــي رجل من أهل البادية :

خالـي عويف وأبو علـــــــجّ
المطعمـــان اللحم بالعشـــــــج
وبالغداة كســـــر البرنـــــجّ

(* * *)

أصرتـــــــــه

والصّور ، بالتحريك : الميل . ورجل أصور بين الصّور أي مائـــل مشتاق . الأحمر : صرت اليّ الشيء وأصرته اذا أملته اليك ، وأنشد :

أصـار سديسهـا مسد مريـــــــج

(* * * *)

(*) مادة صبـــر.
(* *) مادة صلـــت .
(* * *) مادة صهـــب .
(* * * *) مادة صـــور .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الصـــــاءة

قال ويكون الصّوى بمعنى الشحم والسمن .

الأحمر : هو الصاءة بوزن الصاعة ماء ثخين يخرج مع الولد .

(*)

الصّـــــــآءُ

ما يخرج من رحم الشاه بعد الولادة . قال أحمر : الصـــاءة بوزن الصاعة والصآة بوزن الصعاة ، والصياة بوزن الصيعة والصيّـــة الماء الذى يكون في المشيمة ، وأنشد شمر :

على الرجلين صاء كالخـــــــراج

قال : وبعت الناقة بصيتها أى بحد ثان نتاجها .

(* *)

مضطغـــــــن

وضغـن فلان الى الصلح اذا مال اليه . والاضطغان : الاشتمـــال. والاضطغان : أخذ الشيء تحت حضنك ، تقول منه : اضطغنت الشيء، وانشـد الأحمر للعامرية :

لقد رأيت رجلا دهريـــــــــا
يمشي وراء القوم سيتهيـــــا
كأنه مضطغن صبيّـــــــــا

أى حاملة في حجره . والدّهرى منسوب الى بني دهر بطن من كـــلاب والسّيتهـــيّ : أى الذى يتخلف خلف القوم .

(* * *)

(*) مادة صوى .
(* *) مادة صيا .
(* * *) مادة ضغـــن .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الطـــــــاءة

قال ابن برى : قال الأحمر الطاءة مثل الطاعة الحماة ، والطآة مقلوبة من الطاءة مثل الصآة مقلوبة من الصاءة ، وهي ما يخـــــــرج من القذى مع المشيمة .

(*)

طـــــــــبّ

الأحمر : من أمثالهم في التنوق في الحاجة وتحسينها : أصنعـــه صنعة من طبّ لمن حبّ أى صنعه حاذق لمن يحبّه .

وجاء رجل الى النبي ، صلى الله عليه وسلم ، فرأى بين كتفيـــه خاتم النبوة ، فقال : ان أذنت لي عالجتها فاني طبيب . فقال لـــه النبي صلى الله عليه وسلم : طبيبها الذى خلقها ، معناه : العالـــم بها خالقها لا أنت .

" وجاء يستطبّ لوجعه أى يستوصف الدواء أيها يصلح لدائه "

والطب : الرفق .

والطبيب : الرفيق .

(* *)

طبـــــــــق

يقال جاء باحدى بنات طبق وأصلها من الحيّات ، وذكر الثعالبي أن طبقا حيّة صفراء ، ولمنا نعي المنصور الى خلف الأحمر أنشأ يقول :

قد طرّقت ببكرها أم طبـــــق فدمّروها وهمة ضخم العنـــق

موت الا مام فلقة من الفلـق

(* * *)

(*) مادة طـــآ .

(* *) مادة طبب .

(* * *) مادة طبـــق .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الطـــــلاوة

والطلاوة : ما يطلى به الشيء ، وقياسه طلابة لأنه من طليت ، فدخلت الواو هنا على الياء كما حكاه الأحمر عن العرب من قولهم ان عندك لأشاوى .

والطلى : الصغير من كل شيء ،وقيل : الطلي هو الولد الصغير من كل شيء ، وشبه العجاج رماد الموقد بين الأشافي بالطلى بين أمهاته فقال :

طلى الرّماد استرئم الطلي

أراد : استرئمه .

(*)

الطيـــــف

قال أبو منصور : الطيف في كلام العرب الجنون ، رواه أبو عبيد عن الأحمر، قال : وقيل للغضب طيف لأن عقل من استفزه الغضب يعزب حتى يصير في صورة المجنون الذى زال عقله .

(* *)

طيـــــن

ويروى طيم ، كذا أنشده ابن سيدة والجوهرى وغيرهما. قال ابن برى : صواب انشاده الى تلك بإلى الجارّة ، قال : والشعر يدل على ذلك ، وأنشد الأحمر :

لئن كانت الدنيا له قد تزينت على الارض ،حتى ضاق عنها فضاؤها

لقد كان حرّا يستحي ان تصمه الى تلك،نفس طين فيها حياؤها

يريد أن الحياء من جبلتها وسجيتها.

(* * *)

(*) مادة طلي .

(* *) مادة طوف .

(* * *) مادة طين .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

عجيـــــس

وعجّـس : أبطأ . ولا آتيك سجيـس عجيس اى طول الدهـــــــر، وهو منه لأنه يتعجس أى يبطىء فلا ينفد أبدا . ولا آتيك عجيـــــــس الدهر أى آخره ، أبو عبيد عن الأحمر:

فأقسمت لا آتي ابن صمرة طائعـا سجيس عجيس ، ما أبان لساني

عجيس مصغر ، أى لا آتية أبدا، وهو مثل قولهم لا آتيك الأزلـــم الجذع ، وهو الدهر .

(*)

عـــــــدل

تأتي عدل بمعنى أشرك .

قال الأحمر : عدل الكافر بربّه عدلا وعدولا اذا سوّى بـــــه غيره فعبده .

(* *)

عذر البعيـــر

والعذار : سيمة في موضع العذار ، وقال أبو علي في التذكـرة : العذار سمـة على القفا الى لصّدغين ، والأول أعرف . وقال الأحمـــــر: من السمات العذر ، وقد عذر البعير ، فهو معذور ، والعذورة : سمة كالعذار.

(* * *)

المتغتـــــرف

الجوهري : الغطرفه والتغطرف والتغترف التكبر ، وأنشد الأحمر لمغلس بن لقيط :

فانك ، ان عاديتني غضب الحصـــى عليك،وذو الجبّورة المتغترف

(* * * *)

(*) مادة عجس .

(* *) مادة عدل .

(* * *) مادة عذر .

(* * * *) مادة عطرف .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

غبيـــراء

التهذيب : يقال جاء فلان على غبيراء الظهر ، ورجع عوده على بدئه ،ورجع على أدراجه ورجع درجة الأول ، ونكص على عقبيه ، كل ذلك اذا رجع ولم يصب شيئا. وقال ابن أحمر: اذا رجع ولم يقدر على حاجته قيل : جاء على غبيراء الظهر كأنه رجع وعلى ظهره غبار الأرض .

(*)

المتفتـــرف

التفترف مثل التفطرف : الكبر ، وأنشد الأحمر:

فانك ان عاديتني غضب الحصى عليك ، وذو الجبّورة المتفترف

ويروى : المتفطرف ،قال : يعني الرب تبارك وتعالى .

(* *)

الغيـــادق

أبو زيد : يقال لولد الضب حسل ثم يصير غيداقا ثم يصير مطبخا ثم يكون ضبّا مدركا ، ولم يذكر الخضرم بعد المطبّخ وذكره خلف الأحمر. والغيادق : الحيّات وفي الحديث ذكر بئر غدق ، بفتحتين ، بئر معروفة بالمدينه ، والله أعلم .

(* * *)

الفدّادون

قال الأصمعي : وهم الذين تعلو أصواتهم في حروثهم وأموالهم ومواشيهم وما يعالجون منها ، وكذلك قال الأحمر.

(* * * *)

(*) مادة غبر.
(* *) مادة غترف .
(* * *) مادة غدق .
(* * * *) مادة فدد .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفسق

الفسق : العصيان والترك لأمر الله عز وجل والخروج عن طريق الحق . فسق يفسق ويفسق فسقا وفسوقا وفسق ، الضم عن اللحياني، أي فجر ؛ قال رواه عنه الأحمر، قال : ولم يعرف الكسائي الضم، وقيل الفسوق الخروج عن الدين ، وكذلك الميل الى المعصية كما فسق ابليس عن أمر ربه ، وفسق عن أمر ربه أي جار ومال عن طاعته .

(*)

فيّ

وأختيار اللحياني : يافيّ مالي ، وروى أيضا ياهيء . قال أبو عبيد : وزاد الأحمر ياشيء ، وكلها بمعنى ، وقيل : معناها كلها التعجّب .

(* *)

المقرّبة

الأحمر : الخيل المقربه التي تكون قريبة معدّة .

(* * *)

قرد

وفي حديث عائشة ، رضي الله عنها : كان لنا وحش فاذا خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أسعرنا قفزا فاذا حضر مجيئه اقرد أي سكن وذل . وأقرد الرجل وقرد : ذل وخضع ، وقيل : سكت عني . وأقرد اى سكن وتماوت ، وأنشد الأحمر :

تقول اذا أقولى عليها وأقـردت ألا هَلْ أخو عيش لذيذ بدائم ؟

(* * * *)

(*) مادة فسق .
(* *) مادة فيا .
(* * *) مادة قرب .
(* * * *) مادة قرد .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المقصـــــــاة

وقال الأحمر : المقصّاة من الابل التي شق من أذنها شـــــيء ثم ترك معلقا.

(*)

اقلـــولـــــى

ويقال : أقلولى الرجل في أمره اذا انكمش ، واقلولـــــــت الحمر في سرعتها ، وأنشد الأحمر للفرزدق :

تقول ، اذا اقلولن عليها وأقردت : ألا هَلْ أخو عيش لذيذ بدائم ؟

(* *)

القفشلية

القفشلية : المغرفة . فارسيّ معرّب ، وحكي عن الأحمر : أنها أعجميّة أصلها كبجلار .

(* * *)

القـــــود

وفي الحديث : من قتل عمدا ، فهو قود ، القود : القصاص وقتل القاتل بدل القتيل، وقد أقدته به أقيده اقادة . الليث : القود قتل القاتل بالقتيل ، تقول : أقدته ، واذا أتى انسان الى آخر أمرا فأنتقم منه بمثلها قيل : استقادها منه ، الأحمر: فان قتله السلطان بقـــــود قيل : أقاد السلطان فلانا وأقصّه .

(* * * *)

(*) مادة قصا .

(* *) مادة قلا .

(* * *) مادة قفش .

(* * * *) مادة قود .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كتكـــــت

الأحمر : كتكـت فلان بالضحك كتكتـة ، وهو مثل الخنين .

(*)

الكـــــدون

أبو عمرو : الكدون التي توطّئ بها المرأة لنفسها فـــي الهودج ، قال : وقال الأحمر هي الثياب التي تكون على الخدور ، واحداها كدن . والكدن والكدن : مركب من مراكب النساء . والكدن والكـــــدن : الرّحل .

(* *)

الملتبئـــة

الأحمر : بينهم الملتبئة أى هم متفاوضون لايكتم بعضهم بعضا .

(* * *)

اللّبـــــب

قال الأحمر : معظم الرمل العقنقل ، فاذا نقص قيل : كثيـــب فاذا نقص قيل : عوكل ، فاذا نقص قيل : سقط ، فاذا نقص قيل : عـــداب ، فاذا نقص قيل : لبب ، التهذيب : واللّبب من الرمل ما كان قريبـــا من حبل الرّمل .

(* * * *)

لـــبّ بالمكـــان

قال الأزهرى : سمعت أبا الفضل المنذرى يقول : عرض علـــى أبي العباس ما سمعت من أبي طالب النحوى في قولهم لبيّك وسعديـــك،

(*) مادة كتـت .
(* *) مادة كـدن .
(* * *) مادة لبـأ .
(* * * *) مادة لبـب .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

قال : قال الفراء: معنى لبيّك ، اجابة لك بعد اجابة ، قال : ونصبه على المصدر .

قال :وقال الاحمر: هو ماخوذ من لبّ بالمكان وألبّ به اذا أقام وأنشد:

لبّ بأرض ما تخطاها الغنم

(*)

الملتبية

الاحمر : يقال بينهم الملتبية غير مهموز أى متفاوضون لايكتم بعضهم بعضا انكارا ، وأكثر هذا الكلام مذكور في لبب ، وانما الجوهرى أعاد ذكره في هذا المكان أيضا فذكرناه كما ذكره .

واللبو : قبيلة من العرب ، النسب اليه لبوى على غير قياس ، وقد تقدم في الهمز.

(* *)

لحدت

وروى عن الاحمر : لحدت جرت وملت ، والحدت ماريت وجادلت . والحد : مارى وجادل . والحد الرجل أى ظلم في الحرم ، وأصله من قوله تعالى : ومن يرد فيه بالحاد بظلم ، أى الحادا بظلم ، والباء فيه زائدة.

(* * *)

اللقطة

وروى أبو عبيد عن الاصمعي والاحمر قالا :هي اللقطة والقصعة والنفقه مثقلات كلها ، وقال: وهذا قول حذاق النحويين لم أسمع

(*) مادة لبب .
(* *) مادة لبى .
(* * *) مادة لحد .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لقطة لغير الليث ، وهكذا رواه المحدّثون عن أبي عبيد أنه قال في حديث النبي ، صلى الله عليه وسلم ، انه سئل عن اللقطه فقال : احفظ عفاصها ووكاءها . وأما الصبيّ المنبوذ يجده انسان فهو اللقيط عند العرب ، فعيل بمعنى مفعول والذى يأخذ الصبيّ أو الشيء الساقط يقال له : الملتقط .

(*)

المريطاء

وقال الأصمعي : المريطاء ، ممدودة ، هي ما بين السرة الى العانة ، وكان الأحمر يقول هي مقصورة والمريطاء : الابط ، قال الشاعر :

كأن عروق مريطائها ... اذا لضت الدرع عنها ، الحبال(١)

والمريطاء : الرّباط .

(١) قوله "لضت" كذا هو في الأصل ، وشرح القاموس باللام ولعله بالنون كأنه يشبه عروق إبط امراة بالحبال اذا نزعت قميصها .

(* *)

المشش

والمشش : ورم يأخذ في مقدّم عظم الوظيف أو باطن الساق في انسيّه ، وقد مششت الدابة ، باظهار التضعيف نادر ، قال الأحمر : وليس في الكلام مثله ، وقال غيره : ضبب المكان اذا كثر ضبابه وألل السّقاء اذا خبث ريحه .

(* * *)

ذو الملسى

وذو الملسى : مثل السّلال والخارب يسرق المتاع فيبيعه بدون ثمنه ، ويملسّ من فوره فيستخفي ، فان جاء المستحق ووجد ماله

(*) مادة لقط .
(* *) مادة مرط .
(* * *) مادة مشش .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

في يد الذى اشتراه أخذه وبطل الثمن الذى فاز به اللصّ ولابتهيأ له أن يرجع به عليه . وقال الأحمر من أمثالهم في كراهية المعايب : الملس لاعهدة له أى أنه خرج من الأمر سالما وانقضى عنه لا له ولاعليه ، والأصل في الملس ما تقدم .

(*)

النثيل

النثيل : الروث .

قال الأحمر : يقال لكل حافر ثل ونثل اذا راث

(* *)

النشع

والنشع والانتشاع : انتزاعك الشيء بعنف .

والنشاعة : ما انتشعه بيده ثم ألقاه . قال ابو حنيفة :

قال الأحمر : نشع الطيّب شمّه .

والنشّع من الماء : ما خبث طعمه .

(* * *)

النعرة

قال الأحمر : النعرة دبابة تسقط على الدواب فتؤذيها .

(* * * *)

تنعى

الأحمر : ذهبت تميم فلا تنعى ولا تسهى أى لا تذكر . والمنعى

(*) مادة ملس .
(* *) مادة نثل .
(* * *) مادة نشع .
(* * * *) مادة نعر .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والمنعاة: خبر الموت ، يقال : ما كان منعى فلان منعاة واحدة ، ولكنه كان مناعي.

(*)

النّهنه

الأحمر: النّهنه واللّهله الثوب الرقيق النسج .

(* *)

الهلباجة

ويقال للّبن الخاثر : هلباجة أيضا . ولبن هلباج وهلبج : خاثر. قال خلف الأحمر : سألت أعرابيا عن الهلباجة فقال : هو الأحمق الضخم الفدم الأكول الذى ..... الذى .... الذى .... ، ثم جعل يلقاني بعد ذلك فيزيد في التفسير كل مرة شيئا ، ثم قال لي بعد حين واراد الخروج: هو الذى جمع كل شرّ .

(* * *)

نبات الأوبر

قال أبو زيد : بنات الأوبر كمأة صغار مزغبة على لون التراب ، وأنشد الأحمر :

ولقد جنيتك أكمؤا وعساقلا ولقد نهيتك عن بنات الأوبر

أى جنيت لك ، كما قال تعالى : واذا كالوهم أو وزنوهم .

(* * * *)

(*) مادة نعا.
(* *) مادة نهنه .
(* * *) مادة هلبج .
(* * * *) مادة وبر .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الوقيـــــد

والوقيذ والموقوذ : الشديد المرض الذى قد أشرف علـــــى الموت ، وقد وقذه المرض والغم . قال ابن جني : قرأت على ابـــــي علي عن أبي بكر عن بعض أصحاب يعقوب عنه قال : يقال تركتـــــه وقيذا ووقيظا ، قال : قال الوجه عندى والقياس أن يكون الـــــذال بدلا من الظاء لقوله عز وجل والمنخنقة والموقوذة ، ولقولهـــــم وقذه ، وقال : ولم أسمع وقظة ولاموقوظة ،فالذال اذا أعم تصرفا . قال: ولذلك قضينا على أن الذال هي الأصل . وقال الأحمر: ضربه فوقظه .

(*)

وقطـــــه

ووقطه : قلبه على رأسه ورفع رجليه فضربهما ، مجموعتيـــــن، بفهـــر سبع مرات ، وذلك مما يداوى به . ووقطه بعيره : صرعـــــه فغشي عليه . وأكلت طعاما وقطني أى آنامني . وكل مشخن ضربـــــا او مرضا أو حزنا أو شبعا وقيظ . الأحمر : ضربه فوقطه اذا صرعه لايقوم منها .

والموقوط : الصريع . ووقط به الأرض اذا صرعه .

(* *)

وكـرتـــــه

وتوكرّ الصبّي : امتلأ بطنه . وتوكر الطائر : امتلأت حوصلته وقال الأحمر : وكرته ووركته وركا .

(* * *)

(*) مادة وقذ .
(* *) مادة وقط .
(* * *) مادة وكر .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أيمنـــــك

قال أبو منصور : لقد أحسن أبو عبيد في كل ما قال في هذا القول ، الا أنه لم يفسر قوله أيمنك لم ضمّت النون ، قال : والعلة فيها كالعلة في قولهم لعمرك كأنه أضمر فيها يمين ثان ، فقيل وأيمنك ، فلأيمنك عظيمة ، وكذلك لعمرك فلعمرك عظيم ، قال : قال ذلك الأحمر والفراء .

(*)

ولم يقتصر اتصاله باللغة على هذه الألفاظ التي أوردها ابن منظور ، فهناك الكثير من أخباره التي استشهد بها أهل اللغة فيما بعد.(١)

(*) مادة يمن .

(١) انظر مثال ذلك العسكري ، ديوان المعاني ، ٢:٧٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المصـــادر والمراجـــع

١. ابن الأثير ـ عز الدين ، أبو الحسين علي بن أبي المكرم محمد بن محمد (٥٥٥ ـ ٦٣٠ هـ)، الكامل في التاريخ ، بيروت ، ١٩٦٥م.

٢. احسان عباس ، تاريخ النقد الأدبي عند العرب ، دار الثقافة ، الطبعة الثانية ، بيروت ـ لبنان.

٣. احسان الهي ظهير، الشيعة والسّنة ، دار الصحوة للنشر ، ١٩٨٦م، الطبعة الأولى .

٤. الأخفش الأصغر ـ أبو المحاسن ، علي بن سليمان (ت ٣١٥ هـ)، الاختيارين ، تحقيق : فخر الدين قباوة ، دمشق ، مطبوعات مجمع اللغة العربية ١٩٧٤م.

٥. أحمد كمال زكي ، الحياة الأدبية في البصرة ، دمشق ، دار الفكر، ١٩٦١م.

شعر الهذليين في العصرين الجاهلي والاسلامي ، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر ، القاهرة ، ١٩٦٩م.

٦. أحمد مختار عمر . البحث اللغوى عند العرب ، دار المعارف بمصر ، ١٩٧١م.

٧. الأزهري ـ أبو منصور ، محمد بن أحمد الهروى (٢٨٢ ـ ٣٧٠ هـ)، تهذيب اللغة ، تحقيق : عبد السلام هارون ، مراجعة محمد علي النجار ، القاهرة : الدّار المصرية للتأليف والترجمة ، ١٩٦٤م.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٠٨ الأستراباذي ـ محمد رضي الدين بن الحسن ٠
شرح الكافية ، ـ استانبول ، المطبعة العامرة ، ١٢٧٥هـ٠

٠٩ الأصفهاني ـــ أبو الفرج ، علي بن الحسين (ت ٣٥٦ هـ)٠
الأغاني ، طبعة دار الكتب وطبعة الساسي ٠

٠١٠ الأصمعي ـ أبو سعيد ، عبد الملك بن قريب بن عبد الملـــك
(ت ٢١٦ هـ)٠
أ) الأصمعيات ، تحقيق : احمد محمد شاكر وعبد الســلام
هارون ، الطبعة الرابعة ، دار المعارف بمصر ٠
ب) فحولة الشعراء ،شرح وتحقيق محمد عبد المنعم خفاجي
وطه الزيني ،
القاهرة ، ١٩٥٣م ، المطبعة المنيريّة ٠

٠١١ الياس عشي ،
أبو نواس ، بيروت ، دار الكتاب اللبناني ، ١٩٧٣م٠

٠١٢ ابن الأنباري ـ أبو البركات ، عبد الرحمن بن محمد (ت ٥٣٧ هـ)،
نزهة الألبّاء في طبقات الأدباء ، تحقيق : ابراهيم
السامرائي ، مكتبة المنار ـ الأردن ، الطبعة الثالثة ،
١٩٨٥م٠

٠١٣ بروكلمان ، كارل ٠
تاريخ الأدب العربي ، نقله الى العربية عبد الحليم
النجار ، القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٦٠م ٠

٠١٤ بشار بن برد ٠
ديوان شعره ، نشر وتقديم محمد الطاهر ابن عاشـــور،
تعليق محمد رفعت فتح الله ومحمد شوقي أمين ، القاهرة ،
لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ١٩٦٦م٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

١٥. البغدادى ـ أبو بكر ، أحمد بن بكر بن ثابت (٣٩٢ ـ ٤٦٣ هـ) ٠
تاريخ بغداد ، بيروت ، دار الكتاب العربي ٠

١٦. البغدادى ـ عبد القادر بن عمر (ت ١٠٩٣ هـ) ٠
خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب ، تحقيق :
عبد السلام هارون ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ،
١٩٧٩م٠

١٧. البكرى ـ أبو عبيد ، عبد الله بن عبد العزيز (ت ٤٨٧ هـ)٠
سمط اللآلي ، تحقيق : عبد العزيز الميمني ،
القاهرة ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ١٩٣٦م٠

١٨. البلاذرى ـ أحمد بن يحيى بن جابر (ت ٢٧٩ هـ) ٠
فتوح البلدان ، نشر عبد الله وعمر الطباع ، بيروت ،
دار النشر للجامعيين ، ١٩٥٨م ٠

١٩. تأبّط شرّا ٠
ديوان شعره ، جمع وتحقيق : علي ذو الفقار شاكر ،
بيروت ، دار الغرب الاسلامي ، ١٩٨٤م٠

٢٠. التبريزى ـ أبو زكريا ، يحيى بن علي الخطيب (ت ٥٠٢ هـ) ،
شرح ديوان الحماسة ، تحقيق : محمد محيي الدين
عبد الحميد ، القاهرة ، المكتبة التجارية ، ١٩٣٨م٠

٢١. أبو تمّام ـ حبيب أوس الطائي :
أ) ديوان الحماسة ، شرح أبي عبدالله محمد التبريزى ،
مطبعة الجمالية ، ١٩١٦م٠
ب) الوحشيات ، (الحماسة الصغرى) ، علّق عليه وحققه :
عبد العزيز الميمني وزاد في حواشيه : محمود محمد
شاكر ، دار المعارف بمصر ، الطبعة الثانية ٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٠٢٢ الثعالبي ـ ابو منصور ، عبد الملك بن محمد بن اسماعيل (٣٥٠ ـ ٤٢٩ هـ)٠
يتيمة الدّهر في شعراء أهل العصر ،تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد ، القاهرة ، مكتبة الحسين التجارية ، ١٩٤٧م٠

٠٢٣ ثعلب ـ أبو العبّاس ، أحمد بن يحيى (٢٠٠ ـ هـ) ٠
شرح ديوان زهير بن أبي سلمى ، دار الكتب الهيئة العامة للكتاب ، ١٩٤٤م٠

٠٢٤ الجاحظ ـ أبو عثمان ، عمرو بن بحر بن محبوب (ت ٢٥٥ هـ) :
أ) البيان والتبيين ، تحقيق : عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي بمصر ، ١٩٦١م ، الطبعة الثانية٠
ب) الحيوان ، تحقيق : عبدالسلام هارون ، مكتبة مصطفى البابي بمصر ، ١٩٤٥م٠
ج) البرصان والعرجان والعميان والحولان ، تحقيق : عبد السلام هارون ، بغداد ، دار الرشيد ، ١٩٨٢م٠

٠٢٥ ابن جنيّ ـ أبو الفتح ، عثمان بن جنيّ (ت ٣٩٢ هـ)٠
الخصائص تحقيق : محمد علي النجار ، دار الكتب المصرية ،١٩٥٢م٠

٠٢٦ حاجي خليفة ـ مصطفى بن عبدالله (ت ١٠٦٦ هـ) ٠
كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ،عني بتصحيحه : محمد شرف الدّين ورفعت الكيسي ، استانبول ، وكالة المعارف ومطبعتها ، ١٩٤١م٠

٠٢٧ حسين عطوان ٠
الشعراء من مخضرمي الدولتين الاُموية والعباسية ، مكتبة المحتسب ، عمان ، ودار الجيل ، بيروت ، الطبعة الاُولى ، ١٩٧٤م٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٠٢٨ الخالديان ٠ أبو بكر محمد (ت ٣٨٠ هـ) وأبو عثمان سعيد (ت ٣٩٠ هـ)٠
الاشباه والنظائر ، تحقيق : السيّد محمد يوسف، لجنة التاليف والترجمة ، القاهرة ،١٩٥٨م٠

٠٢٩ خلف الاحمر ـ أبو محرز بن حيّان (ت ١٨٠ هـ)٠
مقدمة في النحو ، تحقيق : عز الدين التنوخي، دمشق ١٣٨١ هـ ، مطبوعات مديرية احياء التراث القديم ٠

٠٣٠ ابن خلكان ـ أبو العباس ، شمس الدين ، أحمد بن محمد ابن أبي بكر (٦٠٨ ـ ٦٨١ هـ)٠
وفيات الاعيان وأنباء أبناء الزمان ، تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد ، مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٤٨م٠

٠٣١ داود سلوم والدكتور نورى حمورى القيسي ٠
شخصيات كتاب الاغاني ، مطبعة المجتمع العلمي العراقي ، بغداد ، ١٩٨٢م٠

٠٣٢ ابن دريد ـ أبو بكر ، محمد بن الحسن (٢٢٣ ـ ٣٢١ هـ) ٠
جمهرة اللغة ، بيروت ، دار صادر ٠

٠٣٣ الذهبي ـ شمس الدين ، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان (ت ٧٤٨ هـ)٠
ميزان الاعتدال في نقد الرجال ، تحقيق : علي محمد البجاوى ، دار احياء التراث العربي ، القاهرة٠

٠٣٤ ذو الرّمة ـ غيلان بن عقبة العدوى (ت ١١٧ هـ)٠
ديوان شعره ، شرح احمد بن حاتم الباهلي ، رواية ثعلب ، تحقيق : عبدالقدوس أبو صالح ، دمشق، مجمع اللغة العربية ، ١٩٧٢م(ثلاثة أجزاء)٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٠٣٥ ابن رشيق القيرواني – أبو علي ، الحسن بن رشيق (ت ٤٦٣ هـ).
العمدة في محاسن الشعر وآدابه ، تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد ، القاهرة ، المكتبة التجارية الكبرى ، ١٩٦٤م.

٠٣٦ الزبيدى – أبو بكر ، محمد بن الحسن (ت ٣٧٩ هـ).
طبقات النحويين واللغويين ، تحقيق : محمد أبو الفضل ابراهيم ، ١٩٥٤م.

٠٣٧ الزجّاجي – أبو القاسم ، عبد الرحمن بن اسحاق (ت ٣٣٧ هـ).
— الأمالي ، تحقيق : عبد السلام هارون ، الطبعة الثانية ، بيروت ، دار الجيل ، ١٩٨٧م.
— مجالس العلماء ، تحقيق : عبدالسلام هارون ، الكويت وزارة الارشاد والانباء ، ١٩٦٢م.

٠٣٨ الزمخشري – أبو القاسم، محمود بن عمر (٤٦٧ – ٥٣٨ هـ).
أعجب العجب في شرح لاميّة العرب ، ومعه شرح منسوب للمبّرد ، الطبعة الأولى ،دار الوراقة .

٠٣٩ زياد الأعجم – أبو امامة العبدى ، زياد بن سليمان .
شعر زياد الأعجم ، جمع وتحقيق ودراسة : حسين بكّار ، بيروت ، دار المسيرة ، ١٩٨٣م.

٠٤٠ السجستاني – أبو حاتم ، سهل بن محمد بن عثمان الجشمي (ت ٢٥٥هـ).
المعمرون والوصايا ، تحقيق : عبد المنعم عامر، دار احياء الكتب العربية ،القاهرة ، ١٩٦١م.

٠٤١ السخاوى – شمس الدين محمد بن عبدالرحمن (٨٣١ – ٩٠٢ هـ).
الضوء اللامع لأهل القرن التاسع ، بيروت ، دار مكتبة الحياة ، (١٩).

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٠٤٢ ابن سعد ـ أبو عبدالله ، محمد بن سعد الزهرى (ت ٢٣٠ هـ)٠
الطبقات الكبرى ، القاهرة ، لجنة نشر الثقافة الاسلامية ١٣٥٨ هـ٠

٠٤٣ ابن سلاّم ـ محمد بن سلاّم الجمحي ، (ت ٢٣١ هـ)٠
طبقات فحول الشعراء ، تحقيق : محمود محمد شاكر، طبعة ، دار المعارف القاهرة (١٩)٠

٠٤٤ السّمعاني ـ عبدالكريم بن محمد بن منصور (ت ١١٦٦م)٠
الأنساب ، تحقيق وتعليق : عبدالرحمن بن يحيى المعلمي اليماني ، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية ، ١٩٦٢ ـ ١٩٦٦م٠

٠٤٥ السيرافي ـ أبو سعيد ، الحسن بن عبدالله (ت ٣٦٨ هـ)٠
أخبار النحويين البصريين ، تحقيق : طه الزيني ومحمد عبد المنعم خفاجي ، القاهرة ، ١٩٥٦م٠

٠٤٦ السيوطي ـ عبد الرحمن بن أبي بكر (ت ٩١١ هـ)٠
أ) المزهر في علوم اللغة وأنواعها، طبعة محمد سعيد الرافعي ، مطبعة السعادة بمصر ، ١٣٢٥ هـ ٠
ب) بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ، الطبعة الأولى ، ١٣٢٦ هـ ، مطبعة السعادة بمصر ٠
جـ) همع الهوامع في شرح جمع الجوامع ، تحقيق : عبدالسلام هارون وعبد العال مكرم ، الكويت ، دار البحوث العلمية ، ١٩٧٥م٠

٠٤٧ الشنفرى ـ عمر بن مالك الأزدى ٠
لاميّة العرب ، شرح وتحقيق : محمد بديع الشريف ، بيروت ، دار مكتبة الحياة ، ١٩٦٤م٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٠٤٨ شوقي ضيف ٠

العصر العبّاسي الأول ، الطبعة الثانية ، دار المعارف بمصر٠

٠٤٩ الطبري ـ محمد بن جرير (٢٣٤ ـ ٣١٠ هـ) ٠

تاريخ الأمم والملوك ، تحقيق : محمد أبو الفضل ابراهيم ، طبعة ،دار سويدان ، بيروت ٠

٠٥٠ طه حسين ٠

في الأدب الجاهلي ، القاهرة ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ١٩٣٧م ، والطبعة الثانية ، القاهرة، دار المعارف ،١٩٦٢م٠

٠٥١ أبو الطيّب اللغوي ـ عبد الواحد بن عليّ (ت ٣٥١ هـ)٠

مراتب النحويين ، تحقيق : محمد أبو الفضل ابراهيم، القاهرة ، ١٩٧٤م٠ مكتبة نهضة مصر٠

٠٥٢ ابن عبد البّر ـ أبو عمر ، يوسف بن عبد البرّ النمري القرطبي (ت ٤٦٣ هـ)٠

مختصر جامع بيان العلم وفضله ،ادارة الطباعة المنيرية ، دار الكتب العلمية ، بيروت ـ لبنان ٠

٠٥٣ عبد الحميد الشلقاني ٠

أ) مصادر اللغة ، عمادة شؤون المكتبات ،الرياض ،١٩٨٠م٠

ب) رواية اللغة ، دار المعارف بمصر٠

٠٥٤ ابن عبد ربّه ـ أبو عمر، أحمد بن محمد الأندلسي ٠(ت ٣٢٨ هـ) العقد ، شرحه وضبطه : أحمد أمين ، أحمد الزين، ابراهيم الأبياري ، مطبعة لجنة التأليف والنشر والترجمة والنشر ،١٩٤٦م٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٠٥٥ عبد الرحمن صدقي ٠
أبو نواس ، قصة حياته وشعره ، القاهرة ، دار احياء الكتب العربية ، ١٩٤٤م٠

٠٥٦ عبد الكريم القيرواني النهشلي (٤٥٠ ـ ٥٠٠ هـ)٠
الممتع في صنعة الشعر ، تحقيق : عبّاس عبد الساتر ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٨٣م٠

٠٥٧ عدىّ بن زيد العبّادى ٠
ديوان شعر ، تحقيق : محمد جبّار المعيد ، بغداد ، دار الجمهورية ، ١٩٦٥م٠

٠٥٨ العسكرى ـ أبو أحمد ، الحسن بن عبدالله العسكرى :
أ) المصون في الأدب ، تحقيق : عبدالسلام هارون ، مكتبة الخانجي بالقاهرة ، ودار الرفاعي بالرياض ، الطبعة الثانية ، ١٩٨٢م٠
ب) شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف ، تحقيق : عبدالعزيز أحمد ، القاهرة ، ١٩٦٣م٠

٠٥٩ العسكرى ـ أبو هلال ، الحسن بن عبد الله (ت ٣٩٥ هـ)٠
أ) الصناعتين ، تحقيق : علي محمد البجاوى ، ومحمد أبو الفضل ابراهيم ، دار احياء الكتب العربيّة ، ١٩٥٢م ، الطبعة الأولى ٠
ب) ديوان المعاني ، القاهرة ، مكتبة القدسي ، ١٩٣٣م٠

٠٦٠ عمر رضا كحالة ٠
معجم المؤلفين ، مطبعة الترقي ، بدمشق ، ١٩٥٧م٠

٠٦١ أبو عمر الشيباني ٠
مقدمة كتاب الجيم ٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٠٦٢ عوني حمد القوزي ٠
المصطلح النحوي ، عمادة شؤون المكتبات ، جامعة الرياض ٠

٠٦٣ ابن فارس ـ أبو الحسين ، أحمد بن فارس بن زكريا (ت ٣٩٥ هـ)٠
معجم مقاييس اللغة ، تحقيق : عبدالسلام هارون ، دار احياء التراث العربي ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، ١٣٧١ هـ٠

٠٦٤ الفراء ـ أبو زكريا ، يحيى بن زياد (ت ٢٠٤ هـ)٠
المنقوص والممدود ، والتنبيهات لعلي بن حمزة ، تحقيق : عبد العزيز الميمني ، دار المعارف بمصر٠

٠٦٥ القالي ـ أبو علي ،علي بن اسماعيل بن القاسم البغدادي (ت ٣٥٦ هـ)٠
الأمالي ، ويليه ذيل الأمالي والنوادر ، القاهرة ، المطبعة الاميرية ، ١٩٠٦ م٠

٠٦٦ ابن قتيبة ـ أبو محمد ، عبدالله بن مسلم (ت ٢٧٦ هـ)٠
أ) الشعر والشعراء ، طبعة محققة مفهرسة ،دار الثقافة ، بيروت ٠
ب) المعارف ، تحقيق وتقديم : ثروت عكاشة ، القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٦٩م ، الطبعة الثانية ٠
ج) عيون الأخبار ، القاهرة ،دار الكتب المصرية ،١٩٣٠هـ٠ ونسخة بيروت ، دار الكتاب العربي ، ١٩٨٠م٠

٠٦٧ القفطي ـ علي بن يوسف (ت ٦٤٦ هـ) ٠
انباه الرواة على انباه النجاة ، تحقيق : محمد أبو الفضل ابراهيم ، الطبعة الأولى ، دار الفكر العربي، القاهرة ، ١٩٨٦م٠

٣٧٨١١٩

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٠٦٨ قيس بن الخطيم ٠
ديوان شعره عن ابن السكيت وغيره ، تحقيق وتعليق : ناصر الدين الأسد ، القاهرة ، مكتبة دار العروبة ، ١٩٦٢م٠

٠٦٩ ماسينيون ـ ل ٠ ماسينيون ٠
خطط البصرة ٠

٠٧٠ المبّرد ـ أبو العبّاس ، محمد بن يزيد (ت ٢٨٥ هـ)٠
الكامل في الأدب ، عارضه وعلّق عليه : محمد أبو الفضل ابراهيم والسّيد شحاته ، مكتبة نهضة مصر ، القاهرة ، ١٩٥٦م٠

٠٧١ أبو المحاسن اليغموري ٠
نور القبس المختصر من المقتبس ، لأبي عبد الله محمد المرزباني ، تحقيق : رودلف زلهايم ، دار النشر فرانتس شتانير ، ١٩٦٤م٠

٠٧٢ محمد باقر الموسوى الخوانسار (١٢٢٦ هـ ـ ١٣١٣ هـ)٠
روضات الجنات في أحوال والسادات ، تحقيق : أسد الله اسماعيليان ، طهران ، مكتبة اسماعيليان، ١٣٩٠هـ٠

٠٧٣ محمد بن خلف بن حيّان ، وكيع ٠
أخبار القضاة ، القاهرة ، المكتبة التجارية الكبرى ، ١٩٤٧م٠

٠٧٤ محمد زغلول سلاّم ٠
تاريخ النقد الأدبي والبلاغة ، منشأة المعارف بالاسكندرية ٠

٠٧٥ محمد طاهر درويش ٠
النقد الأدبي عند العرب ، دار المعارف بمصر ، ١٩٧٩م٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٠٧٦ المرتضى ـ الشريف المرتضى ، علي بن الحسين ، (ت ٤٣٦ هـ)٠
الأمالي (غرر الفوائد ودرر القلائد)، تحقيق :
محمد ابو الفضل ابراهيم ، ١٩٥٤م٠

٠٧٧ المرزباني ـ أبو عبدالله ، محمد بن عمر بن أبي موسى
(ت ٣٩٤ هـ)٠
الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء، تحقيق :
محمد علي البجاوى ، دار نهضة مصر ، ١٩٦٥م٠

٠٧٨ المرزوقي ـ أبو علي ، أحمد بن محمد بن الحسن (ت ٤٢١ هـ)٠
شرح ديوان الحماسة ، نشره أحمد أمين وعبد السلام
هارون ، القاهرة ، ١٩٥٣م ٠ لجنة التأليف والترجمة
والنشر٠

٠٧٩ مصطفى صادق الرافعي ٠
تاريخ اداب العرب ، القاهرة ، المكتبة التجارية
الكبرى ، ١٩٤٠م٠

٠٨٠ ابن المعتز ـ أبو العبّاس ، عبدالله بن المعتز ،(ت ٢٩٦ هـ)٠
طبقات الشعراء ، تحقيق : عبد الستار أحمد فرّاج،
دار المعارف ، بمصر ، القاهرة ، ١٩٥٦م٠

٠٨١ المنخل اليشكري ـ المنخّل بن مسعود بن عامر٠

٠٨٢ ابن منظور ـ أبو الفضل ، جمال الدين محمد بن مكرم(٦٣٠– ٧١١هـ) :
أ) لسان العرب ، دار صادر ، بيروت ٠
ب) أخبار أبي نواس ، تاريخه ، ونوادره ، شعره ، راجعه ،
محمد عبدالرسول ، القاهرة ، مطبعة الاعتماد، ١٩٢٤م٠

٠٨٣ النابغة الجعدى ـ قيس بن عبد الله ٠
شعر النابغة الجعدى ، دمشق ، المكتب الاسلامي،
١٩٦٤ م ، الطبعة الأولى ٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٠٨٤ النابغة الذبياني ٠
شرح ديوان النابغة ، منشورات دار مكتبة الحياة بيروت ٠

٠٨٥ ناصر الدين الأسد ٠
مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية ، الطبعة الخامسة ، دار المعارف ، ١٩٧٨م٠

٠٨٦ النديم ـ محمد بن اسحق بن يعقوب ، (ت ٣٨٥ هـ)٠
الفهرست ، المكتبة التجارية ٠

٠٨٧ النمر بن تولب ٠
شعر النمر بن تولب ، تحقيق : نورى حمودى القيسي، بغداد ، مطبعة المعارف (مقدمة ١٩٦٨م)٠

٠٨٨ نهاد الموسى ٠
أبو عبيدة " محمد بن المثنى "، رسالة دكتوراة ، ١٩٦٩م٠

٠٨٩ أبو نواس ـ الحسن بن هانىء (ت ١٩٨ هـ)٠
ديوان شعر ، تحقيق : أحمد عبد المجيد الغزالي، القاهرة ،مطبعة مصر ،١٩٥٣م٠

٠٩٠ الهذليين ٠
ديوان الهذليين ، القاهرة ، الدار القوميّة للطباعة والنشر ، ١٩٦٥م٠

٠٩١ ابن هشام ـ جمال الدين ، أبو محمد عبدالله بن يوسف الانصارى (ت ٣٦١ هـ) ٠
مغني اللبيب عن كتب الأعاريب ، تحقيق : مازن المبارك ومحمد علي حمد الله ، دار الفكر ، الطبعة الثالثة ، ١٩٧٢م٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٠٩٢ ابن هشام ـ أبو محمد ، عبدالملك بن هشام ، (ت ٢١٨ هـ)٠
السيرة النبوية ، تحقيق : مصطفى السقا وآخرين ، طبعة مصطفى البابي الحلبي، ١٩٣٦م٠

٠٩٣ ياقوت ـ أبو عبدالله ، ياقوت بن عبدالله الحموى (ت ٦٢٦ هـ)٠

أ) معجم البلدان ، دار احياء التراث العربي، بيروت ، ١٩٧٩م٠

ب) معجم الأدباء ،(ارشاد الأريب الى معرفة الأديب) ، راجعته وزارة المعارف العمومية ، دار احياء التراث العربي ، نشرها : دافيد مرجليوث ، بيروت ـ لبنان ٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
مقدمة	٣ — ٩
الفصل الأول : سيرة خلف الأحمر	١٠ — ٥٢
الاسم والهوّية	١١
أصله ونشأته	١٥
شيوخه :.....	٢٠
حماد الراوية	٢٠
عيسى بن عمر الثقفي	٢٢
يونس بن حبيب	٢٣
أبو عمرو بن العلاء	٢٥
ملامح شخصيته	٢٩
أسرته	٣٥
أقرانه :	٣٥
الأصمعي	٣٦
أبو عبيدة واليزيدى	٤٠
بشار بن برد	٤٥
خلف وأبو نواس	٤٧
الفصل الثاني : خلف الأحمر .... راوية	٥٣ — ١١١
مفهوم الراوية	٥٤
مصادر الرواية عند خلف :.....	٥٥
حماد الراوية	٥٥
الأعراب	٦٠
البادية	٦٣
موقع خلف بين الرواة	٦٤
ما اختص بروايته	٧٥

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تابع فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
مع الشعر الجاهلي	٧٦
مع الشعر الاسلامي والأموي	٨٢
مع شعراء عصره	٨٦
روايته في الميزان	٩٢
خلف بين الشنفرى وتأبط شرّا	١٠٠
الفصل الثالث : خلف الأحمر ..... شاعرا	١١٢ ـ ١٦٤
ملكة الشعر عند خلف	١١٣
بداءاته مع الشعر	١١٤
مواقف أهل عصره من شعره	١١٥
نظرة المحدثين الى شعره	١٢١
شعر خلف	١٢٢
مقل أم مكثر	١٢٢
بناء القصيدة	١٢٣
أغراض شعره :	١٣٢
الهجاء	١٣٢
الوصايا	١٤١
الوصف	١٤٢
وجدانيات	١٤٧
المديح	١٤٩
الشعر السياسي	١٥٠
المعمار الفني لشعر خلف	١٥٢
الشاعر البدوى	١٥٥
الشاعر المجدّد	١٥٩
خصائص عامّة	١٦٢

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تابع فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
— الفصل الرابع : خلف الأحمر .... ناقدا.....	١٦٥ — ١٩٨
صورة النقد في عصره	١٦٦
النقد والناقد	١٧٠
مفهوم النقد . وصفة الناقد...	١٧٠
المفاضلة بين الشعراء	١٧٤
القدم والحداثة	١٧٧
اصلاح الشعر	١٩١
أحكام عامة	١٩٦
— الفصل الخامس : خلف الأحمر ..... لغويا.....	١٩٩ — ٢٢٧
العلوم اللغوية في عصره	٢٠٠
صلته باللغة والنحو.....	٢٠١
مكانته	٢٠٤
رأيه في درس النحو :	٢٠٩
الاختصار على النحو	٢٠٩
التقعر في اللغة	٢١٠
آثاره في اللغة والنحو	٢١١
كتاب العدد	٢١١
مقدمة في النحو	٢١٢
موقف من المقدمة	٢١٦
خلف واللغة :.....	٢١٩
اصلاح ألفاظ الشعر	٢٢٠
رواية معاني الألفاظ	٢٢٠
بيان المعاني	٢٢١
ظرفه مع اللغة	٢٢٢
أثر خلف في لسان العرب	٢٢٣

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تابع فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
— خاتمة	٢٢٨ — ٢٣٤
— ملحق الالفاظ التي اختص خلف بروايتها	٢٣٥ — ٢٦٧
— المصادر والمراجع	٢٦٨ — ٢٨٢
— فهرس الموضوعات	٢٨٣ — ٢٨٦
— ملخص الرسالة بالانجليزية	أ — ط

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ABSTRACT

Khalaf Al-Ahmar, a man from pharghan, was brought up in the city of Al-Basra (2nd century, A. H), where he devoted himself to the study of Arabic language and literature and set out to forge links with the sources of the Arabic language, poetry and the chronicles of earlier days. He frequented the assemblies of thegreat intellects of the day, such as Abu "Amr ibn Al-'Alaa', Younis ibn Habib and " Issa ibn 'Omar Al-Thaqafy, met with the tribe's men who came to the city market Al-Merbed' was in regular attendance at Al-Merbad forum which stood in high repute as a literary centre, because it provided a common ground on which seekers of knowledge could meet with the bedouin, the " Arab and the poets.

Khalaf Al-Ahmar emerged from this literary milleu as the foremost reciter of verses in his time. His mentor as well as his main source as a reater of verses was the well-known Hammad- Al-Rawiyah (the reciter). He also profited from his contacas with some of the Arab tribes who come to Basra, and who were transmitters of the Arabic tradition of Pre-Islamic poetry. This made it possible for him to gain insights into the act of Arabic poetry - so much so that it was said that he was the most judicious critic of a line of verse, thereby deservedly occupyling a foremost place in literary criticism. Poets resorted to him for counsel about the verses they had penned.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

In spite of his prestiglous position, Khalaf's integrity as a reciter of pre-Islamic poetry was called in question. This involved a number of issuse, foremost among which was the authenticity of the verses Khalaf ascribed to the Pre-Islamic period. He was accused of which he was the author to Pre-Islamic poets. That was a serious issue which was aggravated by the passage of time and is a bone of contention in our time. A number of orientalists and Arab scholars were promted to examine the charges fevelled against the reciters of Pre-Islamic verses and Khalaf was naturally compromised.

In this thesis I have attempted to put in focus Khalaf questionable position by thrashing out the verses that either confirm the charges or refute them.

In those verses he was such an accurate imitator that he almost concealed the features of modernity which only came into the ofen when he touched on the features of the modern cultural milieu in which he moved at Al-Basra.

The second issue relates to Khalaf the critic as he took precedence over all the scholars of his age. If was said that he taught Al-Asmai' the art of poetry criticism. Khalaf did conceive of criticism as a craft. He likened the critic to the cashier who is knowledgeable about coins. On this basis, Khalaf was recognized as a

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

judge of the contemporary poetry and poets submitted their poetry to him for scrutiny.

That is not the whole story. Khalaf's critical position was ahead of his age. He did not adopt the principle of putting one poet before another as was the common practice in his time. He claimed that common consent about the qualifies of the greatest of poets, as bout the fairest of women is wellnigh impossible.

He had, bowever, to suecumb to some of the cossent critical a tandaras. For example, he swamwith the current when he set old poetry above the modern without providing evidence of when. He claimed that a specific line of verse was the best of its kind or when he made inadequate value judgements. If was also one of his idiosynerasies to correct verses when he thought fit.

His place as a poet almost equals his place as a critic. It was said that he was the most poetical of the scholars and the most scholarly of he poets.

The greatest portion of his poetry was descriptive, and he went to great lengths in the description of snakes, scorptions and venomous insects.

He was a satires - a malicious satirist, and used the immense resources of the Arabic language of which he was a master to draw amusingly animated sketches of his adversaries. He even lashed at them with abscenities unaceptable to social norms. A lost diwan of his full of the same brand of obsenties was handed down to his disciple Abu Al-Nawas.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

The picture is rendered incomplete if itomits the fact that he was a first-class linguist and grammarian. He played a vital role in elucidating the meanings of so many obscure lexical items. An Introduction to grammar, edited by professor Ezz. Adden Al-Tunukhi was claimed to be his, but I have called in question this daim for several reasons which persuaded me that the book belongs to a later date.

To wind of my conciusion is that the man in question who is a non-Arab managed in virtue of individual self-exertion to occupy an eminent place amongst the Arabs, making up for what he considered to be the shortcoming of being a non-Arab. That was the rational for making him the subject of this thesis.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit